السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء الثالث

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

کاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

من هدی القرآن المجلد ۳

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳ ؛ ۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

سوره الانعام

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره:

-۱

قال أبو عبد اللّه(علیه السلام) :«نزلت سوره الانعام جمله واحده شیّعها سبعون ألف ملک حتی أنزلت علی محمد(صلّی اللّه علیه و آله)فعظّموها و بجّلوها،فان اسم اللّه فیها فی سبعین موضعا،و لو علم الناس ما فیها ما ترکوها. » ۲-

أروی عن العالم(علیه السّلام)أنه قال :«إذا بدأت بک علّه تخوفّت علی نفسک منها،فاقرأ الانعام فانّه لا ینالک من العلّه ما تکره. » ۳-

عن أبی بصیر قال :کنت جالسا عند أبی جعفر(علیه السّلام)و هو متّک علی فراشه،إذا قرأ:«الآیات المحکمات التی لم ینسخهن شیء من الانعام قال:

شیّعها سبعون ألف ملک[قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّکُمْ عَلَیْکُمْ أَلّا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً] ».

ص:۵

الإطار العام

ثلاث حقائق(اللّه-الإنسان-الكون):

فى بـدايه هـذه السوره امتزجت حقـائق الكون ببعضـها وفق البصـيره التوحيـديه التى بـالرغم من اهتمامهـا بالفواصـل الواقعيه بين الأشـياء إلاّ أنّها تعلق أهميّه كبيره على مـدى علاقه الأشـياء ببعضـها،و تـذكرنا هـذه السوره بطائفه من حقائق الكون كمثل لهـذه الوحده.تلك الحقائق هى:

أ-الإنسان باعتباره عبدا مخلوقا للّه،و سيدا على الطبيعه،إنّ عليه أن يقف امام عظمه اللّه و يقول:«الحمد للّه»حامدا عظمه اللّه،ليس لأنه قدير واسع الرحمه فحسب،بل لأنه سبحانه أغدق عليه من رحمته الواسعه الشىء الكثير،فلذلك يحمده.

ب-اللّه باعتباره سيدا مطاعا للخليقه و مهيمنا عليها.

ج-الكون أى السـماوات و الأرض،و الظلمات و النور.باعتبارها مخلوقات للّه،و مـدبّرات بأمره،و الرابطه الوثيقه بين الإنسان و بين الكون هى أنهما معا

ص:٧

مخلوقان للّه،مدبران بأمره سبحانه.

و لكن الإنسان يملك-بإذن ربه-ميزه أساسيه بين الخلائق هى انه سيدها الذى سخر اللّه له إياها،و لذلك فهو يحمد ربه.

و إذا أراد الإنسان أن يكرّس فى ذاته صفه السياده على الكون فليس عليه سوى المزيد من الارتباط بربه الذى سخر الكون لأمره.

معرفه اللّه:

ان معرفه الطبيعه من دون إله لها يعنى ان الماده بلا روح،بلا قيم،و بلا نظام، و معرفه اللّه بعيدا عن الطبيعه يعنى البحث فى فراغ،فى التجريد،فى اللاشىء، و سواء كانت هذه أو تلك فهى تنتهى بالإنسان الى اللامسؤوليه و اللاّإلتزام، و بالتالى اللاّوعى.

المادى الذى يختصر حياته فى الأشياء،و لا ينظر عبر الماده الى ما ورائها من هيمنه اللّه،و قيامه و ملكه و سلطانه،إنّه لا يشعر بالتزام تجاه الماده،لأنّ الماده لا حياه لها و لا عزه لها و لا حكمه.

الماده لا تراقبه،و لا تحاسبه،و لا تجازيه،بل لا يشعر بها،فلذلك فهو ينفلت عن التقيد بالمسؤوليات.

و كذلك الصوفىّ الذى يؤمن بالألفاظ و الكلمات،و الخلسات و الهمسات،و لا يؤمن باله الحياه و النظام،و التدبير،و الملك،و الحساب و العقاب،انه لا يؤمن بالطبيعه كمظهر سام من مظاهر الحياه التى و هبها اللّه،و النظام الذى قام عليه و أجراه سبحانه،و بالتالى لا يؤمن بالطبيعه كاسم من أسماء اللّه سبحانه إن هذا الصوفى،هو الآخر لا يشعر بمسؤوليه أمام الحياه التى فصلها عن اللّه.

و الحقيقه فى معرفه الماده و الروح هى الايمان بواقع الطبيعه،و بحقيقه القيم التى تهيمن عليها،و الاعتقاد بوجود الطبيعه المدبّره بسلطان ربها،و بالتالى الاهتداء الى اللّه عبر أسمائه و آياته المنتشره فى رحاب الطبيعه.

ان القرآن باعتباره كتاب اللّه الذى،لا ريب فيه يتحدث إلينا عن الطبيعه باعتبارها جسرا يسير عبرها الفكر الى معرفه اللّه،و باعتبارها مظهرا ساميا لأسماء اللّه و آياته،و باعتبارها أداه للإنسان لاكتشاف نفسه،و الاهتداء الى ربه، و التكامل حتى يكون الى اللّه المنتهى.

عليك ان تنظر الى السماوات و لا تجلس فى غرفه مظلمه تبحث عن اللّه،و لكن إياك ان تنظر الى السماوات كأنها أشياء ثابته جامده جاهله،كلا بل باعتبارها حقائق تسبّح بحمد خالقها و تسجد لهيمنه ربها.

لماذا اسم الأنعام

؟ إن سوره الأنعام هى مثل كل سور القرآن التى تشع بنور التوحيد،و تنساب فى ضمير الإنسان بضياء الايمان باللّه،و لكنها لم تسّم باسم مجرّد.فلم يكن اسمها مثلا-سوره الحى القيوم،أو سوره الصمد الأحد،أو سوره القدوس الأعلى،أو سوره الحمد و التسبيح،كلا...بل سميت بسوره الأنعام.

الأنعام التى يضرب اللّه بها مثل الغباء،و يعتقد الإنسان أنّها لا تعنى شيئا فى حقل الايمان و العرفان،مع ذلك سمّى اللّه هذه السوره باسم الانعام ليجعلنا نغير نظرتنا الى الانعام،و نعرف انها نعمه من نعم اللّه،و انها بالتالى تهدينا الى اللّه من جهه.و تفرض علينا من جهه مسئوليه معينه،و هى تلك المسؤوليه التى يشعر بها المؤمن أمام ربه،و بذلك يخرج الماده(و هنا الانعام مثل لها)من النظر إليها بنظره الشيئيه دون الالتفات الى دور الماده فى تكامل الروح و العلم و القيم،كما يخرج

بذلک أیضا الروح و العلم و القیم و الایمان من عالم التجرید و المثالیه الی عالم الحقیقه.

و قـد ذکرت کلمه الأنعام فی هذه السوره فی الآیات بین(۱۳۸ إلی ۱۴۸)کل هذه کانت فی رأینا بعضا من فلسفه اسم الأنعام فی هذه السوره.

ص:۱۰

سوره الأنعام مکیه و هی مائه و خمس و ستون آیه

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ جَعَلَ اَلظُّلُمٰاتِ وَ اَلنُّورَ ثُمَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ (۱) هُوَ اَلَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ طِینٍ ثُمَّ قَضیٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (۲) وَ هُوَ اَللّٰهُ فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ فِی اَلْأَرْضِ یَعْلَمُ سِرَّکُمْ وَ جَهْرَکُمْ وَ یَعْلَمُ مٰا تَکْسِبُونَ (۳)

اللغه

۱[یعدلون]:عدلت عنه أی أعرضت.

۲[تمترون]:الامتراء الشک،و أصله من مرات الناقه إذا مسح ضرعها لاستخراج،اللبن، و منه ما راه یماریه مراء و مماراه إذا استخرج ما عنده بالمناظره،فالامتراء استخراج الشبهه المشکله من غیر حل.

ص:۱۱

هکذا تجلّی الرب

بینات من الآیات:

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم [۱] اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ إن اللّه سبحانه لم یهب السموات و الأرض خلقهما فقط،بل قدّر لهما أمورهما، و نظم شؤونهما،فکل شیء فی السموات و الأرض محدود بحدود معینه حددتها حکمه اللّه،و علمه الواسع،و قدرته المطلقه.

فالشمس لها وزنها و سعتها،و حرارتها و کثافتها،و مدارها و مجراها،و نهایتها و بعدها عن سائر الشموس السابحه فی الفضاء.

کذلک الأرض و القمر و الکواکب و النجوم،و هکذا الحال لکل شیء موجود فی الأرض،حتی الذره لها حدودها التی لا تتجاوزها.

ص:۱۲

و عند ما نقول:حدودها نعنى:أن كل شىء ينتهى وجوده عند حد معين، و بعدئذ لا يملك وجودا أو بتعبير آخر:ينعدم فى خارج حده،مثلا:التفاحه موجوده فى مساحه معينه و فى وقت محدود.أما فيما وراء تلك المساحه،و ذلك الوقت فلا وجود للتفاحه،كذلك فان اللّه قدّر-بحكمته و قدرته-الوجود و العدم،فجعل كل شىء موجودا فى حدود معينه،و جعله معدوما فيما وراء ذلك.إذا فهو جاعل العدم و الوجود، و مقدرهما و مدبرهما.

و ربما يشير الى هذه الحقيقه قوله تعالى:

وَ جَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَ النُّورَ ذلك لأن الظلمات رمز لكل عدم،بينما النور رمز لكل وجود.

أمام هذه القدره و الحكمه المطلقه،لا يسعنا إلاّ الحمد،و الحمد هو ذلك الموقف الرشيد الذى لا بد ان نتخذه من ربنا،و لكن كم هو بعيد و شاذ موقف الكفار حيث يشركون بربهم،و يضعون اللّه سبحانه عدلا للأنداد من دونه.تعالى ربنا عما يصفه المشركون! ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

الشك لماذا و كيف؟

[۲]إن الإنسان فى هذا الكون الواسع محاط بقدره اللّه،و ما عليه إلاّ أن يعرف هذه الحقيقه،و يعترف بها،و لا يرتاب فيها و لا يشكك نفسه فى ذلك،لأن الشك قد يكون عفويّا،و قد يكون شكا نابعا من الهوى أو الحساسيه و ما أشبه،و فى قضيه الايمان باللّه لا نجد ذلك النوع من الشك،أن اللّه أظهر من أن يشك فيه بشر (۱)،ان

۱- ۱) : جاء فى دعاء عرفه للإمام الحسين(عليه السلام): «الهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار،فاجمعنى»

هذا الشک هو الشک الذی مصدره إغماض العین عن الشواهد،و الانصراف عن الأدله،و المجادله فی الحق بعد الیقین به.

هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ طِینٍ ثُمَّ قَضی أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّی عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ان خلقه الإنسان کانت من طین فلذلک هو ینزع الیه و یهوی الخلود الیه،و من الصعب علیه أن ینبعث الی الحق.

و لأن الإنسان خلق من طین فأولی به ان یخشع لخالقه و الاّ یستکبر.

ثم ان للإنسان قدرا مقدورا.ذلک ان خلایا جسمه تتحلل،و عظامه تهن و تضعف،و ینتهی بالتالی الی الموت.

فقد یأتیه الموت بحادث سیاره أو مرض سرطان،أو قتل فی حرب أو..أو..

المیته الاولی قدر مقدور علیه،کما هو قدر مقدور علی کلّ حیّ و علی کلّ ماده،أما المیته الثانیه فهی قضاء یقدرها اللّه علیه،و یکتبها فی سجله الأسمی، و ذلک وفقا لاختیار الفرد نفسه.

إذا فهو إله السموات و إله الأرض،و هو ملکهما و مرجع أمورهما.

وَ هُوَ اللّهُ فِی السَّماواتِ وَ فِی الْأَرْضِ و لأنه یدبر أمور السموات و الأرض،فهو علیم بهما لأنه من المستحیل أن یدبر

الكون دون أن يعلم بخفاياه.

يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ إنه يعلم السر كما يعلم الجهر.(بعكس الإنسان)لأن السر هو الذى يتكون أولا،ثم يبرز أمام الناس،كالحبه تحت التراب،تتحول عبر تفاعلات كيمياويه الى زرع قبل أن يراها الناس،ثم إذا اخضرت الأرض أصبحت جهرا(و الله يعلم سرها و جهرها).

و لذلک فأن علمه بالسر يسبق علمه بالجهر(بالرغم من أن علم اللّه لا زمان له).

و اللّه يعلم خفايا الحبه التى تتفاعل مع أملاح الأرض،ثم إذا تفاعلت يعلمها خبراء الزراعه ثم يراها المزارعون.

كذلک يعلم اللّه إراده الإنسان قبل أن تتحول إلى عمل،و يعلم العوامل المؤثره فيها.عاملا عاملا،و يعلم طبيعه الظروف و مدى استعداد الإنسان لتحدّيها،أو استسلامه لها.لذلک فهو يعلم ما ذا يريد الإنسان أن يعمله فى المستقبل بالرغم من أن هذه الإراده لا يعلمها حتى الإنسان نفسه«

عرفت اللّه بفسخ العزائم و نقض الهمم ».

وَ يَعْلَمُ مٰا تَكْسِبُونَ ما تكسبون من خير أو شر،الآن و مستقبلا،و هكذا..فعلى الإنسان أن يصلح ما فى نفسه من عقد و نزوات،و يطهّرها من صفاتها السيئه،تلک التى يحاسبه عليها ربنا،و هو عليم بكل تفاصيلها و مقاديرها،كما عليه أن يصلح ظاهره،و يراقب أعماله.

ص:١٥

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۴ الی ۱۱]

اشاره

وَ مٰا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِمْ إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهٰا مُعْرِضِينَ (۴) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبٰاءُ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۵) أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنّٰاهُمْ فِي اَلْأَرْضِ مٰا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا اَلسَّمٰاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرٰاراً وَ جَعَلْنَا اَلْأَنْهٰارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنٰاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأْنٰا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (۶) وَ لَوْ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ كِتٰاباً فِي قِرْطٰاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقٰالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ سِحْرٌ مُبِينٌ (۷) وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنٰا مَلَكاً لَقُضِيَ اَلْأَمْرُ ثُمَّ لاٰ يُنْظَرُونَ (۸) وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنٰاهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنٰا عَلَيْهِمْ مٰا يَلْبِسُونَ (۹) وَ لَقَدِ اُسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحٰاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۱۰) قُلْ سِيرُوا فِي اَلْأَرْضِ ثُمَّ اُنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلْمُكَذِّبِينَ (۱۱)

ص:۱۶

و هكذا يحتجب الخلق عن الرب

هدى من الآيات:

تحقيقا للهدف العام لسوره الانعام الذى هو تنميه روح الايمان باللّه فى النفوس، و جعله مصباحا يهدى الإنسان فى ظلمات الحياه،تحقيقا لهذا الهدف العظيم جاءت آيات هذا الدرس لتفضح الدافع الأساسى لتكذيب آيات اللّه و رسالاته،لعل الإنسان يتذكر بنفسه و يحاول تطهيرها من شر هذا الدافع الأساسى الذى هو الاستهزاء بالحق،و الاعراض عن آياته،و ما دام البشر يستخف بالحق و لا يقدره حق قدره،فانه لن يستمع الى آيات الحق،و لن يحاول استيعاب هذه الآيات.

و لكى يطهر البشر قلبه من هذا الدافع فعلينا أن نذكّره(كما عليه هو أن يتذكر)بمصير المستهزئين بالحق،المعرضين عن آياته كيف أنهم دمّروا شر تدمير.

و تبين آيات هذا الدرس انه ما دام الاستهزاء موجودا،أى ما دام البشر غير مهتم بالحق.فانه لا ينتفع بأيّه آيه،بل يحاول أن يتشبث ببعض الحجج الواهيه حتى يردّ الحق و آياته،و متى ما فشلت حجه من حججه،فانه يسارع الى حجه واهيه

أخرى.

فلو جاءته الآيات على شكل كتاب منزّل من السماء،فانه يقول:إنها سحر، ثم يطالب ربه بأن ينزّل عليه الملائكه،و لكن هل هذا ينفعه؟كلا،لأن الملك عند ما يأتيه مثلا فانما يأتيه بصوره إنسان أو شبهه،و لكن ما دام يكفر بالرسل.

فكيف لا- يكفر بالملائكه؟! ان الحل الوحيد للمعرض عن آيات الحقّ،أو المستهزئ بها هو أن يتذكر مصير المكذبين بها و المعرضين عنها،و ذلك بالسير فى الأرض،لأن الحق ينتصر من المكذّبين و المعرضين.

بينات من الآيات:

الاستعداد النفسى:

[۴]لكى نعرف الحق نحتاج الى الانفتاح عليه و البحث الجدّى عن آياته،و إنك تحتاج الى البحث السليم عن طريقك و أنت تسير فى الصحراء أو فى الجبال حتى تكشفه من خلال المعالم الموجوده على الرمال،أو بين الصخور.

فاذا أراد الإنسان أن يعرف طريقه فى الحياه من أين جاء،و الى أين يسير، و كيف و متى،و أين ينتهى به المطاف،و كيف يسعد،و كيف يمارس أعماله بشكل لا تتعارض و مصالحه الحقيقيه و هكذا؟ أ فلا يحتاج الى البحث،و هل يمكن أن يكشف أحدنا طريقه فى الحياه بلا تعب؟!كلا..

و من حسن حظنا نحن البشر أن اللّه منّ علينا بتوضيح طرق الحياه،و هدانا الى

أبلـج الطرق،و المطلوب منا أن نفتـح أعيننا جيدا لنهتدى بهدى ربنا،أما إذا أغمضـنا أعيننا فحتى نور الشـمس لا يسـتطيع أن ينفذ الى عين مغمضه،إذا فالشـرط الأـول للهـدايه،هو الاسـتعداد النفسـى لتقبّلهـا إذا توفرت آياتهـا،أمـا إذا لم يكن عنـد الإنسان هـذا الاستعداد،و قرر سلفا الكفر بالحق،فانه سوف يعرض عن آيات الحق،و مثلا على ذلك الذى ينتمى الى حزب،و لا يفكّر أبدا فى ترك هـذا الحزب لأنه قـد اتخـذ قراره سـلفا لانكار الحق،كـذلك الكافرون يعرضون عن آيات الحق لأنهم قـد اتخـذوا قرارهم الخاطئ سلفا بالكفر.

وَ مٰا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَهٍ مِنْ آيٰاتِ رَبِّهِمْ إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهٰا مُعْرِضِينَ انهم لا يحضـرون عند من يتلو الآيات،و ان حضـروا فهم لا يسـتمعون الى تلك الآيات،و إن استمعوا إليها فليس للاهتداء بها بل من أجل ردّها.

عاقبه الاستهزاء بالحق:

[۵]يستخّف الكفار بآيات ربهم،و الواقع أنهم يستخفّون بالحق الذى تدلّ عليه تلك الآيات.إن من لا يحضر عند من يذكّر باللّه،و يقول:من هذا حتى أحضر عنده؟!أنه لا يستخف بهذا الرجل.بل بالحق الذى يحمله.

كذلك من لا يقرأ كتابا يهديه الى الحق و يقول مستخفا.به:ما هذا؟!إنه يستخف بالحق لا بالكتاب.

كذلك من لا ينظر الى آيات اللّه فى الكون نظرا عبريا،و كذلك الذى لا يتدبر فى القرآن.

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُمْ إن فطره الإنسان تدفعه الى البحث عن الحقّ،و لكن الذى دنّس فطرته بوسخ

الشرک.ینکر الحق،و یکذب به حتی و إن جاءه بدون بحث أو صعوبه.

فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبٰاءُ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ إن مثل هؤلاء لا یعرفون أهمیه الحق و دوره فی فلاحهم و سعادتهم،و مدی حاجتهم الیه،و هذا الجهل سیردیهم،لأن الحق الذی یستخفون به،و ینکرون دوره فی حیاتهم سوف ینتقم منهم غدا حین یخالفونه.

إنک إذا أنکرت حقیقه الجاذبیه فی الأرض و أعرضت عمدا عن کل الآیات التی تدل علیها.و إذا قیل لک:إن سقوط التفاح من الشجر و انحدار السیل،و تساقط المطر کل ذلک یدل علی الجاذبیه،و أنک لو قفزت من علّ فسوف تسحبک الأرض و تحطم عظامک؛قلت:کلّا..و لم تستمع الی الأدله،بل أعرضت عنها.

ماذا ستکون النتیجه؟بالطبع إنّ هذا الحق الذی أنکرته الیوم،سیأتیک غدا لینتقم منک،بأن تسقط فی یوم من الأیام فاذا بعظامک محطّمه.

کذلک لو أنکرت حقیقه أنّ السکوت علی حکم الظالم سیحطم سعاده الشعب،و لم تستمع الی آیات هذا الحق المتمثله فی مئات العبر التاریخیه الغابره، و التجارب البشریه الحاضره،فسوف تسکت عن الظالم،و تکون أنت أول من یحیط به ظلم الظالم،و یحطم سعادته.

[۶]هکذا کان مصیر کلّ أولئک الذین أعرضوا عن آیات اللّه،و کذبوا بالحق، و استهزءوا به کتعبیر عن استخفافهم به،و استهانتهم بدوره فی سعادتهم.

سنه العذاب:

إننا إذا نظرنا الی تاریخ البشریه فإننا نری حقیقه بارزه هی أن مصیر کلّ المکذبین بالحق کانت المأساه.

ص:۲۰

أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ هل أهلكوا لأنهم كانوا ضعفاء؟كلا بل بالعكس:

مَكَّنّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ أىّ أنهم سيطروا على موارد الأرض،و سخروها فى مصلحتهم بإذن اللّه، و استقروا فى الأرض،و اطمأنّوا بها حتى ليكاد يحسبهم الناظر انهم خالدون فيها.

وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَ جَعَلْنَا الْأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ لقد استقروا فى الأرض و تجاوزوا مرحله البداوه،و الارتحال من منطقه لأخرى طلبا للرزق،خوفا من الوحوش،أو من نكبات الطبيعه،ثم كانت موارد الرزق عندهم كبيره و سهله و هذه هى أسباب قيام الحضارات البشريه.

و لكن هذه الحضاره(التّمكين)لم تشفع لهم.إذ أنهم حين أعرضوا عن آيات الحق،و كذبوا بها و استهزءوا.آنئذ خالفوا عمليا الحق،و أكثروا من الذنوب التى هى تعبير دينى عن مخالفه الحق.

إنهم ظلموا أنفسهم،و طغوا على الآخرين،و لم يستفيدوا من موارد الطبيعه، بل أفسدوها،و فعلوا مثلما فعل قوم عاد أو قوم لوط أو قوم شعيب،و كانت النتيجه:

ان تلك الذنوب تكاثرت حتى أحاطت بهم،و أنهت حضاراتهم.

فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ إن هذه عبره كافيه للبشر إذا أراد أن يعتبر.

[۷]و لكن البشر قد يغلق على نفسه منافذ قلبه.فلا يقبل الحق و لو جاءه

بطريقه إعجازيه.

وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ أی فی أوراق ملموسه يرونها تهبط عليهم من السماء كما ينزل المطر إنهم لا يفكّرون أن ذلک إعجاز،فكيف ينزل من السماء قرطاس فيه هدی و نور، إذا:

لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ و كيف يمكن إقناع من يخلط المعجزه بالسحر؟هل بمعجزه أقوی و أكبر؟إنه آنئذ سيزعم أنها سحر أكبر؟! إن إقناع هذا الشخص أصعب من إقناع من يخلط بين المتناقضات فی تفكيره كالبدائی الذی يزعم:ان من الممكن ان يوجد شخص فی مكانين فی زمان واحد، ذلک لان هذا يعانی من نقص فی تفكيره.يمكن إزالته بالتعليم أما ذاک فهو مصمم علی ألاّ يقتنع بالحق لأنه لا يری أهميه لذلک أصلا.

[٨]ان هذه الطائفه تطالب أبدا بمعاجز جديده.تهرّبا من الاقتناع بالحق، و ليس هدفهم من هذه المطالب بريئا.

وَ قالُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ من السماء نراه بأعيننا حتی نصدّق به،و لكن إذا جاء هل يصدقون به أم يعودون و يقولون:إنه سحر مبين؟! إن للّه سننا و أنظمه فی الكون يجری عليها أمور الكون،و لا يخرق هذه السنن بطلب كلّ أحد.

و من تلك السنن:أنه قدّر ألاّ ينزل الملائكه إلا في يوم المعاد.حيث يظهر الجزاء فورا و بصوره واضحه.في ذلك اليوم تظهر الملائكه لكي يجازوا الناس بأعمالهم، و تظهر حقائق الكون للجميع.لذلك قال ربنا:

وَ لَوْ أَنْزَلْنٰا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لاٰ يُنْظَرُونَ في ذلك اليوم تنتهي فرصه الاختبار للإنسان،و يأتي يوم الجزاء العاجل الذي لا يمهل صاحبه،أما الآن فنحن في يوم المهله.

[۹]ثم ما الفرق بين ان ينزّل اللّه ملكا أو ينزّل رجلا،فما دام الفرد كافرا و جاحدا.لا فرق بين أن يأتيه رجل رسولا،أو يأتيه ملك رسولا.انه سوف يكفر بهما جميعا.

وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنٰاهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنٰا عَلَيْهِمْ مٰا يَلْبِسُونَ إن الهدف من بعث الرسل ليس إكراه الناس على الالتزام بطريق الحق،بل إتمام الحجه عليهم و ذلك بتوفير فرصه الهدايه لهم كي لا يقولوا يوم القيامه:لم نكن نعلم.

و لذلك لو بعث اللّه ملكا إذا لجعله اللّه يشبه الناس حتى في ملابسه حتى يستطيع أن يتفاهم معهم،و يهديهم.

[۱۰]إن مشكله الكافر هي استخفافه بالحق و استهزائه به.و السبب هو:أنّ الكافر-كما قلنا سابقا-لا يعرف مدى أهميه الحق في حياته و أن علينا أن نبيّن له تلك الأهميه من خلال تجارب التاريخ.

وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحٰاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مٰا كٰانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِؤُنَ ان الحق الذى كفر به هؤلاء و استهزءوا بمن هداهم اليه تحول الى واقع مرّ،و دمّر حياتهم.

[۱۱]إن الرسل قالوا لهم:إن الاستسلام للطاغوت حرام،و على البشر أن يثور ضده.فهذا هو الحق الذى حمله الرسل الى الناس،و لكنهم كفروا بهم،و استهزءوا بهذه الحقيقه.فما ذا كانت النتيجه؟ إن الحق تحوّل الى واقع فسيطر الطاغوت على البشر،و أفسد عليهم الحياه، و جعلها جحيما لا تطاق.

و لكى نفهم هذه التجربه العظيمه فعلينا ان نراجع التاريخ:

قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَهُ الْمُكَذِّبِينَ إن حياتهم انتهت الى جحيم بسبب تكذيبهم للحق،و استهزائهم بالرسل.

ص:۲۴

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۲ الی ۱۶]

اشاره

قُلْ لِمَنْ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ کَتَبَ عَلیٰ نَفْسِهِ اَلرَّحْمَهَ لَیَجْمَعَنَّکُمْ إِلیٰ یَوْمِ اَلْقِیٰامَهِ لاٰ رَیْبَ فِیهِ اَلَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۱۲) وَ لَهُ مٰا سَکَنَ فِی اَللَّیْلِ وَ اَلنَّهٰارِ وَ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (۱۳) قُلْ أَ غَیْرَ اَللّٰهِ أَتَّخِذُ وَلِیًّا فٰاطِرِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ یُطْعِمُ وَ لاٰ یُطْعَمُ قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لاٰ تَکُونَنَّ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (۱۴) قُلْ إِنِّی أَخٰافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذٰابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ (۱۵) مَنْ یُصْرَفْ عَنْهُ یَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذٰلِکَ اَلْفَوْزُ اَلْمُبِینُ (۱۶)

ص:۲۵

آيات اللّه بشائر رحمه و نذير عذاب

هدى من الآيات:

أبسط فكره تقفز الى ذهنك حين تلقى نظره الى السموات و الأرض هى أنهما مسيّرتان و ليستا مخيّرتان،فأذن هى مملوكه للّه،و لكن اللّه ذو المشيئه المطلقه،المالك للسموات و الأرض يعطى عباده من خلال عطاياه و نعمه التى لا تحصى ثقه بأنه لن يقطع الحبل عنهم،بل كتب على نفسه الرحمه لهم،فما أفضل الالتجاء اليه،و التمتع برحمته.

هذه فكره الآيه الاولى من هذا الدرس.الذى يعرفنا بربّنا معرفه تجعلنا نكاد نراه بها سبحانه،و اللّه هو المالك لكل ما سكن له و اطمأن إلى رحمته فى مسيره الليل و النهار رغم تحركهما،إذ أن رحمه اللّه تدع الخلق يسيرون وفق نظام يثقون به، يسكنون إليه رغم تدفق الزمان الهائل القوه،لأن الكون كله يستند الى القدره المطلقه التى فطرت السموات و الأرض فى البدء،و التى لا تزال تغذّى الوجود دون أن يتغذّى بشىء سبحانه،و فى هذا الطوفان الهائل التغيير.يسلّم العبد لربه ليتخذ

منه ركنا شديدا،ثم لا تكونن-أيها العبد الضعيف من المشركين- لأن الشرك -و هو أعظم درجه-سيجعلك تواجه نهايه مأساويه فى يوم أكبر هم كل إنسان فيه هو الخلاص من عذابه فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ (/۱۸۵آل عمران) و تأتى هذه المجموعه التوحيديه من الآيات فى سياق دروس إيمانيه متتاليه.

هدفها التعريف الأعمق بآيات اللّه فى الحياه.

بينات من الآيات:

عالم الخلق دليل رحمه اللّه:

[۱۲]ان للحياه التى نعيشها.لحظه بلحظه،و دفعه بدفعه،و موجه بعد موجه، هذا المهرجان العظيم من النور،و الدّفئ،و الانطلاق من العظمه و الروعه و الجلال، لهذه الحياه تنظيم بديع لطيف متين.إذا نظرت إليها ككل راعتك آيات التنسيق بين أجزائها،و إذا أمعنت النظر فى أصغر أجزائها أعجبتك متانه الصنع،و مدى ما فيها من دقه التنظيم،و عظمه الحركه،كل ذلك يزيدك معرفه:بأن للسموات و الأرض ربّا يملك ناصيتها،و يدبر شؤونها و يسيرها،و لو كانت حره طليقه من دون مسيّر،إذا لتحركت و سارت كل جزيئه منها فى اتجاه،و لانهارت و تفتت و تلاشت،فمن يملك ناصيه الحياه غير ربها،اللّه الذى خلقها!!.

قُلْ لِمَنْ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلْ لِلّهِ إنها ليست الحقيقه التى نحتاج فيها الى إثبات،بل نحتاج الى معايشتها و ملامسه أبعادها لنصبح كلما استطعنا أقرب إليها لأنها الحقيقه الام التى تتفجر الحقائق من خلالها تفجيرا،و من خلال معرفه حقيقه المالكيه الالهيه نعرف أن اللّه قد كتب على نفسه الرحمه لأنه لو لم يكتب على نفسه الرحمه(و نعترف بعدم دقه

التعبير) إذا فمن الـذى يمسـك السـموات و الأرض أن تزولا.علما بـان اللّه يجبّر الكون على المسـير وفق الأنظمه،فمن يجبره سبحانه.إنه هو الذى:

كَتَبَ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و لكن لرحمه اللّه حدود،و حدود رحمه اللّه هى حكمته..فكما أنه رحيم حين يضع السنن العادله،إلا أنه شديد على من يخالفها،فهو حين يحفظك-مثلا-من أن تسقط عليك حجاره ضخمه من السماء تدمر بيتك على من فيه،فانه بعدئذ يفرض عليك أن تلتزم بواجب العداله،فلا تدمر بيوت الخلق بقنابل عنقوديه،فلو فعلت فان جزاءك سيأتيك عاجلا فى الدنيا،أم آجلا فى الاخره.هنالك لا تحاسب وحدك،بل سوف تحاكم أمام الناس جميعا،و سوف يؤتى بمن ظلمته لكى يستوفى كلّ جزائه العادل:

لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ لاٰ رَيْبَ فِيهِ أو يشك أحد:أنّ اللّه هو الذى أمسك كل شىء فى حدود معينه عادله حكيمه، و ذلك برحمته التى كتبها على نفسه،أو يشك أحد أنه سوف يترك الإنسان حرا فى تدمير نفسه،و العالم من حوله دون جزاء عادل له؟كلا:

اَلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ لأنهم يتصورون أن الحياه بلا بدايه و لا نهايه،و لا مالك و لا شىء.انهم يخسرون أنفسهم،و يفقدون ما منّ اللّه عليهم به من فرصه السعاده الأبديه،الى الشقاء الأبدى الخالد.

السكون و الحركه فى الكون:

[١٣]غدا حين تشرق الشمس،و ينتشر الضوء و الحراره.أذهب أنا و أولادى

و سائر أبناء القريه جميعا للحصاد..إذ أننا قبل أشهر كنا قد ملأنا الحقل بذورا، و الآن أصبحت حقلا زاهرا و فى العام القادم سنزوّج الأولاد،و نسافر الى الحج،هذه الأفكار التى تراود ذهن فلاح بسيط لدليل على أنّ هناك ثقه بالحياه يسكن إليها البشر-بل كلّما فى الحياه-تلك ثقه نابعه من أنّ سنن اللّه لا تتغير رغم تطور آياته،فالشمس تطلع لتغرب،و الليل يلاحق النهار،و الضوء يهزم الظلام،ثم ينهزم أمام جيوشه،و لكن كلّ ذلك يجرى وفق نظام يطمئن اليه الإنسان و سائر الأحياء لا-فرق.من يملك النظام؟من ينفذه؟من يشرف عليه الاّ تخرقه الأهواء النزقه؟انه اللّه الذى يهيمن على السموات و الأرض،و هو يسمع و يعلم فلا يهرب من سوط عدالته و سلطان تدبيره شيء سبحانه:

وَ لَهُ مٰا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ و المقابله المبدعه بين الليل و النهار من جهه،و بين السكون من جهه ثانيه مقابله توضح بعدى السكون و الحركه فى الحياه الواحده التى يهيمن عليها الرب.

دوافع الايمان:

[۱۴]قلنا-و نكرر-إنك حين تعرف حقيقه أنّ للّه ملك السموات و الأرض، تعطيك هذه المعرفه آفاقا جديده من العلم،و هذا واحد منها:إنك تجلس لتفكر.إذا كان اللّه هو مالك السموات و الأرض.فلما ذا لا نتخذه صديقنا و صاحبنا،و قائدنا و ولينا. نحبه و يحبنا.أو ليس هو الذى يملك-فيما يملك-رزقنا.و هو بذلك لا يطالبنا بثمن،فنحن لا نطعمه.بل هو الذى يطعمنا؟!هناك توجّه السّؤال التالى الى نفسك:

قُلْ أَ غَيْرَ اللّٰهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فٰاطِرِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لاٰ يُطْعَمُ و يأتيك الجواب و بكلّ بساطه:

قُلْ إِنِّی أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لاٰ تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِینَ تقول نفسک،و تقول لک کل حقائق الحیاه:کلا.ان من الأفضل لک الخضوع للّه،و لیس لأحد سواه.

[۱۵]و غدا حین یجازی الرب عباده المذنبین،کیف نهرب من جزائه العادل و هو ذو القوّه التی سخّرت السموات و الأرض؟ قُلْ إِنِّی أَخٰافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذٰابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ [۱۶]إنّ الرحمه التی شملتنا فی الدنیا و التی ظهرت آثارها فی کل مظاهر الحیاه.هذه الرحمه کیف تفوتنا،و تتحول فی الآخره بسبب أعمالنا الفاسده الی عذاب..أو لیس هذا جنون؟ مَنْ یُصْرَفْ عَنْهُ یَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ رحمه لأنّه هداه الی الحق،و ألزمه کلمه التقوی،و رحمه لأنه غفر له ذنوبه البسیطه، لأنه أطاع اللّه فی أعظم العبادات:

وَ ذٰلِکَ الْفَوْزُ الْمُبِینُ أن ترسو سفینه الإنسان علی شاطئ السعاده الأبدیه برحمه اللّه.

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۱۷ الی ۱۹]

اشاره

وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اَللّٰهُ بِضُرٍّ فَلاٰ كٰاشِفَ لَهُ إِلاّٰ هُوَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۷) وَ هُوَ اَلْقٰاهِرُ فَوْقَ عِبٰادِهِ وَ هُوَ اَلْحَكِيمُ اَلْخَبِيرُ (۱۸) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهٰادَةً قُلِ اَللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا اَلْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اَللّٰهِ آلِهَةً أُخْرىٰ قُلْ لاٰ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ وَ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ (۱۹)

ص:۳۱

باللّه يفلح الإنسان

هدى من الآيات:

إن كنت تبحث عن المصالح الحقيقيه لذاتك أو لمجتمعك،فان بيد اللّه سبحانه أزمّه الكون كله،فاذا مسّك اللّه بضر لا يستطيع الناس و لو اجتمعوا أن ينقذوك منه -إلا باذنه-و إن أنعم عليك نعمه، فان اللّه وحده القادر على إبقاء أو إزاله النعم عنك..

و إن كنت تخشى طوفان الأحداث،و تبحث عن ركن شديد تأوى اليه،فان اللّه هو القاهر فوق عباده و يدبر شؤونهم بحكمته و خبرته..

و ان كنت تبحث عن الحقيقه،فان اللّه هو الحق،و هو أكبر شهيد...

بينات من الآيات:

و هو القاهر فوق عباده:

[۱۷]انك تحب نفسك و تبحث عن مأمن لها عن الشركاء،و تبح عن مصدر

الخير لها،فاعلم بأن اللّه هو الـذى يقـدّر لك الخير و الشـر معا،و انه لو قدر اللّه لك أمرا فانه لا أحد يملك تغيير أقدار اللّه، وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاٰ كٰاشِفَ لَهُ إِلاّٰ هُوَ حين يصيبك المرض و يشتد حتى تشعر بمسّه.آنئذ يستيقظ ضميرك،و يتوجه الى اللّه القادر على كشف المرض عنك،بينما قد تكون قبل ذلك غافلا عن ربك.

وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و حين تشعر بلذه الخير الذى يهبط عليك من دون جهد كاف،هنالك لا تطغى.

لأن اللّه الـذى قـدر لك الخير قادر على أن يسـلبه منك،كما أنه قادر على أن يزيـدك خيرا،أو حتى على أن يحوله الى سوء فى النهايه..

و التعبير القرآنى يؤكد على كلمه،المساس للدلاله على الضر الذى يشعر بألمه الفرد،و الخير الذى يحس بلذته..

[١٨]و اللّه يقهر عبـاده،و يخضـعهم لمشـيئته شـاؤوا أم أبـوا.إنه يقـدر لهم السّـبات فلا أحـد منهم يغلب النوم على ذاته الى مـا لا نهايه،و يقدر عليهم الموت و هم كارهون،و يأخذهم على تطبيق أنظمه معينه فى الحياه،لا يستطيعون الفرار منها:

وَ هُوَ الْقٰاهِرُ فَوْقَ عِبٰادِهِ و لكن تقدير اللّه للبشر ليس عبثا،بل وفق حكمه بالغه،و خبره أزليه.

وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ فاذا علمت بأن اللّه القاهر،فلا تخف!لأن اللّه حكيم فاذا سلّمت الأمور اليه، فانه سيبلّغك الى شاطئ الأمان...

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهٰادَةً :

[۱۹]تتلاحق الأحداث،و تترى الظواهر،و تجرى سفينه الحياه فى بحر عالى الموج،عاصف الريح،و لكن وراء تلك الظواهر أنظمه حكيمه تمسكها،و اللّه من وراء تلك الأنظمه يمسك زمامها و يوجهها،فاللّه هو ضمير الكون-الذى لا يخلو منه مكان-تجد آثاره فى قطرات المطر الزاخر،فتجد وراء كل قطره-قدرته.حكمته.

هيمنته.سلطانه.نعمته.رحمته.و فضله-و الأرض حين تهش لقطرات المطر تشربها،و تحتضن حبات القمح تداعبها،حتى يتفجر الحقل روعه و خضره و نعيما، ان هناك يتجلى اللّه الحق.. فى السماء،و الأرض و الدواب..

كل شىء شاهد على ذاته،الشجر يشهد على ذاته بالمساحه التى يأخذها من الأرض،و من الفراغ،و بالثمر الذى يقدمه لك،و لكن اللّه لا يغيب عنه شىء،لأنه وراء كل شىء.انه الذى يمسك كل شىء بما أعطاه من الحركه و الفاعليه و السنن و الأقدار،فاللّه شاهد على كل شىء،و حاضر عند كل شىء،و كل شىء آيه له،لأنه منه و معه و اليه،فاللّه إذا أكبر شهاده من أىّ شىء:

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهٰادَةً قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ انه يدل على ذاته بذاته،و يدل على كل شىء،انه يعطيك السمع و البصر و البصيره،و يتجلى بآياته فى مهرجان الحياه حتى تعيش معه فى كل لحظه و مع كل شىء.يبقى أنت الذى قد تغيب عن ربك(دون أن يغيب عنك)انه قريب المسافه، بينك و بينه لحظه الالتفات و التوجه،و لكى لا تغيب عنه،و لكى تتكامل ذاتك الى مستوى العيش مع ربك.أرسل الأنبياء،و زودهم بالكتاب لينذرك لأن الإنذار أقرب الطرق الى قلب البشر ان البشر غافل بطبعه،و سلاح الخوف أفضل وسيله لخرق حجب الغفله عن قلبه.

وَ أَوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ أَ إِنَّكَمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أَخْرىٰ قُلْ لاّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ وَ إِنَّنِى بَرِىءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ إننى لا أرى أثرا يذكر لغير اللّه سبحانه،فكيف يمكننى أن أشرك باللّه؟إننى لا أشهد بغير اللّه،و إنى أحارب بكلّ صراحه ما تشركون.

ص:۳۵

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۲۰ الی ۲۴]

اشاره

اَلَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ اَلْکِتٰابَ یَعْرِفُونَهُ کَمٰا یَعْرِفُونَ أَبْنٰاءَهُمُ اَلَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۲۰) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَریٰ عَلَی اَللّٰهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِآیٰاتِهِ إِنَّهُ لاٰ یُفْلِحُ اَلظّٰالِمُونَ (۲۱) وَ یَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِینَ أَشْرَکُوا أَیْنَ شُرَکٰاؤُکُمُ اَلَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۲۲) ثُمَّ لَمْ تَکُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا وَ اَللّٰهِ رَبِّنٰا مٰا کُنّٰا مُشْرِکِینَ (۲۳) اُنْظُرْ کَیْفَ کَذَبُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا کٰانُوا یَفْتَرُونَ (۲۴)

ص:۳۶

هدى من الآيات:

الحق-كالركن الشديد-تعتمد عليه إذا اعترفت به و صدقته،أما الباطل فهو سراب،لا وجود له الا فى خيال من يؤمن به،فهو الذى يعتمد عليك،و يكلّفك عناءه.

و القرآن حق تعرفه كما تعرف أبناءك، فكما أن أبناءك امتداد لشخصيتك، تستعين بهم فى حياتك،كذلك القرآن انه من يكذب بالقرآن،أو يختلق لذاته كتابا كاذبا يفقد هذه القدره الهائله و لا ينال السعاده بتلك الاكذوبه.

و فى الآخره تتوضح الحقيقه كامله.إذ يضل عن الكفار الشركاء فلا ترى لهم أثرا،و آنئذ يتبرأ منهم المؤمنون و هم أيضا يحلفون بالله انهم لم يكونوا يؤمنون بهم، و لكن هل ينفعهم ذلك اليوم هذا التبرى..كلا.

حول هذه النقاط-تتحدث آيات هذا الدرس.

بينات من الآيات:

علاقه القرآن بالشخصيه الانسانيه:

[۲۰]الكتاب نعمه من اللّه على المؤمنين،و المؤمنون يعرفون قدر الكتاب.إذ أنه بالنسبه إليهم كما أبناءهم،يعرفونه انه حقيقه كما الأبناء حقيقه،و أن-ملامحه، بيناته و متشابهاته،ناسخه و منسوخه،بصائره و أحكامه-واضحه لهم،كما هى ملامح أبنائهم الذين هم أقرب الخلق إليهم،و أنه يزيدهم قوه و أملا،كما الأبناء يزيدون الآباء قوه فى الحاضر،و أملا فى المستقبل،و أهم من ذلك كله أن الأبناء هم امتداد لشخصيه الأب،يجد الأب فيهم صوره ثانيه من ذاته،و مرآه لقدراته و قيمه، و تحقيقا لإرادته،و كذلك القرآن يبلور شخصيه المؤمن،و يحقق ذاته،و يصبح إذا عرفه الإنسان صوره عن قيمه و تطلعاته و مستقبله.

من هنا فان الكفر بالقرآن يساوى الكفر بالشخصيه الانسانيه،و بالتالى يعنى خسران الذات و فقدانها،انک حين تفقد-لا سمح الله-ابنک تشعر و كأنک قد خسرت جزءا من ذاتک،بيد أنک حين تكفر بكتاب الله فأنک تخسر نفسک أيضا.

اَلَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ يَعْرِفُونَهُ كَمٰا يَعْرِفُونَ أَبْنٰاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ

وَ لٰكِنْ كٰانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ :

[۲۱]حين يكذب المرء بآيات اللّه لا يعيش فى فراغ،بل يبحث عن أراجيف يؤمن بها و كأنها آيات من اللّه،بل و يبدأ المرء فى خلق الأراجيف،أو تقليد آبائه أو مجتمعه فى الايمان بها،و افترائها على اللّه،ثم يكفر بآيات اللّه الصحيحه،و بذلک يكون أظلم الناس،إذ قد يكون مجمل سلوک الشخص صحيحا،و لكنه ينحرف فى جانب من حياته،أو فى بعض الأوقات فحسب،أما من يتخذ مسيره منحرفه و يؤمن

بنهج خاطئ،فانه لا يخطو خطوه الا و يبتعد عن الحق بقدرها،و يظلم نفسه و الآخرين،و إذا كان الظالم لا يسعد بالظلم فكيف بهذا الذى يبنى كل حياته على الظلم من بدايتها حتى نهايتها؟! وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ [۲۲]الحق تعيش عليه،و الباطل يعيش عليك،فأنت الذى تصنع الباطل، و تجهد نفسك فى الدفاع عنه،و لكنه يزول دون أن ينفعك فى ساعه العسره،بينما الحق يبقى ينصرك دون عناء منك.

و عند ما تبلى السرائر فى يوم القيامه و تتعرى الحقائق.آنئذ تكتشف ان الباطل يضيع عنك،فلا تجد له أمرا-و كذلك كان فى الدنيا-إلاّ أن أهل الباطل يخلقون الباطل بأساطيرهم و بخيالاتهم،فيزعمون:انه موجود فعلا،كما لو أنك ترى سرابا فى الصحراء تحسبه ماء،و انما هو سراب،لا وجود له إلا فى بؤبؤه عينيك.

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فيلتفت المبطل يمنه و يسره فلا يجد لهم أثرا..

[۲۳]انئذ يتراجع عن شركائه،و يحلف بالله:انه لم يتخذهم بديلا عن الله و عن الحق! ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّ أَنْ قالُوا وَ اللّهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشْرِكِينَ هكذا خدعوا و ضلوا و أضلوا.هذه كانت نتيجه ضلالتهم و فتنتهم و خداعهم.

إنهم يتبرءون من الشركاء.إذا لماذا لا يتبرءون عنها اليوم.و قبل فوات الوقت؟!

ص:۳۹

[۲۴]و کـانت عـاقبه هؤلاء أنهم کفروا بالباطل الـذی کانوا یؤمنون به، و حلفوا الایمان المغلّظه أنهم لم یکونوا-حتی فی السابق- یؤمنون به،أما الباطل فقد ضل عنهم،و لم یبق له أثر.

اُنْظُرْ کَیْفَ کَذَبُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ بالأمس کانوا متحمسین للباطل،و الآن ینکرونه،و یکذبون علی أنفسهم بهذه الأفکار.

وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا کٰانُوا یَفْتَرُونَ دعنا إذا لا نخلق أصناما نؤمن بها،و لا نفتری علی اللّه أفکارا باطله ندان بها .

ص:۴۰

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۲۵ الی ۲۸]

اشاره

وَ مِنْهُمْ مَنْ یَسْتَمِعُ إِلَیْکَ وَ جَعَلْنا عَلی قُلُوبِهِمْ أَکِنَّهً أَنْ یَفْقَهُوهُ وَ فِی آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ یَرَوْا کُلَّ آیَهٍ لا یُؤْمِنُوا بِها حَتّی إِذا جاؤُکَ یُجادِلُونَکَ یَقُولُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هذا إِلاّ أَساطِیرُ اَلْأَوَّلِینَ (۲۵) وَ هُمْ یَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ یَنْأَوْنَ عَنْهُ وَ إِنْ یُهْلِکُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما یَشْعُرُونَ (۲۶) وَ لَوْ تَری إِذْ وُقِفُوا عَلَی اَلنّارِ فَقالُوا یا لَیْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُکَذِّبَ بِآیاتِ رَبِّنا وَ نَکُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِینَ (۲۷) بَلْ بَدا لَهُمْ ما کانُوا یُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ (۲۸)

اللغه

۲۵[أکنّه]:الاکنه جمع کنان،و هو ما وقی شیئا و ستره،و استکن الرجل من الحر،و اکتن استتر.

[وقرا]:الوقر الثقل فی الاذن،و الوقر-بکسر الواو-الحمل.

۲۶[ینأون]:النأی البعد،و منه أخذ النوی و هو الحاجز حول البیت لئلا یدخله الماء.

ص:۴۱

حينما تكون القلوب فی أكنّه

هدى من الآيات:

فی سياق الآيات التی توضح عوامل الكفر النفسيه،يأتی هذا الدرس ليبيّن:أن مجرد الاستماع الی الحق لا يكفی للايمان به،إذ ان المهم هو قلب الإنسان الذی لو لم يزكّ من عوامل الانحراف فان أذنه تثقل،و عينه لا تبصر،و لسانه لا يلهج الا بالجدل و البهتان-فمثلا-لا يفرق صاحب القلب المريض بين الرساله الجديده، و بين الأساطير القديمه،و هؤلاء لا يبتعدون عن الحق فقط،بل و ينهون الناس عنه و هم لا يعرفون قيمه الحق،و أنه يساوی أنفسهم.

و فی يوم القيامه يدين هؤلاء أنفسهم علی فعلتهم السابقه و التی تمثلت فی الكفر بالحق بالرغم من وضوحه أمامهم،و لو ردّوا الی الدنيا لعادوا الی كفرهم،و السبب هو ان الكفر ليس نتيجه غموض فی الحق،أو عدم صحه آياته،بل هو نابع من مرض فی قلوبهم و ما دام المرض موجودا فان التوبه الظاهريه لا تكفی.

ص:۴۲

بينات من الآيات:

العوامل النفسيه للكفر:

[٢٥]بالرغم من ان الإنسان يملك العقل و السمع و البصر،و بالرغم من أن آيات الحق و علاماته و دلائله واضحه للعقل،فان ذلك لا يكفى فى ايمان الشخص بالحقيقه،إذ أن هناك إراده حره فوق العقل،توجه العقل و الاحساس،و فى الطرف الآخر هناك النفس البشريه المليئه بالعواطف و العقد و الأمراض.من حب الذات، الى الاهتمام بالمجتمع،الى الاسترسال مع التقاليد.

فاذا اختار البشر بإرادته الحره جانب النفس و أهوائها و عقدها و تقاليدها و امراضها،فانها سوف تلغى دور العقل عنده،و تسد منافذ الاحساس لديه،و تغلف قلبه بكثافه حتى لا يتسرب اليه نور الحقيقه.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ إذ ان الاحساس وحده لا يكفى،فقد تسمع آيه و لكنك بحاجه الى قلب متفتح حتى تؤمن بها،فمثلا انك بحاجه الى عدم الأيمان المسبق بكذب الآيه،و الاّ فانك لا ترى حاجه للتفكير فيها،و بحاجه الى سكينه نفسيه،و هدوء داخلى يسمح لك بالتفكير فى الآيه،و كل ذلك غير موجود عند الكافر.

بل قد يتسبب الكفر فى أن يتبلد احساس الشخص أيضا،فيشعر أنّ فى اذنه وقر،و فى عينيه ضعف،إذ ما دام القلب مغلق عن فهم الحقيقه،فانه لا يشعر بحاجه الى استخدام الاحساس.

وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً أى ثقلا لا يمكنهم ان يسمعوا بوضوح.

ص:٤٣

وَ إِنْ یَرَوْا کُلَّ آیَهٍ لاٰ یُؤْمِنُوا بِهٰا حَتّٰی إِذٰا جٰاؤُکَ یُجٰادِلُونَکَ یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ أَسٰاطِیرُ الْأَوَّلِینَ ان القلب المغلق یجعل أحاسیسه فی خدمه انغلاقه،و أفکاره المیته،فالأذن تثقل عن سماع الحقیقه،و العین تعمی عنها،و اللسان یجادل و یغالط فیها.

[۲۶]الحق هو ضمان حیاه النفس،و تحقیق الذات یتحول فی عین هؤلاء الی بعبع ینهون الناس عنه،و یبعدون عنه بأنفسهم،و بذلک یخسرون ما به حیاتهم و شخصیتهم و استمرار کیانهم.

وَ هُمْ یَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ یَنْأَوْنَ عَنْهُ وَ إِنْ یُهْلِکُونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا یَشْعُرُونَ لا یشعرون أی خساره کبری تلحقهم بابتعادهم عن الحق.

علی شفیر الهاویه:

[۲۷]و حین یمس المکذبون العذاب یدرکون مدی الخساره التی لحقتهم بترک الحق.

وَ لَوْ تَریٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَی النّٰارِ فَقٰالُوا یٰا لَیْتَنٰا نُرَدُّ وَ لاٰ نُکَذِّبَ بِآیٰاتِ رَبِّنٰا وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ حین یشتد المرض بابنک البکر،و یشرف علی الهلاک،یعمل انئذ فکرک بسلامه بعیدا عن مؤثرات الخطأ فمثلا:آنئذ لا تفکر فی أن الدکتور القریب من بیتک صدیقک،و أنک تستحی منه،و لهذا تفضله-مثل سائر الأوقات-علی غیره من الأطباء،و لا تزعم أن طبیب الأسره الذی تعودت علیه خیر من غیره،و لا تنظر الی أقوال الناس فتتبعهم بالرغم من علمک بأنهم لا یعقلون،بل تبحث عن طبیب

حاذق يخرج مريضک من دائره الخطر حتی و لو کان عدوک،فأنک تذهب الیه صاغرا ذلک لأنک آنئذ تبحث فقط و فقط عن الحقیقه.بعیدا عن أیّ اعتبار آخر.

[۲۸]و حین یشافی الله ابنک من المرض الخطیر،فان کل تلک الاعتبارات السخیفه تعود إلیک.لماذا؟لأنها راسخه فی ذهنک،و ما استطعت أن تنظف نفسک من آثارها،کذلک حال الکفار حین یقفون علی النار یتمنون لو یعودون الی الدنیا، فیصححون أخطاءهم،و لکن هل یفعلون ذلک.کلا.

بَلْ بَدٰا لَهُمْ مٰا كٰانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ أی ظهرت لهم الحقائق التی أخفوها عن أنفسهم و عن الناس تعمدا.

وَ لَوْ رُدُّوا لَعٰادُوا لِمٰا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ إذ أن نفوسهم مریضه و لا تزال تعانی من انغلاق،فلا بد إذا من تطهیرها،و فتح منافذها علی نور الحقیقه.

ص:۴۵

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۲۹ الى ۳۱]

اشاره

وَ قٰالُوا إِنْ هِيَ إِلاّٰ حَيٰاتُنَا اَلدُّنْيٰا وَ مٰا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (۲۹) وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ قٰالَ أَ لَيْسَ هٰذٰا بِالْحَقِّ قٰالُوا بَلىٰ وَ رَبِّنٰا قٰالَ فَذُوقُوا اَلْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۳۰) قَدْ خَسِرَ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقٰاءِ اَللّٰهِ حَتّٰى إِذٰا جٰاءَتْهُمُ اَلسّٰاعَةُ بَغْتَةً قٰالُوا يٰا حَسْرَتَنٰا عَلىٰ مٰا فَرَّطْنٰا فِيهٰا وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزٰارَهُمْ عَلىٰ ظُهُورِهِمْ أَلاٰ سٰاءَ مٰا يَزِرُونَ (۳۱)

اللغه

۳۱[بغته]:كل شیء أتی فجأه فقد بغت.

[يا حسرتنا]:الحسره شده الندم.

[ما فرّطنا]:التفريط التقصير و أصله التقديم،و الإفراط التقديم فی مجاوزه الحد، و التفريط التقديم فی العجز و التقصير.

[أوزارهم]:الوزر الثقل و اشتقاقه من الوزر و هو الحبل الذی يعتصم به،و منه قيل وزر فهو موزور إذا فعل به ذلك،و حيث أن الذنوب ثقلا تسمی أوزارا.

ص:۴۶

حینما یقصر النظر

هدی من الآیات:

إن النظره القاصره التی تحصر حیاه الإنسان بالـدنیا.إنها مسئوله الی حدّ بعید عن کفر الإنسان بالحق،و فوق ذلک ان أمام عین البشر غشاوه من زینه و شهوات تمنعه عن الایمان بالآخره،و لکن ألا یتصور البشر أنه غدا حین یواجه الحق بکل عنفه و قدرته و هیمنته، فما ذا یمکن ان یفعل حین یقف أمام الله لیری النار اللاهبه؟! حینها ینـدم علی تکـذیبه فی الـدنیا للقاء ربه فی الآخره،و حینها یجر آهات الحسره علی ماضیه الذی خسره،و یثقل ظهره بذنوبه.

بینات من الآیات:

اشاره

[۲۹]دعنا نعقل الحقیقه قبل فوات الأوان.الحقیقه هی ان الـدار الـدنیا لیست سوی لعب و لهو و ما الحیاه الحقیقیه الاّ فی الآخره لمن اتقی ربه من هنا قال ربنا سبحانه:

وَ قٰالُوا إِنْ هِیَ إِلاّٰ حَیٰاتُنَا الدُّنْیٰا وَ مٰا نَحْنُ بِمَبْعُوثِینَ

ص:۴۷

و هذه كما سبق–و ان قلنا–أصل الفساد الفكرى عند الإنسان..

كيف تستوعب الغيب؟

[۳۰]إذا قدمت إليك تفاحه،فأردت أن تعرفها جيدا،فلا بد أنك تقلبها من أطرافها،و إذا فكرت فى شراء بيت فانك تتفقد جميع جوانبه،أما إذا أردت التعرف على حادثه اجتماعيه أو ظاهره طبيعيه،فان عليك أن تبحث عن مبتدئها و نهايتها، عن أولها و آخرها،فلرب حادثه أولها خير و عاقبتها شر،و لرب ظاهره تبدء نافعه و تنتهى ضاره مفسده،و العكس صحيح،كذلك الحياه لا تعرف بنيانها،و مرسى سفينتها،و ساعه قيامتها،و كل حادثه أو ظاهره تدخل ضمن اطار الحياه تقاس هى الاخرى بهذا الميزان.أى بنهايه الدنيا.ذلك ان مصير ركاب السفينه متعلق بمصير السفينه.كذلك سفينه الحياه تتعلق بها كل الحوادث التى تقع ضمنها.

و القرآن الحكيم يدعنا أبدا نتصور نهايه الحياه لنعرف بدقه أكثر ذات الحياه، و ما بها من احداث،و بالتالى ليكون لدينا مقياس نستطيع أن نحكم بسببه على الاحداث حكما سليما.

و السؤال:لماذا يستخدم القرآن أسلوب التصوير فى هذا الجانب؟.

الجواب:لأنّنا من الناحيه العلميه قد نكون مقتنعين بالغيب و بالعاقبه أو حتى بالقيامه و لكن ثقل الشهود و حضور الأحداث و الظواهر التى نعايشها الآن تمنعنا عن التوجه الى الآخره،و هنا نحتاج إلى قوه التصور لنعبر فوق جسره إلى شاطئ الغيب، هناك حيث لا يثقل أحاسيسنا حضوره الفعلى،لذلك تجد القرآن يقول هنا:

وَ لَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ قٰالَ أَ لَيْسَ هٰذٰا بِالْحَقِّ قٰالُوا بَلىٰ وَ رَبِّنٰا قٰالَ فَذُوقُوا الْعَذٰابَ بِمٰا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

ص:۴۸

انک حین تقف فوق تلّ مشرفا علی رابیه،یمتد بصرک إلی ابعاد الرابیه و أطرافها، و تصبح و کأن الرابیه ورقه فی یدک.

و فی یوم القیامه حین نشهد آیات ربنا،هنا جهنم تلتهب نارا و عذابا،و هنالک الجنه تنبسط بنعیمها و جمالها،و هنا المیزان الحق،و هناک الکتاب الذی أحصی کل شیء.آنئذ نقف علی ربنا،و تکرهنا القضایا الساخنه علی الایمان به،و یستشهدنا الله علی نفسه تعالی: قَالَ أَ لَیْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ؟قَالُوا:بَلیٰ وَ رَبِّنَا.قَالَ:فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ .إنه الحق الذی سوف نضطر الی الایمان به یوما ما،فلما ذا لا نؤمن به الآن حتی ینفعنا ایماننا،لماذا نکفر به،لنذوق العذاب إذا؟

شیء من الواقع:

[۳۱]ان التکذیب بالمعاد یشوش علی البشر رؤیه الحقائق فی الدنیا،و یدفعه الی التکذیب بالحقائق جمیعا،و یکون مثله کمن یکذب بالموت و یری أنه لن یموت،فهو یکذب بآثار مرض السرطان،یتورم جسمه فیقول:کلا- انه لا- یدل علی الموت المرتقب،.یتألم جسمه و یحرقه،و لکنه یصر قائلا:لیس ذاک دلیلا علی الانتهاء، فیؤکد له الدکتور و سائر العقلاء ذلک،و لکنه یصرّ مستکبرا علی قوله.ذلک لأنه لم ینظم زاویه فکره وفق الموت الحق،فاختلطت علیه الحقائق جمیعا.کذلک الذی لا یؤمن بلقاء اللّه یکفر بکل شیء حتی یخسر نفسه نهائیا.

قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللّهِ حَتّٰی إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا یَا حَسْرَتَنَا عَلیٰ مَا فَرَّطْنَا فِیهَا وَ هُمْ یَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلیٰ ظُهُورِهِمْ وزر التکذیب بالآخره،و وزر الأعمال السیئه التی ارتکبوها بهذا السبب أَلاٰ سَاءَ مَا یَزِرُونَ .

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۳۲ الی ۳۵]

اشاره

وَ مَا اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا إِلاّٰ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدّٰارُ اَلْآخِرَهُ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۳۲) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَیَحْزُنُکَ اَلَّذِی یَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاٰ یُکَذِّبُونَکَ وَ لٰکِنَّ اَلظّٰالِمِینَ بِآیٰاتِ اَللّٰهِ یَجْحَدُونَ (۳۳) وَ لَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ فَصَبَرُوا عَلیٰ مٰا کُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّٰی أَتٰاهُمْ نَصْرُنٰا وَ لاٰ مُبَدِّلَ لِکَلِمٰاتِ اَللّٰهِ وَ لَقَدْ جٰاءَکَ مِنْ نَبَإِ اَلْمُرْسَلِینَ (۳۴) وَ إِنْ کٰانَ کَبُرَ عَلَیْکَ إِعْرٰاضُهُمْ فَإِنِ اِسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِیَ نَفَقاً فِی اَلْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِی اَلسَّمٰاءِ فَتَأْتِیَهُمْ بِآیَهٍ وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَی اَلْهُدیٰ فَلاٰ تَکُونَنَّ مِنَ اَلْجٰاهِلِینَ (۳۵)

اللغه

۳۵[نفقا]:النفق سرب فی الأرض له مخلص الی مکان آخر،و أصله الخروج،و منه المنافق لخروجه من الایمان الی الکفر.

[سلّما]:السلّم الدرج و هو مأخوذ من السلامه.

كيف تحدى الرسل

اشاره

اعراض الجاحدين؟

هدى من الآيات:

لكى يبقى المؤمن جبلا أشـما يتحـدى الصـعاب،لا بد أن يعرف حقيقه الدنيا التى ما هى سوى لعب و لهو،أما دار الاقامه الدائمه فهى الآـخره،و من ذلـك أن قلب الرسول يجب ألاّـ يتـأثر بسـبب كفر المشـركين الـذى يجحـدون بآيات الله حين يكـذبون به،و هـدفهم ليس الرسول بقـدر ما هو الحق و الايمان،و كما يكـذب الظالمون اليوم بالرسول فأن رسل الله السابقين قد كذّبوا أيضا،و لكنهم صبروا حتى آتاهم نصر اللّه.

و هـل هنـاك حيله أخرى للرسول فى الأمر.هل يسـلك نفقا فى الأرض،أو يصـعد بسـلّم الى السـماء ليأتيهم بآيه،و لو فعل ذلك فهل ينفعهم؟!اعلما بأن اللّه لا يريد أن يجبرهـم على الهدى،و لو شاء لفعل ذلك بقدرته التامه.

بينات من الآيات:

واقع الحياه و حقيقه الآخره:

[۳۲]هل نستطيع ان نحدد هدفا معقولا للحياه الدنيا لو لم نجعلها مقدمه

ص:۵۱

للآخره،و عموما هل نستطيع ان نخطط لهذه الحياه التى تنتهى فى أيه لحظه،و ربما دون تحذير مسبق،و تتفاعل فيها عوامل و مؤثرات غير محدوده؟ ان كانت الحياه الدنيا تمهيدا للآخره،و دوره تدريبيه لتكامل البشر،لاعداده لدخول الجنه خالدا فيها،فان كل ما فيها سوف يصبح معقولا و حكيما،و تكون الآخره لا الدنيا هى الدار الدائمه للاقامه،و لكنها لا تكون الا لمن اتقى فى الدنيا.

وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ اللعب هو العمل بوعى و هدف،و لكن دون هدف حكيم، اما اللهو فانه من دون وعى أو هدف.

وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلاَ تَعْقِلُونَ العقل يحكم بان الدنيا ليست بدار الاقامه،و أنها ليست هدفا نهائيا للبشريه.

لماذا الحزن؟

[٣٣]إذا كانت الدنيا قاعه امتحانات يتخرج منها المتقون بنجاح،و يستلمون شهاده الايمان،و بطاقه دخول الجنه،فعلينا ألّا نحزن على الظالمين الذى يعادون الرسول،و قبل الرسول يعادون الحق،و يجحدون بآيات اللّه،و بالتالى يظلمون أنفسهم فلما ذا نحزن عليهم؟! قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ من التكذيب بك و برسالتك،و لكن مهلا.

فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَ لٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ

مع علم مسبق بأنه حق،فالحزن عليهم لماذا؟! [۳۴]و للرسول فى الرسل السابقين أسوه حسنه،فكم قد كذّبوا و كم أوذوا، و لكنهم صبروا حتى جاءهم نصر الله،و تلك هى سنه الله لا تبديل لها،و تلك هى كلمته التى لا تبديل فيها و ها هى أنباء الرسل تذكّر للرسول فى القرآن ليتخذ منها عبرا كافيه.

وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلىٰ مٰا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّٰى أَتٰاهُمْ نَصْرُنٰا وَ لاٰ مُبَدِّلَ لِكَلِمٰاتِ اللّٰهِ و منها هذه الكلمه أن صاحب الرساله حين يتعرض للصعاب و يصبر،فأن الله ينصره بالتالى.

وَ لَقَدْ جٰاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ [۳۵]و ماذا يمكن ان يفعله الرسول ما دام الظالمون يجحدون بآيات الله بعد اليقين بصدقها ظلما لأنفسهم،فهل يسلك طريق ۳ فى الأرض خارقا للعاده،أو يصعد الى السماء بسلّم،ثم يأتيهم بآيه،أو ليست الآيات الهابطه كافيه لهم لو كانوا يريدون الايمان بالله و برسالاته؟! وَ إِنْ كٰانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرٰاضُهُمْ و كان ذلك عظيما فى عينك.

فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمٰاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ اى تفتش عن طريق تحت الأرض أو فوق السماء من أجل الحصول على آيه خارقه لكى يؤمنوا بها،فأن استطعت أن تفعل ذلك فافعل،فهل فيها فائده؟

نعم هناك سبيل واحد لهدايه هؤلاء،و هو أن يجبرهم ربهم على الهدى،و لكن هل يفعل ربنا ذلك؟كلا..لأنه لو شاء لفعل ذلك بأهل الأرض جميعا..

وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدىٰ فَلاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْجٰاهِلِينَ الـذين يريـدون تحقيق شـىء معين بالرغم من سـنن اللّه و حكمته،و أنظمه الكون التى جعلها الله،ان عليك ان تتحرك فى حدود هذه السنن القائمه،و الانظمه السائده فى الكون.

ص:۵۴

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۳۶ الى ۳۹]

اشاره

إِنَّما يَسْتَجِيبُ اَلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَ اَلْمَوْتىٰ يَبْعَثُهُمُ اَللّٰهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (۳۶) وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اَللّٰهَ قٰادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (۳۷) وَ مٰا مِنْ دَابَّةٍ فِي اَلْأَرْضِ وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ مٰا فَرَّطْنٰا فِي اَلْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (۳۸) وَ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِي اَلظُّلُمٰاتِ مَنْ يَشَأِ اَللّٰهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۳۹)

ص:۵۵

هکذا استجاب من سمع،

اشاره

و ضل الصم البکم

هدی من الآیات:

حین یعطب جهاز الاستقبال،فان کثافه الأمواج لا تزیده الا عطبا،و حین یموت قلب الإنسان فان المزید من الدلائل لا تنفع صاحبها.انک تری الکفار یطالبون بالمزید من الآیات، و المشکله لیست فی قدره الله علی أن ینزل المزید منها، و لکن المشکله فی فائده الآیات للذین تعطل عندهم جهاز الفهم،ان نظره واحده الی الحیاه و ما فیها من دابه،أو طائر فی السماء لا فرق تکفینا دلیلا علی عظمه الخالق، حیث أنها جمیعا تسیر وفق نظام اجتماعی معین،و تنتهی الی الله،و لکن هل تکفی هذه الآیات العظیمه لأولئک الذین فقدوا القدره علی التعبیر لأنهم فقدوا السماع و التفاعل مع الحیاه الحقیقیه؟!انهم صم بکم یعیشون فی ظلمات الجهل و الجهاله، لان الله سلب منهم نعمه العلم و الهدایه(بعد ان رفضوا الانتفاع بهما)فتاهوا فی صحراء الضلاله،أما الصالحون فقد هداهم الله الی الصراط المستقیم الذی یسیر بهم الی أهدافهم السامیه من أقرب الطرق.

ص:۵۶

بينات من الآيات:

عند ما يعطب جهاز الاستقبال:

[۳۶]لقد زود الله عباده جميعا بالفهم،فالكل زوّد مثلا بالسمع،و لكن البعض منهم فقط هو الذى يسمع.أى ينتفع بوسيله السمع،لأنه يريد ذلك،و حين يسمع المرء نداء ربه الى الخير يستجيب لهذا النداء،فيعمل بما يأمره الله،أما حين يموت القلب و تسترخى الاراده،و يتعطل جهاز السمع،فأن الأمل مفقود فى هدايه الإنسان آنئذ.الا إذا شاء الله ذلك بمشيئته الخارقه لسنن الطبيعه،و لكن هل يفعل ذلك ربنا فى الدنيا.أم أن الله إنما يهدى الناس للحقائق بهذه الصوره فى الآخره حين يحشرهم جميعا ليحاسبهم.آنئذ لا تنفع الهدايه شيئا.

إِنَّمٰا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَ الْمَوْتىٰ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ [۳۷]و لا يزال الكفار يطالبون بالمزيد من الآيات،و الله قادر على أن يستجيب لطلبهم،و لكن ما ذا ينفعهم ما داموا فاقدين لجهاز العلم؟! وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّٰهَ قٰادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً كما أنزل الآيات السابقه،بيد أنّ المشكله ليست فى قله أو كثره الآيات،بل فى العلم بها،فلو كانت عين الفرد عمياء..فهل تنفع إضاءه المزيد من المصابيح.

وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ [۳۸]و الدليل على ان العبره ليست فى زياده الآيات،بل فى العلم بها و ادراك ما وراءها من حقائق..الدليل الأحياء الذين لو أمعنت النظر فى حياتها لرأيت أمه مثل البشر،لهم نظامهم و علاقاتهم و أهدافهم فى الحياه،ثم إنهم كما البشر يحشرون الى ربهم،أ فلا تكفى تلك الآيات العظيمه،و لكن قليلا من الناس يفهمون هذه

الآيات؟!الذلک یقول ربنا:

وَ مٰا مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ ای ما من متحرک من الأحیاء،النمله و أصغر منها،و الفیل و الحوت و أکبر منهما.

وَ لاٰ طٰائِرٍ یَطِیرُ بِجَنٰاحَیْهِ ای کل طائر فی السماء،و إنما ذکرت کلمه یطیر بجناحیه هنا للدلاله علی التعمیم،کما ذکرت کلمه فی الأرض هنا لنفس السبب.

إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُکُمْ الا أمم مثل سائر الأمم البشریه،لها انظمتها و قوانینها،و سیدها و مسودها.

مٰا فَرَّطْنٰا فِی الْکِتٰابِ مِنْ شَیْءٍ ان الکتاب هو کتاب الله،و الله لا یبالغ و لا یتطرف فی کلامه،بل ان کلامه تعبیر دقیق عن الحق دون زیاده أبدا،لان الحق الذی خلقه الله،و یعلم أبعاده أکبر بکثیر من المقدار المناسب لفهم الإنسان،علی ان فهم الإنسان عظیم،و ان هذه الأمم تسیر وفق نظام قدره الله فی الدنیا أما فی الآخره:

ثُمَّ إِلیٰ رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ

وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا صُمٌّ وَ بُکْمٌ فِی الظُّلُمٰاتِ :

[۳۹]هذه آیات الله منتشره فی الکون،فمن ینکرها و من یکذب بها؟ انما یکذب بها من فقد تفاعله مع الحیاه.فهو أصم و أبکم یعیش فی ظلمات لا

یری شیئا.

وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا صُمٌّ وَ بُکْمٌ فِی الظُّلُماتِ الظلمات هنا هی:الجهل و الجهاله و الشهوات،و کل واحده منها حجاب بین الإنسان و بین الحقیقه،و اللّه سبحانه هو الذی یزوّد الإنسان بنور الهدایه،و مستحیل أن یصل الإنسان الی الهدایه من دون التوسل به.

مَنْ یَشَأِ اللّهُ یُضْلِلْهُ وَ مَنْ یَشَأْ یَجْعَلْهُ عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ

ص:۵۹

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۴۰ الى ۴۵]

اشاره

قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اَللّٰهِ أَوْ أَتَتْكُمُ اَلسّاعَةُ أَ غَيْرَ اَللّٰهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۰) بَلْ إِيّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ (۴۱) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَ اَلضَّرّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (۴۲) فَلَوْ لاٰ إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَ لٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ اَلشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۴۳) فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّٰى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ (۴۴) فَقُطِعَ دابِرُ اَلْقَوْمِ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا وَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعالَمِينَ (۴۵)

اللغه

۴۲[البأساء و الضراء]:البأساء من البأس و الخوف،و الضراء من الضر،و قد يكون البأساء من البؤس اى الفقر.

[يتضرعون]:التضرع التذلل.

۴۴[مبلسون]:المبلس الشديد الحسره،و قيل المبلس المنقطع الحجه.

ص:۶۰

هكذا ترفع المآسى حجب الضلال

هدى من الآيات:

فی الـدرس السـابق ذکّرنـا الله بـأن النقص لیس فی آیـات الله،بـل فی فهم الآیـات و الاهتـداء عن طریقها الی الحقیقه،و فی هـذا الـدرس یبین القرآن:کیف أن البشـر قـد تتطور حـالته،فیصـلح جهـاز الاسـتقبال عنـده،فیهتـدی بهـذه الآیـات التی کان یفکر بها سابقا،یهتدی بها ذاتها الی الله مما یدل:

أولا:علی أن الخلل کان من عند البشر نفسه.

ثانیـا:علی أن الإنسـان کان مخطئا تمام الخطأ حینما کفر بربه.و لکن متی تتطور حاله الإنسان؟ تتطور حاله الإنسان عنـد ما یواجه الحقیقـه عـاریه،و بلاـ غمـوض فی حالاـت مـواجهه شدائـد الحیـاه،هنالـک یـدعو الإنسـان ربّـه و ینســی کـل أولئـک الشـرکاء المزعومین،و أساسا الحکمه من بعض الشدائد التی تصیب الناس هی کشف

الحقائق لهم،و إعادتهم الى فطرتهم التوحيديه النقيّه،و لكن كثيرا من الأمم السابقه قست قلوبهم،فلم تعد تتقبل حتى الصدمات القويه الآتيه من الشدائد،فلا يلبثون بعد انتهاء فتره المصيبه أن يعودوا الى عاداتهم السيئه،و هناك يستدرجهم الله الجبار ببعض الرخاء حتى يفقدوا كل ما عندهم من وجدان و ايمان و هناك يأتيهم العذاب المدمر،الذى يقطع دابرهم و ينهى حياتهم.

بينات من الآيات:

و تنسون ما تشركون:

[۴۰]

جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام.يقول: يا ابن رسول الله دلنى على ربى.فقال الامام:يا هذا هل ركبت البحر؟قال:نعم،و هل انكسرت بك السفينه؟قال:نعم قال:هل تعلق قلبك بشيء حيث لا سفينه تنجيك و لا سباحه تغنيك؟قال:نعم،فقال له الامام:ذلك هو الله.

فى الحالات العاديه،تتراكم ظلمات الغفله و التكبر و الجهل حول فطره البشر، اما حين يجدّ الجد،و يواجه الخطر الحقيقى،آنئذ تنحسر الظلمات من حول القلب، و يتوسل الإنسان بربه(الحق)دون غفله أو تكبر أو جهل.

قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السّاعَةُ أَ غَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ عذاب اللّه المتمثل فى الشدائد،و الساعه المتمثله فى الخطر.

ان كل واحد منا يمر بمثل هذه اللحظات الصعبه التى يكتشف فيها ربه،و لكن بعضنا فقط يبقى يتذكر تلك اللحظات بعدئذ.

[۴۱]نعم هناك يدعو الإنسان ربه،و يستجيب الله دعاءه،حينما تقتضى

الحکمه ذلک.

بَلْ إِيّٰاهُ تَدْعُونَ یعنی تدعون الله فقط دون غیره من الشرکاء.

فَيَكْشِفُ مٰا تَدْعُونَ إِلَيْهِ حین تدعون الله و تتوسلون الیه لبلوغ الهدف.

إِنْ شٰاءَ اللّه حسب حکمته ینقذکم،مما یدل علی ان اللّه لا یحتمّ علیه الدعاء،و لا یؤثر فیه،بل برحمته و حسب حکمته یفعل ما یشاء.

وَ تَنْسَوْنَ مٰا تُشْرِكُونَ ما تشرکون به من أهواء،و قوی مادیه شریره،فالإنسان یعبد أهواءه،یعبد شهوه الراحه فی ذاته،شهوه النزوه،و الجنس و الخلود،ثم یزعم أن قوی الطاغوت توفر له هذه الشهوات،فیعبد تلک القوی و یصنع لها رموزا مثل الأصنام و ما أشبه،و ربما لذلک عبر القرآن الحکیم هنا بکلمه(ما)للدلاله علی ان ما تشرکون به الله هو من الأشیاء التی لا تعقل!و هی تعود بالتالی الی شهوات الإنسان،تلک الشهوات انما یخضع لها البشر،و یخضع لمن یملکها لأنها-فی زعمه-تنفعه،و تحافظ علی وجوده و کیانه،و تحقق تطلعاته،فإذا جد الجد عرف أن کل تلک الشهوات لا تنفعه شیئا، و انما خالق البشر و مقدر أموره و مدبر شؤونه هو الذی یکشف ضره،فینسی کل تلک الشهوات و یتوب الی اللّه سبحانه.

حکمه الشدائد:

ص:٦٣

من الشدائد البسيطه و حتى الآلام،التى تصيب البشر هى توعيته بحقائق الأمور بدءا من الشدائد البسيطه و حتى الآلام و إلى أن يصل إلى العذاب فالساعه، فمثلاـ الحكمه من الأحساس بالجوع هو التفتيش عن مصدر الغذاء،و التحرك إليه، و من خلال الأحساس و التفتيش و التحرک تنفتح أمامک أبواب المعرفه،و لو لم يكن البشر يحس بالجوع إذا لما كان يعرف جزء كبيرا من الحياه،و لم يكن يعرف الزراعه و الرّى و الصيد..إلخ،و كلما كان حصول البشر على الغذاء أسهل كلما كانت معرفته بالحياه أقل،و الألم يجعلک تحس بالحياه بشكل أعمق من ذى قبل إنک لا تعرف أساسا موقع كبدک أو كليتک أو حتى قلبک إلا بعد أن يتألم هذا العضو أو ذاک،و عندئذ تتحسس ليس فقط بوجود العضو،و أنما بأهميته أيضا،و تتشبث به أكثر.

أن المريض أشد تعلقا بالحياه،و أرهف إحساسا بأهميتها من غيره،و الشدائد فى الحياه تكشف نقاط ضعف الإنسان.سواء الفرد أو الامه،مثلا.الهزيمه تكشف عيوب الامه أكثر مما يكشفه ألف كتاب و كتاب.

و لذلک يذكرنا القرآن هنا،بأن الهدف من اصابه الإنسان بالمشاكل،هو نفس الهدف من بعث الرسالات و الرسل،ان الهدف من الرساله هى توعيه الإنسان بحقيقه العبوديه المطلقه التى يعيشها،و التى هى فى الواقع مفتاح صلاح الإنسان و قدرته و رفضه الخضوع للجبت و الطاغوت،و كذلک الهدف من الشدائد.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِکَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ بالشدائد الآتيه من ظلم الناس لبعضهم.

وَ الضَّرّاءِ بالشدائد التى مصدرها غضب الطبيعه.إنما أخذهم الله بذلک بعد بعث الرسل،

و ربما بسبب عدم انتفاعهم بالرسالات.

أما الهدف فقد كان:

لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ [۴۳]و بالرغم مما أخذهم الله به من العذاب فأن أولئك الذين قست قلوبهم،و لم تستوعب دروس التجربه المره،عادوا بعد النكبه الى سابق أعمالهم و عاداتهم السيئه.

فَلَوْ لاَ إِذْ جٰاءَهُمْ بَأْسُنٰا تَضَرَّعُوا اى لماذا لم تلن قلوبهم،و لم تعد الى حالتها العاديه،حيث تتأثر بالتجارب بعيدا عن نزوه الغرور،و ظلام التكبر.

وَ لٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ و لم تتفاعل مع الحياه،و انغلقت على مفاهيم ثابته جامده و صخريه،و السبب قد يكون هو التمحور حول الذات،و عدم الالتفات الى الحق،و حين تكون النقطه المركزيه فى حياه الإنسان هى ذاته،تصبح حياته بعيده عن التطور ذلك لأن كل عمل يقوم به الشخص يصبح حسنا لا بشىء،و انما لأنه هو الذى عمله،و حتى لو عمل هذا الشخص عملا من دون وعى،فانه سوف يقدسه لأنّه صدر منه،و نسب الى ذاته،و هذا هو الذى يجعلك تحتفظ بالعادات السيئه،فإذا بك متعصب لها لأنها من صنع ذاتك.

وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰانُ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ و لكن على البشر أن يعرف:أن الأعمال السيئه ليست جزءا من ذاته،و لا

تصبح كـذلك حتى و لو صـدرت هـذه الأعمـال منه،لان الإنسان قـد خلق فى أحسن تقويم،و انما الأعمال السـيئه هى من عمل الشيطان و من وحيه،و مما يزينه للإنسان.

أشراط العذاب:

[۴۴]لقد أتم الله حجته على هذه الفئه،أرسل إليهم رساله و رسولا،و أخذهم بالبأساء و الضـراء ليكون ذلك رساله واقعيه و عمليه لهم،و لكنهم لم ينتفعوا بواحـده من الحجتين..و ها هى ساعه العذاب،فكيف يعذبهم الله؟ إن الله يمهّد للانتقام بفتح أبواب الرزق عليهم من كل صوب،ثم حين يصلون الى مرحله الإشباع التام،و لا تبقى فى قلوبهم ذره من ايمان يأتيهم العذاب فجأه.

فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ أَبْوٰابَ كُلِّ شَيْءٍ مما تصوروا انه خير لهم،و لم يكن خيرا،بل هو شـر عظيم،ففتـح الله عليهم أبواب الطعام،و الجنس و الشـهره،لأنهم لم يتقيدوا بشـيء اسـمه دين أو ضمير أو نظام،بل أخذوا يتمتعون بما فى الحياه من دون قيـد أو شرط.أسـرفوا فى كـل ما هو لذيـذ.طيبا كان أو خبيثا،و أسـرفوا فى الجنس مشـروعا كان أو شـذوذا،و أسـرفوا فى التظاهر بالصلاح أو الفساد،و لكن الى متى تبقى موارد الطعام و الجنس و الشهره، و كم هى قدره البشر على استيعابها؟!بالطبع أن هناك حدودا تنفذ عندها موارد الطبيعه،و تنهك قدره البشر على استيعابها،و هى التى نسميها مرحله الإشباع،و التى تنعكس على النفس فى حاله(الفرح)أى الشعور بالكمال و الغنى و الإشباع،و عندها يكون السقوط المفاجئ.

حَتّٰى إِذٰا فَرِحُوا بِمٰا أُوتُوا أَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَةً فَإِذٰا هُمْ مُبْلِسُونَ و يكون السقوط المفاجئ نتيجه تراكمات الإسراف الدائم،و لكن لحظه

السقوط لا يشعر بها المغرور الفرح الا بعدئذ.لذلك عبر القرآن عن حالتهم:بأنهم كانوا آنئذ مبلسين،و كانوا فی ظلام دامس.

أن مثل الامه مثل الشاب الذی یسرف فی-الطعام و الشراب و الجنس و البطش و الفساد-و يستمر لفتره من الوقت حتی یشعر بأن کل لذائذ الدنيا فی متناول يده،و هو لا يدری أنّ أنواعا من المرض قد أحاطت بجسده،و أن سحبا داكنه من حقد المظلومين،و أنصار الحق تقترب منه،و فی لحظه سوداء،و ربما و هو جالس علی مائده الشراب،و لذائذ الطعام،و الی جانبه فتيات الحب،و غلمان الشذوذ،و هو فی غمره من الفرح و الإشباع،فاذا بالشرطه تداهم بيته،و إذا به يشعر بأنواع الألم و هو فی غياهب السجون،و أذا به فی موقع لعنه الناس جميعا،و أخيرا يسلّم الی حبل المشنقه غير مأسوف عليه.

كذلك الامه التی تنفلت من قيود الدين و الأخلاق،و تعمل بالظلم و البطش و تسرف فی كل شیء،انها تشعر بالغرور و الكبرياء،و لكن فی لحظه واحده يهجم عليها عدوها فيهزمها شر هزيمه و يذيقها الأمرّين.

[۴۵]و حين تنتهی هذه الحوله ينحسر غبار المعركه عن أمه سادت ثم بادت، و لم يبق منها سوی الذكر السیء.

فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ و هذا الحمد،هو حمد الناس حين يشعرون بأن كابوسا عظيما ارتفع عنهم،و هو حمد الناس حين يعرفون أن رحمه الله هی التی أنقذتهم من هذا الكابوس بفضله العظيم.

و لو لا رحمه الله الذی أجری هذه السنه الحكيمه أذا لبقيت الجماهير ترزح تحت نير الطغاه.

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۴۶ الى ۵۰]

اشاره

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اَللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصٰارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اَللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ اَلْآيٰاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (۴۶) قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتٰاكُمْ عَذٰابُ اَللّٰهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ اَلْقَوْمُ اَلظّٰالِمُونَ (۴۷) وَ مٰا نُرْسِلُ اَلْمُرْسَلِينَ إِلاّٰ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ (۴۸) وَ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا يَمَسُّهُمُ اَلْعَذٰابُ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ (۴۹) قُلْ لاٰ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزٰائِنُ اَللّٰهِ وَ لاٰ أَعْلَمُ اَلْغَيْبَ وَ لاٰ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّٰ مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي اَلْأَعْمىٰ وَ اَلْبَصِيرُ أَ فَلاٰ تَتَفَكَّرُونَ (۵۰)

اللغه

۴۶[يصدفون]:صدف عن الشيء صدوفا إذا مال عنه،و الصدف و الصدفه الجانب و الناحيه،و الصدف كل بناء مرتفع.

ص:۶۸

هل یستوی الأعمی و البصیر

هدی من الآیات:

ان الله سبحانه خلق الحیاه و جعل فیها الظلمات و النور،و العذاب و المغفره، و الشقاء و الرفاه،ثم اعطی البشر مصباح العقل لیهتدی به الی سبیل النور و المغفره، و الرفاه،و فی وسع ربنا القدیر أن یسلب نعمه العقل،فیتخبط البشر فی سبل الحیاه، کما أنه قادر علی أن ینزل علیه العذاب جهره دون أن یملک البشر له ردّا.

و لکن الله برحمته الواسعه لم یکتف بنعمته العقل،بل بعث أنبیاء مبشرین و منذرین و وعدوه بأنه ان آمن فان مصیبات الحیاه لا تصیبه،و إلا فان عذاب الله سوف یمسه و یشبع أحاسیسه ألما و رعبا.

و عند هذه النقطه تنتهی وظائف الأنبیاء،فأنهم لم یأتوا لیتخذوا قرارات بدیلا عن الناس،أو یکرهوا الناس علی اتباع الحق،أو لیوفّروا لهم الخیر،کلا.بل انما جاؤوا لیساعدوا الإنسان علی الرؤیه السلیمه،ثم یکون هو المسؤول عن ذاته.و علاقه هذا الدرس بما مضی هو بیان أن:الضراعه الی الله لا تختص بحین نزول المصیبه،

بل نحن بحاجه الى الضراعه الى الله فى كل حال.

بينات من الآيات:

أسباب الهدايه:

[۴۶]لكى نصل الى الغايه-أيه غايه-لا بد ان يتوفر لدينا شرطان:

الاول:أن يكون أمامنا سبيل معبد ينتهى الى تلك الغايه.

و الثانى:ان نملك الرؤيه الكافيه التى نكتشف بها ذلك السبيل،و الله هو الذى سنّ السنن،و عبّد السبل أمام البشر للوصول الى اهدافه النبيله،و هو الذى زود الإنسان بالرؤيه الكافيه،اما لو سلبه هذه الرؤيه فأنه سوف يصطدم بالعقبات أو يقع فى واد سحيق،و ليس فقط يضل الطريق.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصٰارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ السمع جاء مفردا فى آيات القرآن.ربما لان ما يسمعه الإنسان أقرب الى العقل،و أنسب الى المجردات و الكليات.خصوصا إذا فسرنا السمع ب(الأقوال)التى نسمعها من الآخرين حول الحقائق،بينما الأبصار جاء جمعا فى القرآن،ربما لان ما يراه الإنسان متنوع و مختلف،و أقرب الى الواقعيات الخارجيه.

و سواء ما يسمعه البشر و ينقل اليه من تجارب الآخرين و علومهم،أو ما يراه بنفسه و يحصل عليه من علم و خبره بصوره مباشره،فإنهما نافذتان الى القلب أو (الدماغ)فلو ختم الله على قلب البشر،و أزال عنه مقاييسه العقليه،و مسبّقاته الفطريه،فما ذا يبقى عنده؟انه سوف يفقد القدره على تعقل الاحاسيس،و يتجمد على ما يسمعه أو يراه دون أن يستنبط منهما حقائق جديده،أو يستدل بهما الى ما

ورائهما من حقائق و واقعیات.انه آنئذ یری شعله النار دون أن یعقل أن الشعله نذیر الحراره،و الحراره سبیل الاحتراق و الانتشار،و انها لا تنشأ بلا سبب،و ان الـذی أشعل النار کانت له دوافعه و أهدافه.کلا..إنه یری الشعله فقط،و قد یقع فیها و یحترق.کذلک الـذی یختم الله علی قلبه.یقف فی فهم الحقائق عنـد حد معیّن دون أن یصل الی الجذور البعیده لها.یری الفقر دون أن یعرف ان النظـام الاقتصـادی هو وراء الفقر.یری المرض دون أن یعرف أن اللامبالاـه فی الوقـایه هی السـبب.یری العجز الحضاری دون أن یهتدی الی ان الطاغوت هو السبب المباشر أو غیر المباشر له، و هکذا یبقی فی العذاب أبدا.

اُنْظُرْ کَیْفَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ ان الله یبیّن الآیات بصوره تفصیلیّه و واضحه و مع ذلک:

ثُمَّ هُمْ یَصْدِفُونَ أی أنهم بعد تصریف الآیات و بیانها تراهم یعرضون عنها کأنها لا تهمّهم.

بینما لو فکروا قلیلا لأدرکوا أن الإله الذی یتضرعون الیه عند ما تضرب سفینتهم الأمواج العاتیه التی تحمل فی طیاتها الموت،أو عنـد ما یلفهم التّیه فی الصـحراء و یسـتبد بهم خوف الموت،ان هـذا الإله هو الذی وفر لهم هذه الحیاه الآمنه،و أنه لو شاء لسـلب الامـان من حیـاتهم،بـل أن کـلّ لحظه تمر بهم هی لحظه رعب،و لو لا أمان اللّه القادر لسـلب منهم رحمته،و آنئـذ یکون أبسـط شیء فی الحیاه سببا فی هلاکهم فلما ذا لا یتضرعون إلی ربهم فی هذه الأوقات التی یزعمون إنها عادیه؟! [۴۷]أو تکون للإنسان أوقات عادیه،و أخری استثنائیه،أو لا یحتمل البشر فی

كل لحظه-أن يأتيه الموت-أو ينزّل عليه عذاب المرض أو المسكنه؟!و لماذا لا؟أو ليست الحياه مليئه بهذه المفاجآت،كم لحظه حملت معها رعبا و دمارا.و نحن لم نكن نحسب لها حسابا،أو كنا نعرفها و لكن دون ان نستطيع مقاومتها،فلما ذا الغرور إذا؟ قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتٰاكُمْ عَذٰابُ اللّٰهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً بغته اى:مفأجاه،مما يدل على ان علم الإنسان بالحياه علما محدود اما(جهره) فتدل على العلن،مما يدل على ان قدره الإنسان محدوده حتى و لو كان بالغا و شاملا.

هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظّٰالِمُونَ إذا كان عذاب الله لا مرد له،بقدرتنا المحدوده،اذن كيف نحصل على الامان؟ يجيب القرآن على هذا السؤال و يقول:ان الله حكيم لا يعذب عباده بلا سبب..إنما يعذب الظالمين.فإذا أحببت تجنب عذاب الله،فبإمكانك أن تعدل و تستقيم،و لا تظلم نفسك و لا الآخرين،حتى تحصل على الأمان.

مهمات الرسل و واجب الناس:

[۴۸]ثم ان الله لا يعذب الظالم مباشره و دون أن ينذره مسبقا برساله و رسول، بيد أنّ البشر قد يخطأ فى فهم دور الرسول،فيزعم أن الرسول إنما يأتى ليكون مسئولا بدلا عنهم،أو ليجبرهم على الهدى،أو حتى ليؤمّن لهم عمليا كل وسائل السعاده، بيد أن الله سبحانه يفنّد هذا الزعم قائلا:

وَ مٰا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاّٰ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ

و الهدف من بعثهم هو توفير وسيله الامان فى النفوس و فى الواقع.

فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ لا خوف لهم من المستقبل.مما يدل على وجود حاله السلام فى أنفس الذين يملكون الايمان و العمل الصالح،و لا هم يحزنون من الماضى مما يدل على وجود السلام فى الواقع الخارجى،حيث لا يصيبهم ما يحزنون بسببه.

[۴۹]تعرضنا للبشاره،أمّا الإنذار فيتلخص فى عاقبه الذين يكذبون بآيات الله،و لا يهتدون الى الحقائق بالرغم من وجود دلائل واضحه تدل عليها،و هؤلاء مصيرهم العذاب.

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا يَمَسُّهُمُ الْعَذٰابُ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ و لم يقل القرآن بما كانوا يكذبون ربما لأن التكذيب قد لا يكون وحده سببا للعذاب،بل الفسق الذى ينتهى اليه التكذيب هو السبب المباشر للعذاب،و الفسق هو تجاوز احكام الله.

حكمه الرسالات:

[۵۰]الهدف من بعث الرسل ليس سلب المسؤوليه عن الناس،و إلقائها على عاتق الرسل،كما كان يزعم البعض،و قد تطرف فريق من الناس فزعموا أن أنبياء الله مكلفون بتوفير السعاده لهم و الرفاه،و أنه لو لم يكن النبى مالكا للذهب و الفضه فسوف لا تكتمل نبوته،بينما القرآن بيّن أن الهدف من بعث الرسل هو توفير الرؤيه للإنسان،و عن طريق الرؤيه الواضحه يكون البشر قادرا على معرفه الطريق السليم، و حين يسير فيه يصل الى الفلاح:

قُلْ لاَ أَقُولُ لَكَمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللّهِ ان خزائن الله موجوده فی الأرض و فی الإنسان نفسه.

وَ لاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ إلاّ بقدر ما يعلّمنى الله بحكمته،بل العلم يحصل لكم بالتعلم و تزكيه النفس.

وَ لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّی مَلَكٌ حتى أقوم بالخارق للعاده الا فى حدود تبليغ الرساله،فأنا بدورى محتاج الى الطعام و الشراب و سوف أموت.

إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ فما عندى هو من عند الله،و ذلك عن طريق الوحى،فلو كنتم أنتم أيضا تستفيدون من ذلك الوحى.إذن لاصبحتم سعداء.و لانى اتبع ما يوحى إلىّ فأنى أسير فى الحياه بصيرا،فأعرف سنن الحياه و أتبعها،فأسعد فى الحياه.

قُلْ هَلْ يَسْتَوِی الْأَعْمىٰ وَ الْبَصِيرُ أَ فَلاٰ تَتَفَكَّرُونَ و لأنه لا يستوى الأعمى و البصير،فان نعمه البصر هى أفضل نعمه،و من أراد البصر فليتفكر،فأن الفكر مرآه صافيه.

ص:۷۴

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۵۱ الی ۵۵]

اشاره

وَ أَنْذِرْ بِهِ اَلَّذِینَ یَخافُونَ أَنْ یُحْشَرُوا إِلیٰ رَبِّهِمْ لَیْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِیٌّ وَ لاٰ شَفِیعٌ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ (۵۱) وَ لاٰ تَطْرُدِ اَلَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاهِ وَ اَلْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ مٰا عَلَیْکَ مِنْ حِسٰابِهِمْ مِنْ شَیْءٍ وَ مٰا مِنْ حِسٰابِکَ عَلَیْهِمْ مِنْ شَیْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَکُونَ مِنَ اَلظّٰالِمِینَ (۵۲) وَ کَذٰلِکَ فَتَنّٰا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِیَقُولُوا أَ هٰؤُلاٰءِ مَنَّ اَللّٰهُ عَلَیْهِمْ مِنْ بَیْنِنٰا أَ لَیْسَ اَللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِالشّٰاکِرِینَ (۵۳) وَ إِذٰا جٰاءَکَ اَلَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِآیٰاتِنٰا فَقُلْ سَلاٰمٌ عَلَیْکُمْ کَتَبَ رَبُّکُمْ عَلیٰ نَفْسِهِ اَلرَّحْمَهَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْکُمْ سُوءاً بِجَهٰالَهٍ ثُمَّ تٰابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۵۴) وَ کَذٰلِکَ نُفَصِّلُ اَلْآیٰاتِ وَ لِتَسْتَبِینَ سَبِیلُ اَلْمُجْرِمِینَ (۵۵)

ص:۷۵

حقيقه الايمان و ميزات المؤمنين

هدى من الآيات:

مـن الـذى يتقى ربه فيصـبح صالحـا؟إنه الـذى يـوجه خـوفه نحـو المصـدر الحقيقى للخـوف و هـو الله.حيث يحشـر اليه الإنسـان وحيدا،دون أن ينفعه هنالك ما يتخذه من دونه أولياء،أو شفعاء.

الا ـ أن هنـاك رجالا ـ يحجبهم عن الحقيقه التفـاف البسـطاء و الفقراء حولهـا، يقولون:إمـا أن يطرد هؤلاـء أو لا ـ نقبل بالحقيقه،و القرآن نهى عن طرد أهل الحق لان ذلك ظلم،علما بأن حساب كل واحد على نفسه.

ان الله امتحن الناس فى الدنيا بأنواع التنافس و منها أنه امتحنهم ببعضهم فاذا بالمؤمنين المسارعين الى الحق ينافسهم المستكبرون الـذين يعادون الفقراء بصـفه دائمه،و بما أن المؤمنين يبادرون الى الايمان،فان المسـتكبرين يتخـذون ذلك ذريعه لعـدم الايمان بالله،و على الرسول أن يخفض جناح الرحمه للمؤمنين،و يعدهم بالمغفره.

ص:۷۶

هذه هی الآیات التی یفصّلها الله سبحانه لکی یتمیز طریق المؤمنین عن طریق الکافرین.

بینات من الآیات:

أصحاب الرساله:

[۵۱]ان هناک شریحه خاصه فی المجتمع هی التی تستجیب لرساله السماء، و هم الذین یخافون من العاقبه،فعلی الرسول أن یفتش عنهم و ینذرهم من عاقبه الضلاله دون النظر الی طبقتهم،أو لونهم أو مستوی ثقافتهم.

وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِینَ یَخافُونَ أَنْ یُحْشَرُوا إِلیٰ رَبِّهِمْ لَیْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِیٌّ وَ لاٰ شَفِیعٌ هؤلاء الأولیاء الذین یتخذهم البشر فی الدنیا قاده،و یحتمون الی ظلالهم لا ینفعونه فی الآخره شیئا،کما أنه فی الآخره لیس هناک من یستطیع ان یفرض علی الله سبحانه إرادته،فلا شفیع من دون إذنه،و ما دام الله حکما مطلقا،فیجب أن یخشاه البشر من بعد أن ینذر،و الهدف من الخوف لیس الجمود و الانسحاب بل الهدف هو التقوی.

لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ و هو العمل الایجابی فی سبیل الخلاص من العاقبه السوء فی الآخره.

[۵۲]و المؤمنون یشکلون حزبا واحدا مقیاسه العمل الصالح،من دون أثر للفوارق المادیه فیه،و علی الرسول ان یکون علاقات مبدئیه مع افراد هذا الحزب، و الاّ یطرد واحدا منهم بأی اسم کان.

وَ لاٰ تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ

ص:۷۷

فما داموا متوجهين الى ربهم فان الاخطاء الصغيره التى يرتكبونها بسبب عدم وضوح الرؤيه عندهم،أو عدم علمهم بالأحكام الشرعيه فانها سوف..تغتفر.

مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ان هذه الاخطاء البسيطه لا تسجل فى حسابك أنت،و ليس لأحد ان يحاسبك عليها بمجرد أنك تقرّبهم إليك.

فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ ان طرد هؤلاء يعتبر ظلما لهم،و لا يبرر هذا الطرد أن بعض المؤمنين القدماء أو بعض المتكبرين ينتقدونك أو حتى يبتعدون عن الدين بهذا السبب.

حقيقه الانتماء:

[۵۳]و التنافس بين الناس متجذر فى فطرتهم حتى فى الدين،حيث يسعى كل فريق أن يكون هو الأقرب الى صاحب الرساله،و أن يكون الفريق الثانى الأبعد، و لذلك فان كثيرا من الناس يبتعدون عن الدين فقط لهذا السبب،لذلك حذر القرآن الحكيم من هذا الأمر و قال:

وَ كَذٰلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هٰؤُلاءِ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا فكانوا هم السابقين الى اعتناق الدين الجديد؟! و يجيب الله على هذا السؤال الذى يطفح بالاستنكار.

أَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِالشّاكِرِينَ نعم ان اللّه منّ على هؤلاء بأن وفقهم لقبول الرساله،و لكن ليس عبثا،بل لأنه

ص:۷۸

عرف أنهم أشكر من غيرهم لنعمه الرساله،و أى فرد كان شاكرا لله و عارفا بحق الرساله فسوف يوفقه الله سبحانه أيضا.

[۵۴]ان انتماء البسطاء الى الرساله لا يعنى الغض عن سيئاتهم،بل الإغماض عن تلك السوابق،التى ارتكبوها بجهاله،و قبل أن يصل مستوى وعيهم و ايمانهم و تربيتهم حدا كافيا يردعهم عنها،أما فى المستقبل فليس عليهم التوبه فقط،و انما إصلاح أنفسهم أيضا.

وَ إِذٰا جٰاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيٰاتِنٰا فَقُلْ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ أى انكم فى أمان،لا خوف عليكم.

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهٰالَةٍ ثُمَّ تٰابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ و هذه هى الرحمه التى كتبها الله على نفسه،و هذا هو السلام،فالإسلام يجبّ ما قبله،و يبدأ الفرد معه حياه جديده.

[۵۵]و مع العفو العام الذى تقتضيه هذه الرحمه الربانيه الشامله،يتميز المجرمون المعاندون عن الجاهلين.حيث أن الفرد الذى يستمر فى الخيانه و الظّلم،و لا يصلح نفسه بعد العفو العام فليستعد للعقوبه.

وَ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ الذين يختارون طريقا غير طريق الله بعمد و سبق إصرار.

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۵۶ الی ۵۸]

اشاره

قُلْ إِنِّی نُهِیتُ أَنْ أَعْبُدَ اَلَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ قُلْ لاٰ أَتَّبِعُ أَهْوٰاءَکُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ مٰا أَنَا مِنَ اَلْمُهْتَدِینَ (۵۶) قُلْ إِنِّی عَلیٰ بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّی وَ کَذَّبْتُمْ بِهِ مٰا عِنْدِی مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ اَلْحُکْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ یَقُصُّ اَلْحَقَّ وَ هُوَ خَیْرُ اَلْفٰاصِلِینَ (۵۷) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِی مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِیَ اَلْأَمْرُ بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِالظّٰالِمِینَ (۵۸)

ص:۸۰

هدى من الآيات:

لكی لا يحجب التنافس الشخصـی طائفه من الناس عن الايمان بالله،أوضح الدرس السابق،ان استقبال الرسول للمؤمنين المبادرين لا يجب ان يكون متأثرا بانتماء آتهم السابقه أو طبقتهم أو ما أشـبه،إنما بسـبب الايمان وحده،و لذلك فلا داعی للقلق،و فی هذه الآيـات بيّن فی القرآن الحكيم:إن الـدعوه إلى الرسـاله ليست دعـوه إلى شـخص الرسـول.إذ أن القيمه إنمـا هی للمبـدء و حـتی شخص الرسول شـملته الـدعوه كـأی فرد آخر،فهو قـد نهی عن عبـاده الشـركاء،و أنه لو اتبع أهواء الناس لأصـبح ضالا،و ما عند الرسول إنما هو من عنـد اللّه،و العقوبه التی يهـدد بها الرسول أعداء الدين قادمه من عند اللّه،و الحاكم فيها هو اللّه الذی يوضـح الحق،و يفصـل أهله عن أهـل الباطـل،و ذلـک بحكمه الحاسم،أما الرسول ذاته فهو أن كان مالكا للعقوبه ملكا ذاتيا و كان بشـرا متفوقا على سائر البشر.إذا لأنزل العقوبه بأعدائه.

كلا أنّ اللّه هو الذی يحكم و هو أعلم بالظالمين من سائر البشر.

بينات من الآيات:

من هو الرسول:

[۵۶]كأى بشر آخر نهاه الله عن عباده الشركاء من دونه.

قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ و النهى عن عباده هؤلاء يعنى التمرد على سلطات الطاغوت المتمثله فى السلطان الجائر،أو شيخ العشيره الفاسد،أو رئيس الحزب المتجبر،و هكذا.

قُلْ لاٰ أَتَّبِعُ أَهْوٰاءَكُمْ اى لا اتبع الجبت أيضا.

قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً حين أعبد الطاغوت أو أتبع الجبت.

وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ آنئذ،ذلك أن هدايه الله للرسول ليست ذاتيه،بل قائمه بالله،و هى تزول إذا انحرف الرسول-حاشا لله-عن الخط المستقيم.

اطار التحرك الرسالى:

[۵۷]و يتميز الرسول عن الكفار،بأنه على بينه واضحه من ربه،انه يعرف الطريق جيدا بينما أولئك ليس فقط لا يعرفون الطريق بل و يكذبون بذلك تكذيبا.

قُلْ إِنِّى عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ

اما العقوبه فهى عند الله و أنتم تستعجلونها،و الله هو الذى يحكم بها لأنه يقصّ سبحانه الحق،و يعلم لمن هو.

مٰا عِنْدِي مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفٰاصِلِينَ ان الله يقص الحق ربما معناه:ان الله سبحانه يقسّم الحق الكلى العام على أقسام الحياه،أو الموضوعات الخاصه المنفصله عن بعضها،و الله سبحانه(خير الفاصلين)ربما معناه أن الله خير من يقضى لتطبيق الحق على الشخص المعين.

و لنضرب مثلا يقرب الى أذهاننا معنى الآيه فالحق الكلى مثلا هو أن العداله قيمه صحيحه و لكننا بحاجه الى قصّ هذا الحق،و ذلک بتقسيمه الى مختلف الموضوعات.مثل أن العداله تقتضى إنزال العقوبه على من يظلم صاحبه،و لكن من الذى ظلم صاحبه؟هذا الأمر بحاجه الى فصل(يسمى بالقضاء)و الله هو الذى يفصل و يحدد بالضبط من الذى ظلم،و من الذى وقع عليه الظلم.

[۵۸]إذا فالله هو الذى يملک العقوبه،و يعلم الحكم،و هو خير من يقضى،أما الرسول فهو بشر لو لم يكن رسولا من الله،و كان يملک العقوبات التى يهدد بها الأعداء.إذا كان يستخدمها عمليا فى دحر الأعداء.

و هو حين لا يفعل فان ذلک يدل على أنه رسول متصل بالله،و أنه لا يقول و لا يعمل شيئا إلاّ بأذنه،بل هو لا يملک شيئا من دون الله سبحانه.

قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِالظّٰالِمِينَ فهو الذى يقضى بين العباد و يعاقب المتجاوزين على القانون و لست انا.

ص:۸۳

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۵۹ الی ۶۲]

اشاره

وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ اَلْغَیْبِ لاٰ یَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ وَ یَعْلَمُ مٰا فِی اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّٰ یَعْلَمُهٰا وَ لاٰ حَبَّهٍ فِی ظُلُمٰاتِ اَلْأَرْضِ وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ یٰابِسٍ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ (۵۹) وَ هُوَ اَلَّذِی یَتَوَفّٰاکُمْ بِاللَّیْلِ وَ یَعْلَمُ مٰا جَرَحْتُمْ بِالنَّهٰارِ ثُمَّ یَبْعَثُکُمْ فِیهِ لِیُقْضیٰ أَجَلٌ مُسَمًّی ثُمَّ إِلَیْهِ مَرْجِعُکُمْ ثُمَّ یُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۶۰) وَ هُوَ اَلْقٰاهِرُ فَوْقَ عِبٰادِهِ وَ یُرْسِلُ عَلَیْکُمْ حَفَظَهً حَتّٰی إِذٰا جٰاءَ أَحَدَکُمُ اَلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنٰا وَ هُمْ لاٰ یُفَرِّطُونَ (۶۱) ثُمَّ رُدُّوا إِلَی اَللّٰهِ مَوْلاٰهُمُ اَلْحَقِّ أَلاٰ لَهُ اَلْحُکْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ اَلْحٰاسِبِینَ (۶۲)

اللغه

۶۰[جرحتم]:الجرح بالجارحه،و الاجتراح الاکتساب.

ص:۸۴

مفتاح الغيب بين العلم و القدره

هدى من الآيات:

المستقبل عند الله،و ما ينفتح اليه عنده،فهو الذی يخلقه حسب ما يشاء،و يجری عليه سننه و لذلک فهو يعلم ماذا سيكون،فاذا تحقق علم بأصوله و قواعده العامه و الحكيمه،كما علم بجزئياته الصغيره،فمن الورقه التی تذبل و تسقط،الی الحبه التی تدفن فی باطن الأرض يعلمها الله سبحانه،بل كل شیء حیّ أو ميت.مسجل فی كتاب مبين.

و علم الله محيط بالحياه،فهو الذی يسترد فی الليالی روح الإنسان،و يراقبه علی أعماله فی النهار حيث يبعثه ليستمر الی فتره محدوده،فاذا انتهت يعود البشر الی الله حيث يخبره بما فعل.

و كما علم الله فكذلک قدرته محيطه بالعباد.انک من دون هذه القدره التی تحيط بک و تحفظک من المهالک تتعرض لألف مشكله و مشكله.اما الموت فهو لا يحدث بعيدا عن قدره الله بل عبرها،فرسل الله هم الذين يتوفونک دون أن يخرجوا.

ص:۸۵

عن حدود الطاعه لله،و تعود الى الله حيث يحاسبك على أعمالك و هو أسرع الحاسبين.

بينات من الآيات:

مظاهر علم اللّه:

[۵۹]للغيب(و هو المستقبل)مفاتح.أى سبل تؤدى اليه،أو أسباب تحققه، و كلها عند الله فى قبضته و تحت هيمنته،و لأن الله هو الذى يفتح الغيب يحققه و يخلقه فانه عالم به دون الخلائق لأنهم دون مستوى الخلق.

وَ عِنْدَهُ مَفٰاتِحُ الْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ و إذا كانت مفاتح الغيب عند الله فكيف بحقائق الشهود،أى التى تجرى الآن فى الواقع،ان ربنا محيط بها علما.

وَ يَعْلَمُ مٰا فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ علما شهوديّا محيطا،و ربما نستطيع القول:أنّ الاحاطه بعلم الشهود هو أحد مفاتح الغيب الاساسيه،و المفتاح الثانى هو:القدره على قهر الواقع كما يأتى فى الآيه التاليه،و لكن كيف العلم بالشهود مقدمه لفتح غيبه؟ الجواب:العلم بالجرثومه-مثلا-فى جسد الإنسان طريق لمعرفه المرض، و العلم بالفيتامين أو المضاد الحيوى طريق لمعرفه الدواء،و العلم بالمرض و بالدواء طريق للسيطره عليها،و لصنع المستقبل و هو الغيب.

وَ مٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاّٰ يَعْلَمُهٰا أنها ورقه انتهى أجلها و سقطت،و لكن علم الله محيط حتى بتلك اللحظه.لحظه

الموت و السقوط بالنسبه الى الورقه التافهه التى لا أهميه لها أبدا.

وَ لاٰ حَبَّهٍ فِي ظُلُمٰاتِ الْأَرْضِ إنها الحبه الصغيره المستوره فی الأرض التی لا يأبه بها أحد،و لكن الله محيط بها علما.

وَ لاٰ رَطْبٍ وَ لاٰ يٰابِسٍ الرطب كالحبه النشيطه التى تنمو،و اليابس كالورقه التى سقطت.إن احاطه علم الله بالحبه و بالورقه الميته أنما يعنى علمه بابتداء كلّ شيء و انتهائه،بيد ان علم الله ثابت،و مسجل فى كتاب واضح و مفصل.

إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ

آيات قدره اللّه:

[۶۰]

ما هو النوم؟و كيف يحدث؟

لا تزال معلوماتنا ناقصه فى هـذا الحقل،الا ان المعلوم أنّ جزء من قدرتنا و حيويتنا نفقدها عند المنام،و السؤال:هل نفقد ذلك أم أن قدره عليا هى التى تنتزعها منا؟ بالطبع ان الله هو الذى يتوفى الأنفس،أو بتعبير آخر يستعيد جزء مما وهبه للإنسان عند النوم،و كلما وهبه له عند الموت.لأنه صاحب تلك القدره العليا المهيمنه على كل جزء،بل كل جزء من الحياه.

وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفّٰاكُمْ بِاللَّيْلِ

فسبحان من يملك ناصيه الطبيعه،يوجهها كيف يشاء.

وَ يَعْلَمُ مٰا جَرَحْتُمْ بِالنَّهٰارِ كل أثر يخلقه الإنسان بعمله يعلمه الله،بالرغم من أن الإنسان نفسه،قد لا يعلمه،و كما أن الليل سكون و وفاه،فان النهار تحرك و تعب.حيث يشعر الفرد بأن قواه تجددت و استعدت لتحقيق الاهداف.

ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ستبقى دوره الليل و النهار مستمره الى أجل مسمى يبلغه الفرد شاء أم أبى، و هذا الأجل ينتهى الى الله.

ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ و عند ما يعود الناس الى ربهم يستيقظون و كأنّهم كانوا فى سبات،بيد أن الشريط الرقيب قد سجل كل أحداث حياتك،فيعاد عليك.

ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [۶۱]سبق القول:ان للغيب مفتاحين،أحدهما العلم و الثانى القدره أو القهر، و الله عالم و قاهر.

وَ هُوَ الْقٰاهِرُ فَوْقَ عِبٰادِهِ و قهر الله ليس كقهر العباد بعضهم لبعض مؤقتا و محدودا،إنما قهره دائم و شامل و مطلق،و ربما لذلك عبر الله عنه(فوق عباده)كما أن قهره انما هو(بالقوه)و لا يجب بالضروره أن يكون(بالفعل)فالله بالرغم من أنه قاهر فهو رحيم،و لذلك فهو لا

یستخدم قهره أحیانـا کثیره،و من هنا فلربما لو عبر القرآن ب(و هو القاهر عباده)کان المعنی مختلفا و ناقصا.ان قهر الله لیس قهرا فعلیّا،بل قد یکون بالقوه فقط،و الدلیل یکمن فی أن الله سبحانه یحیط البشر بالحراس الذین یحفظونه.

وَ یُرْسِلُ عَلَیْکُمْ حَفَظَهً الغلاف الواقی الذی یحیط بالفضاء لکی لا تسقط نیازک السماء علی رؤسنا، و الجبال الراسیه التی تحفظ الأرض من أن تمید بأهلها،و المحیطات الواسعه التی تمتص الغازات.کلها رسل الله الحفظه لعباده،و الغدد المنتشره فی جسم البشر التی تسبب توازنه،و طریقه توزیع المواد،و نظام مقاومه المیکروبات التی یقوم بها جنود الجسم،و الکریات البیض و..و.و مئات الأنظمه الدقیقه التی تحرص علی سلامه الجسم-کلها حفظه.

و لکن لا ینتهی حفظ الله للبشر علی هذه الأمور.بل هناک آلاف الحوادث التی یتعرض لها الإنسان فی حیاته مما یحتمل ان تکون الواحده منها کافیه للقضاء علیه، فقد یقع الإنسان من علوّ،أو حتی یعثر فی الطریق فیرتطم بالأرض و لو صادف و اصطدم به حجرا اذن لقتل.و قد تنحرف سیارته بسبب الطبقه الثلجیه یمینا أو یسارا لتصطدم بالسیاره الاخری،و لو زاد انحرافها لارتطمت بالجبل،و لو کان انحرافها بعد کیلومتر لوقعت فی الوادی لضیق الشارع،تری کم احتمالا للهلاک کان قائما انجاک الله منه بلطفه.إن حفظه الله هم الذین یحیطون بک و یدفعون عنک المهالک،و لکن الی متی؟ الی حین موعدک،حیث یصبح الحفظه أنفسهم قابضین لروحک.

حَتّی إِذا جاءَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا

و السؤال الـذى يقفز الى الـذهن.أ فلا يخطأ الحفظه،فيقصـرون أو يعجزون عن الحفظ حينا،أو يتوفون الفرد قبل موعـده؟ يجيب القرآن:كلا.

وَ هُمْ لاٰ يُفَرِّطُونَ فـالله هـو الـذى يرسـل حفظته،و يحولهم الى قابضـى أرواح،فمن هو المولى الحق للإنسـان؟و من هو القائـد و المعين؟أ ليس الله؟! [۶۲]اننا سنعود اليه ليحاسبنا على هذه الفتره البسيطه التى أمهلنا فيها دون أن يهملنا.

ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللّٰهِ مَوْلاٰهُمُ الْحَقِّ أَلاٰ لَهُ الْحُكْمُ الحكم هو استعمال حق الولايه.

وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحٰاسِبِينَ أى القضاه الذين يقضون بالحق.

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۶۳ الى ۶۵]

اشاره

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمٰاتِ اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً لَئِنْ أَنْجٰانٰا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ اَلشّٰاكِرِينَ (۶۳) قُلِ اَللّٰهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهٰا وَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (۶۴) قُلْ هُوَ اَلْقٰادِرُ عَلىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذٰاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ اَلْآيٰاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (۶۵)

اللغه

۶۳[تضرعا]:معلنين الضراعه و التذلل.

[خفيه]:مسرّين بالدعاء.

۶۵[يلبسكم]:لبست عليهم الأمر ألبسه إذا لم أبينه،و خلطت بعضه ببعض،و لبست الثوب ألبسه،و اللبس اختلاط الأمر و اختلاط الكلام،و لابست الأمر خالطته.

[شيعا]:الشيع الفرق،و كل فرقه شيعه على حده،و شيعت فلانا اتبعته،و التشيع هو الاتباع.

ص:۹۱

عند لحظات الخطر حجه اللّه

هدی من الآیات:

فی الدروس السابقه.بین القرآن جوانب من هیمنه الله علی الکون،و البشر بالذات لیزداد الإنسان معرفه بربه،و حبا له،و تقربا الیه،و یستجیب بإرادته الحره لواقع الولایه الحق التی تنتشر فی الحیاه و فی أنفسنا آیاتها و علائمها.

و تتابع الآیات فی هذا الدرس فی ذات الموضوع من زاویه فطریه یعیشها کل منا فی حیاته،و ذلک عند ما ترتفع غشاوه الکبر و الغفله،و یتحسس الإنسان بالخطر فیصبح آنئذ أقرب الی الحقیقه.

و لکن متی نشعر بالأمان المطلق.أو لسنا فی لحظه الأمان یساورنا الخوف من تجدد ظروف الخطر،أو لیس الله الذی ندعوه عند ما تحیط بنا ظلمات البر و البحر، و ندعوه تضرعا و خفیه،و دون ریاء قادرا علی ان ینزل علینا عذابا من السماء أو الأرض،أو حتی من أفراد البشر إذا لماذا ندعو الله فقط فی أوقات الکرب الظاهر، و لا ندعوه فی کل حاله ما دامت کل لحظه تحمل فی طیاتها مخاوف کروب

عظيمه؟! و لكنّ فهم هذه الحقيقه بحاجه الى فقه و معرفه عميقه بالحقيقه.

بينات من الآيات:

مع الله:

[۶۳]اصطدمت سيارتنا بأخرى فى طريق صحراوى بعيد..و الوقت بعد منتصف الليل و السحب المتراكمه حجبت و مضات النور المنبعثه عن النجوم، و أخى قطعت ذراعه،و أخذ الدم يتفجر منه كالميزاب،بعضنا أخذ يحاول إيقاف الدم النازف،و البعض الآخر أخذ يتطلع فى الظلام لعله يبشر بمرور سياره.و لكن لا شىء نستطيع فعله و لا ندرى هل تأتى سياره أم لا؟الكل حبس أنفاسه فى صدره، و يكاد لا يتكلم إلا همسا.القلوب تحلق فى فضاء آخر،اتّصلت بعالم آخر بالله القادر على أن يرسل من عالم الغيب سياره أو يلهمنا طريقه ما لوقف الدم.

فجأه يعلو صراخ:حبل.حبل.صاحب الجرح النازف يدعو رفاقه بجلب الحبل،ثم يأمر بشدّه فوق جرحه..بشده،ثم ينقطع الدم الا قليلاًو من وراء الأكمه يشع الفضاء بنور خافت،ثم ينكشف هذا النور عن سياره،و سرعان ما نحمل جريحنا الى أقرب مركز للطوارئ،و تنتهى الأزمه،و يتبين بعدئذ أن خبرا خاطئا دعا سياره النجده التى قدمت ان تسرع الى المنطقه،و لولاها لما جاءت، و بالتالى تبيّن أن يدا غيبيه هى التى دفعتها الى هذا الطريق.ترى كيف كنا نعيش فى تلك اللحظه،ما الذى كنا نقوله لله فى مناجاتنا الخفيه؟ كنا نقول لربنا:فرّج كربنا يا ربنا.فسوف تجد اىّ عباد شاكرين سنكون نحن،سنترك الذنوب مره واحده،و لا نظلم الناس،و نتصدق بأموالنا فى سبيلك.

يا رب يا رب يا رب!كنا نشعر آنئذ بأننا عباد ضعفاء لا نملك لأنفسنا شيئا،و الله رب

قوی رحیم،مالک لکل شیء.

ان هـذه القصه غیر الواقعیه هی حقیقه تقع بأشـکال مختلفه لکل واحد منا،و لکنه سـرعان ما ینساها،و اللّه سـبحانه یذکرنا بها فی هذه الآیه قائلا:

قُلْ مَنْ یُنَجِّیکُمْ مِنْ ظُلُمٰاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حین تکاد الأمواج العاتیه ابتلاع قارب الصید الذی نمتطیه..و لا أمل الا بالله.

تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْیَهً بسبب شده الخوف نقول لربنا آنئذ:

لَئِنْ أَنْجٰانٰا مِنْ هٰذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ الشّٰاکِرِینَ [۶۴] قُلِ اللّٰهُ یُنَجِّیکُمْ مِنْهٰا وَ مِنْ کُلِّ کَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْـرِکُونَ حیث اننا مستعدون بعدئذ لأن ننسب خلاصـنا حتی الی الصدفه دون أن نذکر أن الله هو الذی أنقذنا،و سوف نشـکر سیاره النجده،و نشکر الطریق المعبد،و نشکر حتی مبضع الجرّاح دون أن نشکر ربنا الذی کان المنقذ الحقیقی،و الذی توسلنا إلیه حین اشتد بنا الکرب.

احتمال عوده الخطر:

[۶۵]و لکن هـل انتهی الخطر..أ فلاـ نعود الی ذات المشـکله،أو لاـ یمکن ان یهبط علینا عـذاب،من السـماء أو الأرض..فمثلا هل نأمن ان ینفجر البر کان قریبا من قریتنا فیقذفنا بحمم،أو یزلزل الأرض بنا فتخسف بنا و بما نملکه.

قُلْ هُوَ الْقٰادِرُ عَلیٰ أَنْ یَبْعَثَ عَلَیْکُمْ عَذٰاباً مِنْ فَوْقِکُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِکُمْ

و هناك خطر آخر و أشد هو خطر الناس بعضهم ضد بعض،حيث يختلفون على بعضهم.

أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ كم دمرت الحروب البلاد،و أجرت أنهر الدم.هل كان يستطيع هذا الفريق أو ذاك النجاه من ويلاتها؟!ان الله هو القادر على اقامه الصلح العادل أو إلقاء الرعب المتبادل فى نفوس المتخاصمين لئلا يبادر أحدهما بالهجوم على الآخرين حتى يأذن الله بغير ذلك.

أُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ان الله يوضح آياته حتى لا يكون البشر سطحيا ينظر الى ظواهر الحوادث بل يتعمق الى أغوارها البعيده،و يبقى على البشر أن يتذكر بتلك الآيات.

ص:٩٥

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۶۶ الى ۶۹]

اشاره

وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَ هُوَ اَلْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (۶۶) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۶۷) وَ إِذا رَأَيْتَ اَلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمّا يُنْسِيَنَّكَ اَلشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ اَلذِّكْرى مَعَ اَلْقَوْمِ اَلظّالِمِينَ (۶۸) وَ ما عَلَى اَلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ لكِنْ ذِكْرى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (۶۹)

ص:۹۶

مواقف الناس من آيات اللّه

هدی من الآيات:

فی الـدروس السابقه حـدثنا القرآن الحكيم عن مجموعه من الآيات،و فی هـذا الدرس يبين اختلاف الناس فی موافقهم من هذه الآيـات،و هو موقف الرفض أو اللامبالاـه أو الاسـتجابه،فهناک من يکـذب بالحق من قوم الرسول،بيـد أن الرسول لن يغنی عنهم شيئا بحجه أنهم قومه،أما الحق فأنه إذا جاء موعد تطبيقه فی المستقبل فسوف يعلم الناس ماذا يعنی و ما هی أهميته.

و من الناس من يتخذ آيات الله هزوا يتسلی بها دون أن يتخذها و يعمل بها.

هؤلاـء يجب التباعـد عنهم لأـنهم قوم ظالمون،و قـد ينخـدع الإنسان الساذج بمظهرهم حيث يتظاهرون بأنهم لا يخالفون الحق،و آنئذ يجب أن يقرر ألّا يعود الی القعود معهم.

و منهم من يستجيب للحق،و يتقی الله و هم السعداء الذين سوف يغفر الله لهم.

ص:۹۷

بینات من الآیات:

التکذیب و المسؤولیه:

[۶۶]للإنسـان امـام الحق ثلاـثه مواقف.موقف الاسـتجابه أو الرفض أو اللامبالاـه،و فی هـذه الآـیه ینـاقش القرآن الموقف الثـانی فیقول:

وَ کَذَّبَ بِهِ قَوْمُـکَ وَ هُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَیْکُمْ بِوَکِیلٍ فالإنسان نفسه هو المسؤول المباشـر عن قبوله أو رفضه للحق و لیس مبلّغ رسـاله الحق،و الواقع أن علم الإنسـان بمسؤولیته أمـام تصـرفاته سوف یساعـده کثیرا علی اتخـاذ الموقف السـلیم،أمـا لو زعم أن بإمکانه أن یبرر موقفه،و یلقی بمسؤولیته علی هذا أو ذاک،فأنه سیکون سببا لعدم الاهتمام بالحق.

[۶۷]و القرآن یهـدد المکـذبین بما یرونه فی المسـتقبل.حیث یتجلی الحق فی شـکل واقع قائم و یقول:ان النبأ الذی عبّر عنه الله و هو الحق سـیتحقق فی الوقت المحدد له سلفا،و آنئذ یعلم الإنسان کم خسر بتکذیبه بالنبإ.ان الدکتور یخبرک بوجود خلیه فاسده فی رجلک و یأمرک بالاسـراع فی العلاج،و لکنک قـد تکـذبه فیتخـذ المرض خطّه المتصاعـد،فینتشـر السـرطان فی الجسـد فی الوقت المحـدد له حسب سـنه الحیـاه، و أنظمه الجسم و آنئـذ یعلم الإنسـان مـدی خطئه عنـد مـا کـذب بالنبإ،کـذلک رساله الله مجموعه أنباء صادقه،و لها أوقاتها المحدده(مستقرها)التی تتحقق فیها،و انئذ یعلم المکذب حقیقه الأمر.

لِکُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ

تمییع الأحکام:

[۶۸]و الموقف الثانی من الحق و هو موقف اللامبالاه،و استخدام الآیات ماده

للحديث اللامسؤول،أو حتى للتسليه.

و هؤلاء أخطر من المكذبين إذ أنهم يميّعون الحق،و يفرغون الحديث من محتواه الحقيقى،و يحولونه الى ماده للجدل،و قضاء للوقت،و المباراه و إظهار الوجود،و بذلك يغيرون نظره الإنسان الى الكلام من نظره عبريه هدفها العمل،الى نظره ذاتيه هدفها التسليه،و لذلک يجب مقاطعه مجالس هؤلاء و عدم الخوض معهم فى جدلياتهم الفارغه،و تركهم وحدهم يأكل بعضهم بعضا.

وَ إِذٰا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيٰاتِنٰا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ و لكن كثيرا ما ينسى الإنسان هذا الحكم بسبب تظاهر هذه الفئه بالعلمانيه و أنهم إنما يبحثون عن الحقيقه بهذه الجدليات.لذلک ذكرنا القرآن بخطوره النسيان قال:

وَ إِمّٰا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطٰانُ فَلاٰ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ لقد سمّى الله هؤلاء بالظالمين بالرغم من تظاهرهم بالبحث عن الحقيقه.لأن من يبحث عن الحق فعلا سيجده من دون تعب و لا حاجه إلى الجدال.

الموقف السليم:

[۶۹]أما الموقف السليم من الحق فهو: الاستجابه له عمليا،و هى التقوى، و احترام الحق الذى نبأ به اللّه،و حينئذ يكون خط المتقى سليما فى اتجاهه العام بالرغم من بعض الانحرافات البسيطه،أو بعض الاخطاء التكتيكيه،و مع سلامه الخط العام لا يحاسب الشخص بشىء من اخطأ البسيطه.

وَ مٰا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسٰابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

و هـدف الوحی من هؤلاء هو إیصالهم الی مسـتوی التقوی،و ابقاؤهم علی هـذا المسـتوی،و ذلک عن طریق تـذکرهم المسـتمر حتی لا یغلبهم نعاس النسیان،أو سکر الغفله.

وَ لٰكِنْ ذِكْرىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

ص:۱۰۰

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۷۰ الی ۷۳]

اشاره

وَ ذَرِ اَلَّذِینَ اِتَّخَذُوا دِینَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا وَ ذَکِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمٰا کَسَبَتْ لَیْسَ لَهٰا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَلِیٌّ وَ لاٰ شَفِیعٌ وَ إِنْ تَعْدِلْ کُلَّ عَدْلٍ لاٰ یُؤْخَذْ مِنْهٰا أُولٰئِکَ اَلَّذِینَ أُبْسِلُوا بِمٰا کَسَبُوا لَهُمْ شَرٰابٌ مِنْ حَمِیمٍ وَ عَذٰابٌ أَلِیمٌ بِمٰا کٰانُوا یَکْفُرُونَ (۷۰) قُلْ أَ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مٰا لاٰ یَنْفَعُنٰا وَ لاٰ یَضُرُّنٰا وَ نُرَدُّ عَلیٰ أَعْقٰابِنٰا بَعْدَ إِذْ هَدٰانَا اَللّٰهُ کَالَّذِی اِسْتَهْوَتْهُ اَلشَّیٰاطِینُ فِی اَلْأَرْضِ حَیْرٰانَ لَهُ أَصْحٰابٌ یَدْعُونَهُ إِلَی اَلْهُدَی اِئْتِنٰا قُلْ إِنَّ هُدَی اَللّٰهِ هُوَ اَلْهُدیٰ وَ أُمِرْنٰا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۷۱) وَ أَنْ أَقِیمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ اِتَّقُوهُ وَ هُوَ اَلَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ (۷۲) وَ هُوَ اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ قَوْلُهُ اَلْحَقُّ وَ لَهُ اَلْمُلْکُ یَوْمَ یُنْفَخُ فِی اَلصُّورِ عٰالِمُ اَلْغَیْبِ وَ اَلشَّهٰادَهِ وَ هُوَ اَلْحَکِیمُ اَلْخَبِیرُ (۷۳)

اللغه

۷۰[تبسل]:یقال أبسلته بجریرته أی أسلمته بها،و المستبسل المستسلم الذی یعلم أنه لا یقدر علی التخلص،و هذا بسل علیک أی حرام علیک،و لتضمنه لمعنی المنع قیل للمحرم و المرتهن بسل ای حرم الثواب،و الفرق بین الحرام و البسل أن الحرام عام فیما کان ممنوعا منه بالحکم و القهر،و البسل هو الممنوع منه بالقهر.

۷۱[استهوته]:حملته على اتباع الهوى.

[حيران]:المتردد فى امر لا يهتدى الى الخروج منه.

ص:۱۰۲

أسباب حيره المبلسين

هدى من الآيات:

فيما مضى سبق القول في ان وجود الآيات في الكون و ظهورها لا يكفى لهدايه البشر،إذ لا بد أن يكون جهاز الإدراك عنده سليما فمثلا لو اتخذ الفرد دينه لعبا و لهوا فكم تستطيع الآيات ان تكون نافعه له..لا شيء،هؤلاء هم الذين أبسلت أنفسهم،بما كسبت من سيئات،و حجبت الشهوات نور عقولهم،فلا تنفعهم الموعظه بل يجب تركهم الى حين بلوغهم جزائهم عند الله.حيث يعذبون بشراب من حميم، و عذاب أليم.جزاء ما طعموا من الشهوات الحرام،و بما كفروا بالرساله.

و قد يبلغ حال الواحد منهم وضعا مزريا حيث يتخذ من دون الله أربابا-هم أصحاب المال و الزينه-و يترك هدى الله،و يكون مثله كمن اخترق الصحراء مع أصحابه،و لكنه ابتلى بالشياطين،و فقد وعيه،و أخذ يدور من دون فهم و يتبع الشياطين و يترك الصراط المستقيم،و التسليم لله رب العالمين.

ص:١٠٣

بينات من الآيات:

موقفنا منهم:

[٧٠]اننا كبشر نشعر بفطرتنا النقيه.أن الطعام و الجنس و الراحه كلها وسائل للإبقاء على الحياه،أما هدف الحياه فهو شيء آخر،قد نختلف في تحديده تبعا لاختلاف ثقافتنا،و لكننا نكاد لا نختلف في أصله،بيد أن هناك من يتخذ دينه و هدفه الشهوات،و يزعم أن اللذه هي الهدف الأساسي من الحياه،أما الدين الحق فيتخذه لعبا يفسره كيف تشاء شهواته،و لهوا يتسلى بطقوسه،أو بالحديث حوله،أما إذا جدّ الجدّ فأنه يتبرأ من الدين،و موقف المؤمن من هؤلاء هو المقاطعه.

وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا و إنما يهبط البشر الى هذا الحضيض بسبب تورطه في الشهوات، و تعوده على اللذات و الراحه و الكسل،حيث أبسلت نفسه.

و الخلاص الوحيد من ظلمات الجهل و العاده هو التذكر المستمر الذي هو بمثابه حزمه نور،تخرق حجاب العاده الى القلب.

وَ ذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ أما إذا أبسلت النفس فأن الله سبحانه سوف يلعنها،و لا يقبل منها شفيعا، و ليس لها ولي من دونه.

لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيٌّ وَ لاَ شَفِيعٌ وَ إِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا ان العدل لا يقبل من هذه النفس التي أبسلت،و هذا هو مصير الذين أحاطت بهم ذنوبهم التي اكتسبوها.

ص:١٠۴

أَولٰئِكَ الَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمٰا كَسَبُوا مصيرهم فى الدنيا ظلمات فى قلوبهم،أما فى الآخره ف:

لَهُمْ شَرٰابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذٰابٌ أَلِيمٌ بِمٰا كٰانُوا يَكْفُرُونَ بآيات الله،و يتخذونها لعبا و لهوا.إذ أنّ الذنوب سبب ظلمات القلب،و هى سبب الكفر،و الكفر يؤدى الى النار.

[۷۱]و هناک فئه ضاله قد اتخذت أربابا من دون الله،و التزمت بطقوس لم ينزل الله بها سلطانا،و ربما تكون هذه الفئه هى امتداد نوعى للفئه الاولى،إذ حين يكتسب الفرد السيئات،و يحتجب عنه نور العقل تتحول فطره التدين عند هذا الشخص الى الأرباب التى تعبد من دون الله،فيزعم صاحبها أن تلک الأرباب هى تطبيق لفطره الايمان التى يشعر بها،و ربما لذلک ذكر القرآن هذه الفئه بعد تلک الفئه قائلا:

قُلْ أَ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لاٰ يَنْفَعُنٰا وَ لاٰ يَضُرُّنٰا لماذا يعبد البشر شيئا لا يضر و لا ينفع ما دام لا يمثل الحق،و لماذا يتقيد به إذا، و يخضع له؟! و ما هى المنفعه من وراء ذلک؟!انه ليس الاراده فى مسيره البشر،و مسخ لطبيعته الحره الكريمه.

وَ نُرَدُّ عَلىٰ أَعْقٰابِنٰا بَعْدَ إِذْ هَدٰانَا اللّٰهُ و هدايه الله تتمثل:

أولا:فى الهدايه الفطريه.

ص:۱۰۵

ثانیا:فی هدایه الرسل.

و کثیرا من النّاس ینحرفون بعد الهدایه الفطریه،أما بعد الهدایه الرسالیه فان الانحراف ضلاله کبری یشبهها القرآن الحکیم بالذی یسیر فی الصحراء،ثم یضل السبیل بسبب تضلیل الشیاطین له،حیث یدلّونه علی الطرق المنحرفه،و فی هذا الوقت یجد الرجل من یدعوه الی الهدی،متمثلا فی أصحابه الذین یدعونه الی السبیل القویم الذی یسیرون فیه،فانه لو لم یقبل نصیحه أصحابه فسوف لا تکون لدیه أیه حجه فی البقاء فی الضلاله،إذ أن أصحابه قد أتموا علیه الحجه و وفروا له فرصه الخلاص من استهواء الشیاطین.

کَالَّذِی اسْتَهْوَتْهُ الشَّیٰاطِینُ فِی الْأَرْضِ حَیْرٰانَ لَهُ أَصْحٰابٌ یَدْعُونَهُ إِلَی الْهُدَی ائْتِنٰا هذا الرجل یشبه الإنسان فی تیه الحیاه،و قد أحاطت به شیاطین الشهوات، و أضلوه عن سواء السبیل،و حجبوا فطرته النقیه برکام من الخرافات الباطله،ثم جاءه هدی الله مساعدا لفطرته،موضحا له سبیل الهدایه.

قُلْ إِنَّ هُدَی اللّٰهِ هُوَ الْهُدیٰ و علینا ان نتبع سبیل الله،و نسلم له الذی أسلمت له السموات و الأرض.

وَ أُمِرْنٰا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعٰالَمِینَ

الصلاه معراج المؤمن:

[۷۲]و لکی نتبعه،و نخضع له و نسلم،فعلینا ان نقیم الصلاه نصلیها بخضوع و خشوع،و ندیم علیها مع العمل بضروراتها،فی حیاتنا الاجتماعیه،و من ضروراتها

التقوى إذ ان الصلاه معراج المؤمن و هى تنهى عن الفحشاء و المنكر،و من شروط إقامتها الانتهاء فعلا ـ عن الفحشاء و المنكر،كما أن الخوف من الآخره حين يحشر الفرد الى ربه واحده من فوائد الصلاه المهمه.

وَ أَنْ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ اتَّقُوهُ وَ هُوَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

اراده الله بين الكاف و النون:

[۷۳]و الله الذى يجب التسليم له،هو الذى يمثل الحق،و الحق يعنى ان هناك واقعيات قائمه خارج الفكر،و أنها تدار بأنظمه ثابته،و أن على الإنسان أن يسعى من أجل توفيق نفسه،و تطبيق أعماله على أساس الحق،و لكن دون أن يزعم أن هذه الانظمه هى آلهه،فيعبدها كما يعبد الغرب اليوم أنظمه الحياه القائمه..

كلا ـ.عليه أن يعرف:أن فوق الحق إراده الله التى تخلق ما تشاء بكلمه واحده هى (كن)فليعبد الله الذى له ملك الحياه الآن و مستقبلا،و هو الذى يجازى الناس على أعمالهم،و هو العالم بالغيب(المستقبل و الماضى)و العالم بالشهاده،فعلمه بالحقائق القائمه،علم شامل ماذا كانت سابقا،و ماذا تكون عليه مستقبلا.

وَ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ لأنه بقوله هذا خلق الأشياء،و أجرى فيها الأنظمه،و بقوله تطمئن الحياه، و تستمر وفق الأنظمه.

وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ عٰالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ فمن أولى به معبودا نسلم له الأمور.؟

ص:۱۰۷

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۷۴ الی ۷۹]

اشاره

وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِیمُ لِأَبِیهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْنٰاماً آلِهَةً إِنِّی أَرٰاکَ وَ قَوْمَکَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۷۴) وَ کَذٰلِکَ نُرِی إِبْرٰاهِیمَ مَلَکُوتَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لِیَکُونَ مِنَ اَلْمُوقِنِینَ (۷۵) فَلَمّٰا جَنَّ عَلَیْهِ اَللَّیْلُ رَأیٰ کَوْکَباً قٰالَ هٰذٰا رَبِّی فَلَمّٰا أَفَلَ قٰالَ لاٰ أُحِبُّ اَلْآفِلِینَ (۷۶) فَلَمّٰا رَأَی اَلْقَمَرَ بٰازِغاً قٰالَ هٰذٰا رَبِّی فَلَمّٰا أَفَلَ قٰالَ لَئِنْ لَمْ یَهْدِنِی رَبِّی لَأَکُونَنَّ مِنَ اَلْقَوْمِ اَلضّٰالِّینَ (۷۷) فَلَمّٰا رَأَی اَلشَّمْسَ بٰازِغَةً قٰالَ هٰذٰا رَبِّی هٰذٰا أَکْبَرُ فَلَمّٰا أَفَلَتْ قٰالَ یٰا قَوْمِ إِنِّی بَرِیءٌ مِمّٰا تُشْرِکُونَ (۷۸) إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ حَنِیفاً وَ مٰا أَنَا مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (۷۹)

اللغه

۷۶[أفل]:غاب.

[بازغا]:البزوغ الطلوع،یقال بزغت الشمس إذا طلعت.

ص:۱۰۸

الشک المنهجی طریق الی الیقین

هدی من الآیات:

کیف یتـدرج الإنسان فی مراحل الایمان؟ یبدأ الإنسان رحلته الایمانیه ابتداء من نقطه الشک،و عدم الثقه المطلقه بما یتخیله هذا أو ذاک من أفکار أو أهواء.

و الشک یرفع عن بصـیره الفرد حجاب الأفکار المسبقه،و یحرک فکره و یضیء عقله،فیری بذاته ما وراء السموات و الأرض من علم و قدره و حکمه،و بذلک یهتدی بأذن الله الی الحق فیصبح موفقا.

العقل یهدی الفرد الی أنّ الإله لن یکون متغیرا،و أنه فوق القوی،و أن لا سلطان علی سلطانه،و حین یری الفرد الکواکب و القمر و الشمس کل یأفل عند ما یصل وقت أفوله یتیقن أن کل أولئک لیسوا بآلهه.

و من خلال التطلع الی الظواهر الکونیه و الایمان بأنها لا تصلح أن تکون آلهه

ص:١٠٩

عرف إبراهيم حقائق أخرى منها:أن الذى يهديك الى الله هو الله ذاته،و أن ما لا يصلح أن يكون إلها لا يصلح أن يكون نصف اله،و أن يشرك به شيئا،و لذلك يجب رفض جميع الآلهه إلاّ الله.

بينات من الآيات:

نعم للاحترام لا للعبوديه:

[۷۴]من دون تضحيه لا- تبلغ الحقائق،و العلم كأى مكسب آخر بحاجه الى جهد بل الى جهاد و تحد،أن البشر معرض لأن تستعبده القوى الطاغوتيه أو الطبيعيه،لذلك يبدأ البشر تحرره بالتحرر العقائدى،و إبراهيم كأى شخص آخر فى مجتمع الجاهليه قد عرّض لعبوديه الطاغوت،و لكنه رفضها و تحداها،ان الطاغوت يصنع جوا فكريا فى المجتمع،يؤيده و يبرر اخطاءه،و هذا الجو يضغط على الإنسان من خلال تعامله مع أقرب الناس اليه،أى من والديه و مربيه الذين يغذونه بالأفكار الباطله،و يدّعون أنهم محترمون،و لذلك فأن أفكارهم يجب أن تحترم هى الاخرى، و إبراهيم كمثل أعلى للثورى الرسالى رفض هذه الأفكار،و صرخ هاتفا الاحترام للوالد نعم.اما للعبوديه فلا..

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً لم يقل هذا الكلام الفضّ لأخيه الأصغر منه،أو لرفيقه أو لزميله،كلا..لأن الضغط الذى كان يمارسه عليه المجتمع انما كان بسبب أبيه آزر.

و آزر لم يلد إبراهيم،بل هو عمه الذى ربّاه،فخاطبه إبراهيم بالأبوه،و ذكره القرآن ليذكّرنا بأن الايمان يبدأ من رفض الخضوع لاقوى سلطه اجتماعيه على الفرد،و هى سلطه المربى و الكفيل،ثم أعقب إبراهيم رفضه لأبيه برفضه لسلطه المجتمع الجاهلى و قال:

إِنِّی أَرٰاکَ وَ قَوْمَکَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ ان الخوف من المجتمع لا يدعک تفهم الحقائق،لأنک آنئذ لا تشكّک نفسک بتلک الأفكار الباطله،فتستمر عليها،و لذلک تجد الناس عاده يؤمنون بأفكار مجتمعهم،حتى قيل:بأن المجتمع صنم الفرد،حتى أن بعضهم آمن بالحتميه الاجتماعيه،لذلک فعليک ان تتشبع بالثقه بذاتک حتى تتحدى الناس جميعا.

كيف نحصل على اليقين؟

[۷۵]حين تخلص إبراهيم من ضغط مجتمعه أراه الله ملكوت السموات و الأرض المتمثله فى فهم تلک القوه التى تملكها و تدبرها.

وَ كَذٰلِکَ نُرِی إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ اى ليخرج من الشک الى اليقين.ان الذى أوتى قدره الشک قادر على أن يصل بأذن الله الى ذروه اليقين،و الشک لا يختص بالمجتمع،أو بالمربى،بل و أيضا بالأفكار السابقه و الخاطئه التى يزعم الفرد انها صحيحه فى بعض مراحل حياته، كما نرى إبراهيم عليه السلام كانت له الشجاعه الكافيه برفض أفكار مجتمعه السابقه كما نرى لاحقا.

[۷۶]حين يهيمن الظلام على الكون يبحث الفرد عن أى نور،فيرى الكوكب فيزعم أنه اله لأنه أنقذه من ظلام دامس،و هذه العقيده العاجله قد تكون نتيجه هيبه الظلام،و الخشيه منه.

فَلَمّٰا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأىٰ كَوْكَباً قٰالَ هٰذٰا رَبِّی و قد يكون هذا رمزا لحاله الشک،التى تزعج البشر،فيبحث عن مخلص له منه،

فيتعجل بقبول أى ومضه نور تخلّصه من حاله الشك،فاذا به يعتقد بأول فرضيه تطرء على ذهنه أو تبرق أمام عينه،و لكن وجود الفرضيات الباطله عند الفرد ليس عيبا، انما العيب هو أن يستمر عليها بعد أن تثبت عنده أنها باطله،و إبراهيم عليه السلام كانت له هذه الشجاعه أن يكفر بأفكاره السابقه.

الفطره هی الدليل:

ان الفرضيات الباطله قد يكون بطلانها واضح بدرجه أن ردها لا يحتاج الى دليل،بل يكفى أن تراجع فطرتك لتوضح لك بطلانها،لذلك قال إبراهيم عليه السلام بعد أن افل الكوكب أنى لا أحبه.

فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ الحب هو الفطره النقيه قبل أن يصبح فكره مستدله متكامله،و حين تكون علاقه البشر بربه علاقه الحب،حيث يحبّ البشر ربه بصوره طبيعيه. ما دام ربه سبحانه قد أغدق عليه نعمه ظاهره و باطنه فيكون عدم وجود هذا الحب بالنسبه الى الكوكب دليلا على أنه ليس بآلهه حتما!الان الله ينعم على البشر ليلا نهارا،أما الكوكب فانه يأفل نهارا.

و من المعلوم ان بعض الناس لا يزالون يعبدون النجوم،و يزعمون انها ذات أثر فعال فى مصير الإنسان،و قد كان عمل إبراهيم ردا صارخا لمثل هؤلاء الذين كانوا موجودين آنئذ.

[۷۷]و انتظر إبراهيم على مضض من شكه،و توتر من قلبه،ثم انتظر هذه المره فتره أطول حتى بزغ القمر،و أعجبه ذلك النور الهادىء الذى ينساب على الطبيعه بعفويه و سخاء.فقال:هذا ربى.

فَلَمّا رَأَی الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هٰذا رَبِّی و ربما کان بزوغ القمر هو السبب فی عدم رفضه للقمر،و قد یکون تعلق إبراهیم ظاهرا بالقمر رمزا للفرضیه الباطله التی هی لیست إلاّ مجرد ضغط حاله الشک، و عذاب الفراغ الفکری.

فَلَمّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ یَهْدِنِی رَبِّی لَأَکُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالِّینَ بعد فشله الثانی فی فهم الحقیقه قلّل إبراهیم علیه السلام من ثقته المطلقه بفکره،و توکل علی الله،ذلک أن هذه الثقه مفیده فی مرحله الشک،و رفض الأفکار التی یرید الآخرون فرضها علیه.أما بعدئذ فقد یکون لها مردود سلبی.

بک عرفتک:

اما کیف أدرک إبراهیم علیه السلام أن القوه التی یجب انتظار دعمها للإنسان و هو یبحث عن الحقیقه هی قوه الله،و هذه قضیه هامه؟ ان فطره الإنسان تهدیه الی وجود سنن و نظم فی هذا الکون المهیب،و أن الطبیعه تسیر وفق نظام.الشمس و القمر و النجوم کلها تسیر وفق خطه مرسومه.من الذی یهدی الشمس الی مسیرتها،و القمر الی فلکه،و النجوم الی مراسیها؟انه الله.

انه خالقها،إذا فعلینا نحن أیضا ان نبحث عن الهدی هنالک عند الله،لا سیما فی موضوع الإله.إذ قد یکون(و هذا واقع فعلا)البشر عاجزا عن معرفه ربه،و لکن ربه سبحانه لیس بعاجز عن تعریف ذاته له.

و من جهه اخری:حین تکرر تجربه الإنسان الفاشله فی الوصول الی الحقیقه، تعتریه حاله الیأس و یقول:أنا أقل من أن أعرف الحقیقه،فلما ذا البحث؟!

ص:۱۱۳

و هـذا اليـأس هو أخطر عـدو للبحث،و هو وراء أكثر من نصف الجهـل الموجود لـدى النـاس،و اليـأس لا يزول الا بالتوكل على الله،لذلک قال إبراهيم عليه السلام و هو يعانى من صدمه الفشل:

لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّٰالِّينَ [۷۸]إذا كان جمال القمر قد دفع إبراهيم عليه السـلام الى اتخاذه إلها مؤقتا فأن كبر الشمس و ضخامتها،بالاضافه الى جمالها دفعه هذه المره الى مثل ذلک.

فَلَمّٰا رَأَى الشَّمْسَ بٰازِغَةً قٰالَ هٰذٰا رَبِّى هٰذٰا أَكْبَرُ و كانت صـدمه الفشل الهائله و المتكرره حيث اختفت الشـمس العملاقه وراء الأفق.هذه الصدمه نقلت إبراهيم من واد لواد آخر، من وادى مجتمعه الى رحاب الحقيقه.

فَلَمّٰا أَفَلَتْ قٰالَ يٰا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ فتجعلون الشـمس و هى خلق ممـا خلق الله شـريكه لرب العـالمين،بينما شـريک الألوهيه يجب أن يكون قادرا حرا مريدا ما يشاء،و الشمس مسخره بأمر ربها،لا تستطيع ان تخالف امر الله فى الطلوع و الغروب.

التسليم المطلق..المرحله الاخيره:

[۷۹]ترک إبراهيم عليه السلام الخلق و استقبل بوجهه الخالق،ترک الطبيعه الى مسخرها و مدبر أمرها،و قال:

إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِيَ اى اتخذت الله طريقا،و مرضاته هدفا.

ص:۱۱۴

لِلَّذِی فَطَرَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ خلقها و حدد مسارها،و رسم حدودها،و أظهر بذلک هیمنته التامه علیها.

و حین عبد إبراهیم ربه کفر بکل الشرکاء،و رفض الأنداد جمیعا و کان:- حَنِیفاً مائلا عما اعتمده الناس متمردا علی عاداتهم و تقالیدهم،و سلّم أموره جمیعا الی الله رافضا الانتماء الی المجتمع الکافر و قال:- وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ

ص:۱۱۵

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۸۰ الی ۸۳]

اشاره

وَ حَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَ تُحَاجُّونِّی فِی اَللّٰهِ وَ قَدْ هَدٰانِ وَ لاٰ أَخٰافُ مٰا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ رَبِّی شَيْئاً وَسِعَ رَبِّی كُلَّ شَیْءٍ عِلْماً أَ فَلاٰ تَتَذَكَّرُونَ (۸۰) وَ كَيْفَ أَخٰافُ مٰا أَشْرَكْتُمْ وَ لاٰ تَخٰافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللّٰهِ مٰا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰاناً فَأَیُّ اَلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۸۱) اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمٰانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ اَلْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (۸۲) وَ تِلْكَ حُجَّتُنٰا آتَيْنٰاهٰا إِبْرٰاهِيمَ عَلىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجٰاتٍ مَنْ نَشٰاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۸۳)

ص:۱۱۶

هدى من الآيات:

بعد المعاناه الشخصيه،و بعد الشك البرىء الذى انتهى بإبراهيم عليه السّلام الى الاهتداء الى ربه بدء الصراع بينه و بين قومه حيث حذروه مغبه الكفر بالآلهه، فردهم ببساطه:إن الخوف انما هو من الله،لا من القوى المخلوقه له سبحانه.إذ أن تلك القوى تقع ضمن دائره إذن الله و علمه،و أمرهم بأن يعودوا الى فطرتهم ليتذكروا الحقيقه،و بيّن لهم أنّ حذرهم و احتياطهم من الآلهه لا معنى له.إذ لو لم ينزل الله حجه واضحه بالسماح بطاعه أحد،فانه سيعاقب من يطيع غيره،و عقابه أشد و أبقى مما يخافه الإنسان على نفسه من ضرر الآلهه،إذا الحذر من الآلهه يقابل بحذر أكبر من الله لو قبلنا بها من دون اذنه.

و انما الأمن لمن أرضى ربه و لم يخلط ايمانه بشرك،لأن هذا الشخص قد اهتدى الى الطريق السليم،بيد أن فهم هذه الحقيقه ليس فى وسع البشر.إنما الله سبحانه هو الذى يهدى إليها من يشاء ليرفع درجته،و هو الذى لا يفعل ذلك الا حسب علمه

بالفرد،و حکمته البالغه بأنّه یصلح للهدایه و یستحقها.

بینات من الآیات:

مسئولیه الهدایه:

[۸۰]بعد رحله الایمان،تبدء رحله الرساله.إذ فور ما یتنور قلبک بنور الایمان.

تجد نفسک أمام مسئولیه هی تنویر قلوب الآخرین،و لا یمکنک الا أن تفعل ذلک.إذ أن الدنیا صراع فلو لم تذهب الی الناس لهدایتهم جاءوا إلیک لاضلالک،و بالتالی سوف یبدأ الصراع،من هنا قال ربنا عن إبراهیم علیه السلام بعد ان وحد الله و نزهه عن الشرک به.

وَ حٰاجَّهُ قَوْمُهُ یبدو أنهم قالوا له:

أولا:این الله؟و کیف آمنت به؟و بأی دلیل؟و بالتالی أخذوا یشککونه فی ربه،فأجابهم ببساطه:

أنتم لاـ تعرفون الله.أليس کذلک؟أما انا فأعرف الله لأنه قد هدانی إلیه، و من لا یعرف لا یستطیع ان یحاج من یعرف،لأنه هو الجاهل،و هذا عالم، و هو الضال،و هذا المهتدی.

ثانیا:قالوا له:لماذا تشرک بالالهه هذه و هی قویه،و قد تضربک،انک تکفر بالقوی الاجتماعیه التی یمثلها الطاغوت،و بالقوی الثقافیه التی تمثلها قیم المجتمع، و کهنه المعابد،و بالقوی الاقتصادیه التی تمثلها الرأسمالیه و الاقطاع،و آلهه البرکه..

و..و..،أ فلا تخشی هذه القوی؟!

فأجابهم إبراهيم عليه السّلام:كلا..أنا لا أخاف كل أولئك،لأن مشيئه الله هى الحاكمه عليها،صحيح أن الطاغوت قد يؤذينى،و لكن أذى الطاغوت انما هو ضمن دائره اراده الله و اذنه،فلو لم يرد شيئا لا يمكن ان يقع،و الله محيط علمه بالجبت و الطاغوت و من فى فلكهما،فهم أضعف من الله،و أضاف إبراهيم قائلا:

عودوا الى فطرتكم النقيه و تذكروا ان الله أقوى من خلقه،و أن علينا أن نخشاه و لا نخشى خلقه.

قَالَ أَ تُحَاجُّونِّى فِى اللّهِ وَ قَدْ هَدَانِ وَ لاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئاً وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَ فَلاَ تَتَذَكَّرُونَ [٨١]للآلهه رموز و ان ما يخافه البشر هو القوى الطبيعيه أو الاجتماعيه التى ترمز إليها الآلهه،و الخضوع لهذه الآلهه انما هو رمز الخضوع لتلك القوى،و لا يمكن أن يتحرر البشر من هذا الخوف الا بخوف أقوى،و هو الخوف من رب القوى الموجوده فى الكون،لذلك حذّر إبراهيم قومه من غضب الله،و قال:

وَ كَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَ لاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً و ربما يتصور البعض منا أن الله رحيم بعباده،إذا لا خوف منه،أما الطبيعه فهى ؟؟؟فعلينا الخضوع لها لنتجنب ضررها،هذه الفكره هى التى دفعت بعض الناس لعباده الشيطان حيث قالوا:ان الله رحيم بنا لأن طبيعته الخير،أما الشيطان فان طبيعته الشر فعلينا عبادته.

و لكن إبراهيم بيّن ان الله لا يرضى بطاعه أحد من دون أن يأذن هو بذلك،و لن يأذن و الا فهو ينزل غضبه و لعنته على البشر،و انه لو أرادت الآلهه أو الذين يطاعون من دون الله الفتك بالناس و التجأ الناس الى الله-رب الآلهه و الناس-لتخلصوا

من شرورهم،إذا فالأمن الحقيقى لمن يخشى الله.

فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

مضار الشرك:

[۸۲]و عاد إبراهيم و أضاف دليلا جديدا على ضروره التوحيد الخالص و هو:

ان الشرك ظلم،بينما الخضوع لله هو العدل،و أن للظلم ضررين:

الاول:الابتعاد عن الأمن.

الثانى:الابتعاد عن الهدى بينما المؤمن الموحد يملك الأمن و الهدى.

اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ دعنا نتصور:مجتمعا يسوده الطاغوت،و يخشى الطبيعه،و يقدم قرابينه لإله البحر و إله الحرب و إله الربيع،كما كان يفعل أهل مصر،و مجتمعا تسوده حكومه عادله،و يتحدى الطبيعه و يقهرها.أيهما سيكون المجتمع الآمن؟هل الظلم الطاغوتى و الخضوع للطبيعه يوفر الأمن،أم العداله و الحضاره(قهر الطبيعه و تسخيرها)؟!ثم ان التحرر من خوف الطاغوت و خوف الطبيعه يجعلنا نفكر بحريتنا،نبحث عن الحقيقه بكل أمان،و لا نخشى من الحقيقه،و لا تسودنا دعايه الطاغوت،و مخاوف الطبيعه لنقتحم كلّ أسوار الطبيعه،لنكتشفها و نسخرها،و آنئذ نحصل على الهدايه.ان بدايه كل علم هو الشعور بالأمن.لذلك جاء الهدى بعد الأمن فى الآيه الكريمه.

[۸۳]لقد حاج إبراهيم قومه فانتصر عليهم،و السؤال هو من آتاه هذه الحجه؟ انه الله،إذ أن إبراهيم عليه السّلام كشخص يعيش ضمن حدود المجتمع،و تقهره

الطبیعه لا ـ بـد ان یتقول حسب أفکـار المجتمع و حتمیـات الطبیعه،إلا ـ أن الله سـبحانه یرسـل رسالته علی الإنسان لکی ینقـذه من الحتمیات الاجتماعیه و الطبیعیه التی تحیط به.

وَ تِلْکَ حُجَّتُنا آتَیْناها إِبْراهِیمَ عَلی قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّکَ حَکِیمٌ عَلِیمٌ و لحکمته و لعلمه لا یرفع کل شـخص الی رفیع الدرجات عبثا،انما یرفع من یکون مؤهلا لذلک بجده و اجتهاده،و بحثه عن الحقیقه،و عدم خوفه من الحتمیات الباطله.

ص:۱۲۱

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۸۴ الی ۸۸]

اشاره

وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ کُلاًّ هَدَیْنا وَ نُوحاً هَدَیْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ وَ أَیُّوبَ وَ یُوسُفَ وَ مُوسی وَ هارُونَ وَ کَذلِکَ نَجْزِی اَلْمُحْسِنِینَ (۸۴) وَ زَکَرِیّا وَ یَحْیی وَ عِیسی وَ إِلْیاسَ کُلٌّ مِنَ اَلصّالِحِینَ (۸۵) وَ إِسْماعِیلَ وَ اَلْیَسَعَ وَ یُونُسَ وَ لُوطاً وَ کلاًّ فَضَّلْنا عَلَی اَلْعالَمِینَ (۸۶) وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّیّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اِجْتَبَیْناهُمْ وَ هَدَیْناهُمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۸۷) ذلِکَ هُدَی اَللّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ لَوْ أَشْرَکُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (۸۸)

ص:۱۲۲

خط إبراهيم عليه السلام

اشاره

فی سلسله الأنبياء عليه السلام

هدى من الآيات:

تلك الرساله التی أهبطها الله علی قلب إبراهيم عليه السلام ،بعد ان وجده أهلا لها،ثم بعد ان دخلت مرحله الصراع المرير،أصبحت اليوم تيارا يهدی به الله،مجموعه من الأنبياء العظام،و قبلهم جميعا نوح عليه السلام حيث هداه الله،و داود و سليمان و..و..

و لم يكن هؤلاء وحدهم فی الساحه، لقد كان معهم الآباء و الذريه و الأخوه الذين اجتباهم الله علی علم منه بهم،نظرا لصلاحيتهم للعمل الرسالی.

و إذا كان هؤلاء علی صراط مستقيم فانما بإذن الله و بهداه،و لم يكن باستطاعتهم الوصول الی هذا المستوی من دون التوحيد الخالص،إذ أنهم لو أشركوا لأحبط الله أعمالهم.

بينات من الآيات:

انتصار إبراهيم:

[۸۴]ماذا كان عاقبه الصراع بين إبراهيم و قومه الذين أبطل إبراهيم حجتهم.

ص:۱۲۳

ان العاقبه کانت انتصارا ساحقا لإبراهیم حیث أن الله أمدّ إبراهیم بأبناء و ذریه و أنصار.

وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ کُلاًّ هَدَیْنا حیث کوّن إسحاق و یعقوب-بنی إسرائیل-تلک الامه المؤمنه الصبوره.

وَ نُوحاً هَدَیْنا مِنْ قَبْلُ فلم یکن اهتداء إبراهیم بدعا جدیدا،بل کان سنه قائمه منذ مده طویله.

وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ وَ أَیُّوبَ وَ یُوسُفَ وَ مُوسی وَ هارُونَ هذه الأسماء التی تحولت فی تاریخ البشریه الی رموز لکل قیم الخیر،ان نقطه البدایه عندهم کانت الهدایه الی الله،و الهدایه بدورها جاءت نتیجه إحسانهم، و فعلهم الخیر.

وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ و نحن بدورنا لو فعلنا الخیر لهدانا الله،و لأصبحنا بأذنه رموزا لقیم الخیر فی التاریخ.

خط إبراهیم علیه السلام :

[۸۵]و هناک رموز اخری اتبعت ذات الطریقه القویمه و المنهج السلیم،و کانت النتیجه أنهم أصبحوا صالحین.أفکارهم سلیمه،و أخلاقهم قویمه،و أعمالهم خیّره، و أهدافهم نبیله،و بالتالی کلما یراه الضمیر السلیم للإنسان،أنه صلاح یتمثل فیهم.

ص:۱۲۴

وَ زَكَرِيّٰا وَ يَحْيىٰ وَ عِيسىٰ وَ إِلْيٰاسَ كُلٌّ مِنَ الصّٰالِحِينَ [٨۶]و اخرين اتبعوهم على الهدى-و فضلهم الله على الناس لهذا السبب-.

وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلاًّ فَضَّلْنٰا عَلَى الْعٰالَمِينَ بعلمهم و جهادهم.

ان هذه الأسماء اللامعه فى سماء الانسانيه معروفه لمن يتلو آيات القرآن،حيث ذكرها الله أكثر من مره،و فصّل كثيرا من قصص حياتهم،و عبر تاريخهم،و انما فعل ذلك ليصبحوا قدوات للبشر،و ليقول لهم:أيها الناس إن هؤلاء كانوا بشرا مثلكم و لكنهم أحسنوا فهداهم الله،و أصبحوا ثناء على كل لسان،و مثلا لكل فضيله أ فلا تقتدوا بهم و تتبعوا منهجهم؟! و يلاحظ المتدبر فى نهايات هذه الآيات الثلاث ان الله سبحانه ذكر صفات ثلاث لهؤلاء الصفوه(الإحسان،و الإصلاح،و التفضيل)و يبدو أنها صفات متدرجه،فالاحسان هو العطاء،و الخروج عن سجن الذات،و قوقعه الانانيه الى رحاب الحق،و خدمه الآخرين،انه سبب الهدايه،بل سبب كل خير،اما الهدايه فهى من الله سبحانه،و بالاسلوب الذى ذكره ربنا سبحانه بالنسبه الى إبراهيم -عليه السّلام-و الصفه الثانيه هى الصلاح،و هى عاقبه الهدايه،و أثرها فى حياه البشر،حيث تجعل منه إنسانا متكاملا،اما الصفه الاخيره،فهى نتيجه الهدايه فى الواقع الاجتماعى.حيث يصبح البشر أفضل العالمين.

[٨٧]لم تكن هذه الأسماء التى ذكرت سوى رموز،و لن تكون هى الوحيده فى هذا الطريق بالرغم من أنها كانت أبرزها،لذلك يذكرنا القرآن ببقيه الذين ساروا على ذات النهج.

وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّیّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَیْناهُمْ وَ هَدَیْناهُمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ

قانون الهدایه:

[۸۸] ذلِکَ هُدَی اللّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ و لکن الهدی لن یجتمع مع الشرک،إذ أن الشرک بالله یعنی سلب الالوهیه من الله،و نسبه الضعف و العجز الیه سبحانه،و تحدید قدرته و مشیئته،و کل هذه الصفات بعیده عن صفات الله،و بالتالی من یؤمن بها لا بد أن یکفر بالله،لأنه لیس بإله من هو خاضع لخلقه،و غیر قادر علی أن یقهر صنما حجریا منحوتا،أو صنما بشریا یتمثل فی المجتمع الفاسد،أو فی طاغوت جبار.

وَ لَوْ أَشْرَکُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما کانُوا یَعْمَلُونَ من خیر و إحسان و صلاح لأن الصلاه مثلا:تعنی الایمان بالله،و الایمان بالله یعنی بدوره الکفر بالطاغوت،إذ أنه لا إله ذلک الذی لا یستطیع قهر الطاغوت، و لذلک إذا خضع المصلی للطاغوت لم یکن لصلاته ای معنی،فلذلک فهی تحبط حبطا.

ص:۱۲۶

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۸۹ الی ۹۲]

اشاره

أولٰئِكَ اَلَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحُكْمَ وَ اَلنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهٰا هٰؤُلاٰءِ فَقَدْ وَكَّلْنٰا بِهٰا قَوْماً لَيْسُوا بِهٰا بِكٰافِرِينَ (۸۹) أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ هَدَى اَللّٰهُ فَبِهُدٰاهُمُ اِقْتَدِهْ قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرىٰ لِلْعٰالَمِينَ (۹۰) وَ مٰا قَدَرُوا اَللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قٰالُوا مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ اَلْكِتٰابَ اَلَّذِي جٰاءَ بِهِ مُوسىٰ نُوراً وَ هُدىً لِلنّٰاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرٰاطِيسَ تُبْدُونَهٰا وَ تُخْفُونَ كَثِيراً وَ عُلِّمْتُمْ مٰا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لاٰ آبٰاؤُكُمْ قُلِ اَللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (۹۱) وَ هٰذٰا كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ مُبٰارَكٌ مُصَدِّقُ اَلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ اَلْقُرىٰ وَ مَنْ حَوْلَهٰا وَ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ يُحٰافِظُونَ (۹۲)

اللغه

۹۲[أم القری]:مکه.

ص:۱۲۷

أولئک هم قدوه المؤمنين

هدی من الآيات:

فی الـدرس السابق ذکر القرآن أسـماء الأنبياء العظام،و فی هـذا الـدرس يذکرنا بحقائق عنهم:فهم يشـکلون خط الرساله الذی لا انحراف فيه أبـدا،حتی و ان انحرفت الخطوط الاـخری،و قـد حافـظ الله علی سـلامته و اسـتقامته ليکون قـدوه للنـاس من دون ان يحملهم أجرا،بل ليذکرهم بالحقيقه فقط.

و هناک من يشـکک فی بعث الأنبياء،و هم الـذين لم يعرفوا ربهم،و ماله من حکمه و قـدره،و أنهم لم يشـکروا ربهم علی تلک الرسالات النيره التی أنزلها علی البشر علی يد موسی عليه السّلام.

ثم هـذا الکتاب الـذی أنزله لکی يکون منهجا للنمو و الرشـد و التکامل و هو فی ذات الخط الرسالی المسـتقيم،و الهدف منه أن ينذر به أم القری و من حولها.

و من يؤمن بالله و اليوم الآخر لا بد أن يؤمن بالرساله،إذ أن الرساله هی نتيجه

ص:١٢٨

الاعتقاد بهما.

بينات من الآيات:

فَبِهُدٰاهُمُ اقْتَدِهْ :

[۸۹]تلك كانت رسالات الله بينها الله فى الآيات السابقه،و رسله كانوا دعاه لتلك الرساله.

أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ الكتاب هو الرساله،و الحكم هو القضاء و السلطه باسم الرساله،اما النبوه فهى تحمل الرساله لدعوه الناس إليها.

فَإِنْ يَكْفُرْ بِهٰا هٰؤُلاٰءِ فَقَدْ وَكَّلْنٰا بِهٰا قَوْماً لَيْسُوا بِهٰا بِكٰافِرِينَ فلا خوف على الرساله-ان تبقى غريبه-إذ سوف يقيّض الله لها رجالا يؤمنون بها،و يفدونها بأرواحهم،و انما الخوف على هؤلاء الذين لا يؤمنون بها.

و على امتداد التاريخ هناك رجال يؤمنون بخط الرساله المستقيم دون أن يخالط ايمانهم شك أو وهن أو ارتداد.

[۹۰]و الله سبحانه يبارك هذا الخط السليم بهدف ان يكون قدوه فى الهدى.

أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰاهُمُ اقْتَدِهْ و هذه الهدايه انما هى للناس جميعا و هؤلاء لا يتقاضون أجرا على تبليغها.

قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرىٰ لِلْعٰالَمِينَ

ص:۱۲۹

الایمان بالرسالات جوهر الایمان:

[۹۱]الایمان بالله،و معرفته سبحانه هی النقطه المرکزیه للایمان بسائر الحقائق و معرفتها،و أنّ أبرز هـذه الحقائق الایمان برسالات الله التی من ینکرها فانما ینکر الله أو لا یعرفه حق معرفته،فالله الذی خلق السموات و الأرض و کل شیء فیهما إنما خلقه بهدف و حکمه،و خلق الإنسان و لم یترکه سدی،بل بعث الیه رسلا یوضحون له درب السعاده،فمن أراد السعاده اتبعهم،و من لم یرد،فمصیره النار و ساءت سبیلا.

وَ مَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللّهُ عَلیٰ بَشَرٍ مِنْ شَیْءٍ ثم ان ابسط دلیل علی ای شیء هو وجوده العینی الخارجی،و الله قد انزل رسالته علی البشر متمثله فی کتاب موسی علیه السّلام الذی یستحیل عقلا أن یکون من غیر الله،فاذا هو من الله.

قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْکِتَابَ الَّذِی جَاءَ بِهِ مُوسیٰ نُوراً وَ هُدیً لِلنّاسِ انه من الله بدلیل أنه نور یستجلی العقل،و یوقظ الضمیر،و ینبه الفطره البشریه، و لأنه نور فهو کاشف للحقائق سواء تلک التی تمتّ الی الدنیا أو الآخره،و الکتاب بالاضافه الی ذلک هدی للناس یهدی به الله الی سواء السبیل فی الآخره،و الهدی أخص من النور،لأنه یهدی صاحبه حتی و لو لم یؤت نورا شاملا.

انّ الأنبیاء و الصدیقون و العلماء یؤیدون بنور العقل فیکشفون بأنفسهم الحقائق.

أمّا الناس فأنهم قد لا یؤتون النور و لکن یهدیهم الله الی الصراط المستقیم عن طریق توضیح السبل لهم کالأعمی الذی یأخذ بیده البصیر و یقوده فی مسیرته.

ص:۱۳۰

تَجْعَلُونَهُ قَرٰاطِيسَ تُبْدُونَهٰا وَ تُخْفُونَ كَثِيراً لأنكم خشيتم منه على مصالحكم و الآن تنكرون البقيه رأسا،أو ليس فى هذا التناقض دليلا على بطلان كلامكم.

وَ عُلِّمْتُمْ مٰا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لاٰ آبٰاؤُكُمْ فجاءت الأفكار بعيده عن الجو الثقافى الذى كان سائدا عليكم،مما يدل على أنها كانت أفكارا غيبيه.

و أخيرا:ان جدل هؤلاء فى رساله النبى نابع من مرض قلبى دفين، لا ينفع معه اقامه الحجج،لذلك يجب أن يتركوا لشأنهم حتى يأتيهم جزاء أفعالهم.

قُلِ اللّٰهُ الله هو الحاكم بينى و بينكم،و الله هو الشاهد و الشهيد عليكم،و الله هو الذى لو آمنا به حقّا لآمنّا بالرسالات،و لأصلحنا عقد أنفسنا.

ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ اى يلعبون فيما يخوضون فيه،و يناقشون فيه من أفكار خاطئه و أهواء.انهم لا يتبعون العلم،بل يتلاعبون بالألفاظ و الأهواء.

خصائص رسالتنا و أهدافها:

[۹۲]الايمان بالرسالات عموما،ركن من أركان الايمان بالله،الا أن ذلك لا يكفى.إذ يجب ان نؤمن بالرساله التى تخص حياتنا بالذات،و الرساله الاسلاميه هى تلك الرساله التى لا بد ان نؤمن بها لعده أسباب.

أولا:لأنها مباركه تحفز البشريه نحو التقدم و الرقی،و النمو و الخیر،و هذا هو تطلع البشر الأسمی.

ثانیا:لأنها تتفق فی أصولها مع سائر رسالات السماء،مما یدل علی وحده المشکاه التی انبعثت منها.

ثالثا:لأنها جاءت لتحقیق یقظه فی عالم یغط فی سبات الجاهلیه،و ذلک فی شبه الجزیره العربیه.

رابعا:ان الهدف من اعتناقها لیس هدفا مادیا کالوصول الی السلطه أو الغنی،بل هدف معنوی بدلیل أن حمله الرساله هم رجال الله،فهم یحافظون علی صلواتهم،و عموما المؤمنون بهذه الرساله هم المؤمنون بالیوم الآخر الذین لا یهدفون من ورائه الدنیا و زینتها.

وَ هٰذٰا کِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ مُبٰارَکٌ مُصَدِّقُ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُریٰ وَ مَنْ حَوْلَهٰا وَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلیٰ صَلاٰتِهِمْ یُحٰافِظُونَ

ص:١٣٢

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۹۳ الى ۹۴]

اشاره

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَرىٰ عَلَى اَللّٰهِ كَذِباً أَوْ قٰالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَ مَنْ قٰالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ اَلظّٰالِمُونَ فِي غَمَرٰاتِ اَلْمَوْتِ وَ اَلْمَلاٰئِكَةُ بٰاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذٰابَ اَلْهُونِ بِمٰا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اَللّٰهِ غَيْرَ اَلْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيٰاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (۹۳) وَ لَقَدْ جِئْتُمُونٰا فُرٰادىٰ كَمٰا خَلَقْنٰاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مٰا خَوَّلْنٰاكُمْ وَرٰاءَ ظُهُورِكُمْ وَ مٰا نَرىٰ مَعَكُمْ شُفَعٰاءَكُمُ اَلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكٰاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مٰا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۹۴)

اللغه

۹۴[ما خولناكم]:ما أعطيناكم من متاع الدنيا.

ص:۱۳۳

الافتراء على اللّه أشد الظلم

هدى من الآيات:

الظلم ظلمان،فقد يغتصب الفرد حق صاحبه المادّى،و هذا الظلم قد ينتهى بالتوبه و أداء الحق،و لكن قد يغتصب الفرد فكر الناس،و يضلّهم و يضل نفسه عن الحق،و يحرف مسيره البشريه،و هذا أكبر خيانه و أخطر ضررا.

فإذا قال أحد:ان الله يقول هذا.كذبا و افتراء،أو ادعى النبوه و هو ليس بنبى أو ادعى قدرته على إبداع أفكار،و مناهج مثيله لأفكار و مناهج الرسالات،فانه آنئذ أظلم الناس،و جزاؤه عذاب الهون الذى يأتيه عند ما تهبط عليه ملائكه الغضب بكل عنف و خشونه،ينتزعون منه نفسه،لأنّه كذب على الله،و لأنه استكبر على الحق.

و إنما يعتمد الظالم على قدرته الجسديه أو الماديه أو الاجتماعيه،و لكن حين تنتزع الملائكه نفسه،تتبخر هذه القدرات،فالجسد خائر القوى،و الأموال و الممتلكات تنتظر الورثه،أما الناس الذين زعم أنهم وراءه فهم غير موجودين هناك،أو غير نافعين له،أما الأفكار الباطله التى اخترعها فقد أصبحت كالسراب الزائل.

ص:۱۳۴

بينات من الآيات:

الجريمه المنظمه:

[۹۳]فی عالم الجریمه السارق الوحید عقوبته محدوده،بینما علی العصابه عقوبات مشدده،لأن جریمتهم أخطر،و أخطر من تلک السرقات الکبیره التی تتستر تحت قناع الایدلوجیه الباطله،کسرقه الاقطاعیین و المترفین من المحرومین،أو سرقه الطواغیت و الامبریالیه من الشعوب المستضعفه،و أکثر ما عانت البشریه فی تاریخ الجریمه انما کانت بسبب هذا الطراز من المجرمین.

أن هؤلاء یخترعون أولا أفکارا باطله تساعدهم علی استثمار الجماهیر،و استغلال بساطتهم،ثم یبدءون بامتصاص جهودهم الی أخر قطره دم فی عروقهم.

و کثیرا ما ینسبون افکارهم الی الله لإعطائها المزید من الشرعیه،و لإتاحه الفرصه لأنفسهم للمزید من الابتزاز،و قد یستخدمون رجال الدین المزیفین لهذا الغرض البشع.

و أخطر من ذلک أنهم قد یدّعون النبوه،و أن الله یوحی إلیهم،أو حتی یکابرون علی ربهم،و یزعمون أن خرافاتهم و ضلالاتهم مثیله لبصائر رسالات الله و هداها.

هذا الفریق أظلم الناس جمیعا.

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَریٰ عَلَی اللّٰهِ کَذِباً و لعل هذه الکلمه تشمل کل من یدعی کذبا أنه قد فهم الحقیقه حتی و لو لم ینسب کلامه الی الله مباشره،إذ أن مجرد هذا الادعاء یجعل هذا العمل مرتبطا بالله سبحانه.

ص:۱۳۵

أَوْ قٰالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَ مَنْ قٰالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ

عند ما تنتزع الروح:

اما جزاء هؤلاء فيصوره القرآن الحكيم،فى لحظه مفارقه الدنيا،تلك التى من أجل متاعها الزائل تسبب هذا الفريق المجرم فى حرمان الألوف من البشر حقوقهم، أو حتى فى هلاكهم،عند ما تهبط عليهم ملائكه العذاب و هم فى أشد لحظات الفزع و الاحتضار،حيث تغمرهم أمواج الموت موجه بعد أخرى،و الملائكه واقفون على رؤوسهم،و قد بسطوا أيديهم الغليظه،و هم يقولون بكل عنف:أخرجوا أنفسكم، و ينتظرون انتزاعها لتعذيبها بعذاب الهون.

وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ الظّٰالِمُونَ فِي غَمَرٰاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلاٰئِكَةُ بٰاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ان تصور هذه اللحظات الحاسمه ينفع كل واحد منا فى الاّ نتورط فى ظلم الآخرين.

اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذٰابَ الْهُونِ اما العذاب ف..

بِمٰا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ اما الهون و الخزى و العار فانه جزاء الاستكبار.

وَ كُنْتُمْ عَنْ آيٰاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ

من لضعف الى الضعف:

[۹۴]لماذا يستكبر الإنسان عن الحق،و يخترع أفكارا باطله،و ينشرها بين

الناس،و يمنع الجماهير من نعمه الله؟هل لأنه يريد جاها أو مالا۔ أو قوه،و اين تذهب أمواله و شفعاؤه عند ما تأتيه ملائكه الموت؟! وَ لَقَدْ جِئْتُمُونٰا فُرٰادىٰ كَمٰا خَلَقْنٰاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أنتم ضعفاء،بدليل أن خلقكم الاول،مبنىّ على الضعف و الانفراد،و انما بسبب نعم اللّه عليكم التى لم تصبح جزء من كيانكم،بل لم تصبح ملككم أصبحتم كذلك و أنتم تحسبون انكم أقوياء،لقد خول الله لكم هذه النعم.أى أعطاكم إذنا باستخدامها فى طرق معينه،و سوف تذهب عنكم حينما يشاء الله.

وَ تَرَكْتُمْ مٰا خَوَّلْنٰاكُمْ وَرٰاءَ ظُهُورِكُمْ أما المجتمع الفاسد الذى اعتمدتم عليه فى اختراع هذه الأفكار و ترويجها،اما الطبقه المترفه و المفسده،كالرأسماليين الكبار،و رجال الأمن الفاسدين،فهم الآن غائبون عنكم،فأين هم؟! وَ مٰا نَرىٰ مَعَكُمْ شُفَعٰاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكٰاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ اى انفصلت القوى الرابطه بينكم و بينهم،أما الأفكار الجامعه بينكم و بينهم كفكره الطبقه الحاكمه أو الحزب الطليعى،أو النخبه المثقفه،هذه الخرافات التى اخترعتموها لاستثمار الجماهير قد تلاشت و غاصت فى الرمال.

وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مٰا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ من الشرك بالله و اعتقادكم بأفكار باطله.

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۹۵ الی ۹۹]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ فٰالِقُ اَلْحَبِّ وَ اَلنَّوىٰ يُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ اَلْمَيِّتِ مِنَ اَلْحَيِّ ذٰلِكُمُ اَللّٰهُ فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ (۹۵) فٰالِقُ اَلْإِصْبٰاحِ وَ جَعَلَ اَللَّيْلَ سَكَناً وَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ حُسْبٰاناً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ اَلْعَزِيزِ اَلْعَلِيمِ (۹۶) وَ هُوَ اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اَلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهٰا فِي ظُلُمٰاتِ اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا اَلْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۹۷) وَ هُوَ اَلَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا اَلْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (۹۸) وَ هُوَ اَلَّذِي أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَأَخْرَجْنٰا بِهِ نَبٰاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنٰا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرٰاكِباً وَ مِنَ اَلنَّخْلِ مِنْ طَلْعِهٰا قِنْوٰانٌ دٰانِيَةٌ وَ جَنّٰاتٍ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ اَلزَّيْتُونَ وَ اَلرُّمّٰانَ مُشْتَبِهاً وَ غَيْرَ مُتَشٰابِهٍ اُنْظُرُوا إِلىٰ ثَمَرِهِ إِذٰا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكُمْ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۹۹)

اللغه

۹۸[فمستقر]:مستقر فی أرحام الأمهات.

[و مستودع]:فی أصلاب الرجال.و جاء فی الحدیث عن أبی عبد اللّه ان المستقر هو الثابت من الایمان و المستودع هو الایمان العواری الذی یبقی لفتره من الوقت ثم یزول.

ص:۱۳۸

الطريق الی معرفه اللّه

هدی من الآیات:

کیف یختار لنا الشیطان طریق الضلاله و الافک و الانحراف عن مسیره التوحید،و الله هو الذی خلق الحب و النوی،و هو الذی یحیی الموتی و یمیت الأحیاء، و هو الذی یخرج الإصباح من رحم الظلام،و یجعل اللیل مأوی للأحیاء حیث یسکنون الی ظلامه و هدوئه،و سواء الصباح أو اللیل،فهما یجریان وفق نظام دقیق یدل علی علم المدّبر لهما و قدرته.

و مواضع النجوم،و حرکتها المنظمه مدبرتین بحکمه بالغه،لا یکشفها الا أهل العلم و المعرفه،و لا یعرفون مدی ما فیهما من حکمه،فیتساءلون:إذا کنا نهتدی بالنجوم علی الطریق فی اللیالی المظلمه،فکیف لا نهتدی الی الله بآیاته الباهره؟ و إذا أمعن البشر النظر فی طریقه تناسل الإنسان،و کیف انشأ الله کل البشر من نفس واحده،فمنهم من یستمر فی البقاء،و منهم من یموت،و مال هذا یموت و ذلک یحیی؟!و إذا ما أوتینا الفقه عرفنا ما وراء الموت و الحیاه من حکم بالغه تدل

علی حکمه ربنا و قدرته.

و الله هو الذی أنزل المطر،فاذا به یتحول بقدره الله الی شتی أنواع النباتات،من حقول خضراء الی جنان النخیل و الأعناب و الزیتون و الرمان بعضها متشابه و بعضها مختلف،و حین ینظر المرء الی ساعه أثمارها،و لحظه ینعها ینبهر بها،و عموما فان البشر بحاجه الی فطره سلیمه،و غیر معقده ضد الایمان حتی یهتدی بهذه الحقائق الی الرب الکریم.

و من الملاحظ ان القرآن الحکیم قد قسم الآیات علی أنواع:بعضها للعالمین، و بعضها للفقهاء،و البعض للمؤمنین،للدلاله علی تدرج المراحل،الکمالیه ففی البدایه علینا ألا نکون فی إفک و ضلاله،و تکون القلوب نظیفه من العقد و العقائد الباطله،ثم نحصل علی العلم،ثم نتعمق فی العلم،حتی نحصل علی غور العلم، و عمقه و هو الفقه،و أخیرا ننظر الی الحیاه نظره بسیطه،نابعه من الفطره النقیه،حتی نصبح مؤمنین بأذن الله.

هذا الدرس یأتی حلقه من مسلسل الدروس الایمانیه المباشره،بینما کانت الدروس السابقه تمهد لمثل هذا الدرس.

بینات من الآیات:

النشأه الاولی:

[۹۵]الفلق هو:ان ینشطر شیء فینکشف عن شیء خفی،و الحب تکمن فیه المواد الحیه،و لکنها تبقی خفیه حتی تنفلق و تنشطر،فینکشف عن تلک المواد، و لکن هذه الحاله بحاجه الی من یدبرها حتی ینفلق الحب بتنظیم و متانه و رفق، حتی تتم الولاده سلیمه،و الله هو ذلک المدبر العزیز.

إِنَّ اللّٰهَ فٰالِقُ الْحَبِّ وَ النَّویٰ و الکلمه تـدل علی طریقه النشأه،و هی أن نمو المواد الحیه یسـبب فی انقشـاع الغلاف الظاهر الـذی یخفی وراءه تلک المواد،فاذا بنا نشاهـد الحیاه، بینما کانت الحیاه موجوده سابقا،و لم تکن معـدومه آنئـذ،و لکنها کانت مخزونه الی هذا الوقت.

و هذا النمو یتم بإضافه المواد المیته الی الماده الحیه،فتصـبح تلک المواد المیته ذات حیاه بإضافتها الی تلک الماده الحیه،فالحب فیه مـاده حیّه تسـتقی من الأملاح المیته، و من النور المیت و من الماء،فتصـبح حبه کبیره،فاذا انتهت دوره الحیاه،فان تلک المواد المیته تزال عن تلک الماده الحیه.و ربما یکون هذا المعنی قوله سبحانه:

یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذٰلِکُمُ اللّٰهُ أو یکون معناه:ان اللّه یخرج من ضـمیر الأشـیاء المیته شـیئا حیا،و من رحم الأشیاء الحیه شیئا میتا،و بتعبیر أخر یحول الحیّ الی میت،و المیت الی حی، سبحانه.

فَأَنّٰی تُؤْفَکُونَ فی أیه ضلاله تتیهون،و أی إفک یحمّل علیکم،و یفرض علیکم.

أن الخلاص من الافک الـذی تفرضه علی البشـر أهواؤه و مجتمعه و الشیطان الرجیم،شـرط مسـبق لفهم الحقائق ببصـیره الفطره النقیه.

[۹۶]و الله سـبحانه هـو الـذی خلق النور،و فلقه و نشـره،و نظم انتشاره.کمـا جعـل الظلاـم فی حـدود معینه و لهـدف محـدد و هو السکون الیه و الراحه.

فٰالِقُ الْإِصْبٰاحِ وَ جَعَلَ اللَّیْلَ سَکَناً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبٰاناً

ص:۱۴۲

جعلهما يسيران وفق نظام ثابت و محسوب،لا يحيدان عنه قيد أنمله.

ذٰلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ فبعلمه سبحانه وضع الخطه،و بعزته أجراها.

بين العلم و الهدى:

[۹۷]مواقع النجوم،و ما فی السماء من کواکب سیاره،و نجوم ثوابت،بالرغم من دوران الشمس و القمر،انها من آیات الله العظیمه،اننا نهتدی بها فی ظلمات البر و البحر،و هذا الاهتداء یتم لعلمنا بثبات هذه المواقع،و بأنها دلیل علی وجود ثبات فی سنن الکون،و بالتالی علی أن للکون أنظمه بالغه الدقه،و أن هذه الآیات وضعها الله لیهتدی البشر إلیها و لیستفید منها،أ فلا تدل هذه الآیات علی الواحد القهار؟!إذا کنا نهتدی بالنجوم علی السبل السلیمه فی الحیاه،أ فلا نهتدی بها علی من وضع هذه السنن ما دامت طریقه الاهتداء واحده،و هی الانتقال من العلامه الی ما ورائها من الحقیقه؟! وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهٰا فِی ظُلُمٰاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآیٰاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ لأنه من دون العلم و المعرفه لا یمکننا بلوغ معرفه الحقائق،و فی هذه الآیه جاء التأکید علی دور العلم خصوصا فی معرفه الآیات المفصله.

دوره المياه:

[۹۹]التنوع فی الحیاه دلیل آخر علی حکمه الله و علمه و قدرته، فبالرغم من وحده الهدف العام،فانک تری کل شیء فی الحیاه یحقق هدفا معینا یتکامل مع سائر

الاهـداف فى وحـده شامله لها جميعا،و اننا نجـد الاهداف كلها تتحقق بذات الوسائل الواحده،و ذلك عن طريق احداث تغيرات بسيطه فى طريقه تركيبه المواد مع بعضـها، و فى كميه كل ماده و ما أشـبه،فالأرض تسـقى بماء السماء،فالماء هو الماء،و الأرض هى الأـرض،و لكن النبات يختلف لونه و طعمه و فائـدته،و الهـدف من خلقه،و كل نبته أنشـئت لهـدف محـدد يتكامل،مع سائر أنواع النباتات.

وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً ترى كم هى حكمه رائعه ان ينزل الله من السـماء ماء،و الماء منبعه فى الأرض، و هو مالح،و لكن الله يحليه بالتبخير،ثم يرفعه الى السـماء،و يضـيف اليه هناك المواد الضـروريه للزرع،بعضـها عن طريق احتكاك السحب ببعضها مما يحدث الرعد، و بعضـها عن طريق امتزاج الماء بالهواء،ثم حين تمطر السـماء يتوزع هذا الماء فى كل أرجاء الأرض السهل و الجبل،و المدينه و الصحراء ليحقق اهدافا مختلفه.

أولا تهدينا هذه الآيه الى ربنا القدير،ثم أنظر الى آثار الماء الذى يهبط من السماء.

فَأَخْرَجْنٰا بِهِ نَبٰاتَ كُلِّ شَیْءٍ كل شىء ينمو بهذا الماء.الزرع و الضرع و الحيوانات.

فَأَخْرَجْنٰا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرٰاكِباً كالحنطه و الشعير و الذره و ما أشـبه مما يتراكم الى بعضها لفائده المجتمع،حتى يكاد البشر يعجز عن استيعاب الفائض منه،فاذا ببعض الدول تحرق المزيد منها، و بعضها تلقيه فى البحر.

وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهٰا قِنْوٰانٌ دٰانِيَةٌ تعطيك تمرها بسهوله بالاضافه الى روعه جمالها،و سائر فوائدها.

وَ جَنّٰاتٍ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمّٰانَ مُشْتَبِهاً وَ غَيْرَ مُتَشٰابِهٍ و لحظه ولاده الحياه لحظه رائعه،لأنها أقرب الى الفهم العميق لطبيعه الحياه،و لما فيها من حكمه و نظام،و لما تحتوى عليها من شواهد عظيمه على طبيعتها المحدوده المحكومه بما فوقها من اراده و علم و قدره.لذلک يأمرنا الله بالنظر الى هذه اللحظه.

اُنْظُرُوا إِلىٰ ثَمَرِهِ إِذٰا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ ان هذه العبر المنتشره فى الحياه بحاجه الى الايمان بها حتى يعرفها و يستوعبها البشر إذ من دون الايمان يقتصر نظر البشر الى الحياه ذاتها،دون النظر الى ما ورائها من حكمه و غايه معقوله،أو لما فيها من شهاده على الرب الكريم.

إِنَّ فِى ذٰلِكُمْ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

الامام على عليه السلام المثل السامى للمؤمن الصادق كان يقول :

(ما رأيت شيئا الاّ و رأيت الله قبله و بعده و معه)

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۱۰۰ الى ۱۰۳]

اشاره

وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ اَلْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنٰاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالىٰ عَمّٰا يَصِفُونَ (۱۰۰) بَدِيعُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ أَنّٰى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صٰاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱۰۱) ذٰلِكُمُ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (۱۰۲) لاٰ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصٰارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصٰارَ وَ هُوَ اَللَّطِيفُ اَلْخَبِيرُ (۱۰۳)

اللغه

۱۰۰[و خرقوا]:حكموا.

۱۰۱[بديع]:بمعنى المبدع،و الفرق بين الإبداع و الاختراع أن الإبداع فعل ما لم يسبق الى مثله،و الاختراع فعل ما لم يوجد سبب له،و لذلک يقال البدعه لما خالف السنه لأنه احداث ما لم يسبق اليه.

ص:۱۴۶

أسماء اللّه الحسنی

هدی من الآیات:

إذا تـدبّرنا فی الآیـات الکونیه التی أشـار إلیها القرآن الحکیم فی الـدروس الماضـیه،نجـد ان الله یعطینا معرفه بـذاته،و یأتی هـذا الـدرس لیـذکرنا ببعض الصـفات الا-لهیه التی یعرفهـا المؤمن بسـبب معرفته بربه،و کلمـا زادت معرفه الإنسـان بالله زادت معرفته بصفاته و أسمائه الحسنی،و من ثم معرفته بسائر المعارف التوحیدیه کالعدل و النبوه و الامامه و المعاد و ما إلیها.

فی البـدایه یـذکرنا القرآن بـان الله هـو الـذی خلـق الجـن،و لکـن السـاذجین مـن البشـر یزعمـون بـأن الجـن شـریک،کمـا انهم قالوا«کذبا»ان لله بنین و بنات،و هذا یدل علی عدم علم بالحقیقه،و لا معرفه باللّه المتعالی عن الصفات السیئه.

هو الذی خلق الأشـیاء من العدم خلقا إبداعیا دون أن تتولد منه الأشیاء،حتی یحتاج الی آخر مکمّل له یتولد منهما معا،کما البشر بحاجه الی صاحبه حتی یتولد منهما الطفل.

ص:۱۴۷

و أخيرا فان الله هو الـذى خلق كل شـىء،و أحاط بكل شـىء علما،و على البشـر ان يخلص عبادته لله،لأنه الرب،و لأنه الوحيـد،و لأنه مهيمن على كل شىء،يدبر أمر الخلق،و يجرى فيه السنن و الانظمه فهو علينا وكيل.

بينات من الآيات:

حين يجهل المخلوق قدر خالقه؟!

[۱۰۰]القوى الغيبيه التى يشـعر البشـر بوجودهـا(بطريقه أو بـأخرى)يجهـل عـاده طبيعتهـا،و يزعم انهـا قوى منفصـله عن قـدره الله المهيمنه على الحياه،أو حتى أنها آلهه و شـريكه للاله العظيم فى العلم و القـدره،و قـد يتطور هـذا الزعم الى خرافه عباده الجن و المرتبطين بالجن،من الناس كالكهنه و سدنه المعابد،الى جانب الايمان بالله و برسالاته.

بينما الحقيقه:ان هـذه القوى الغائبه عن الأنظار،سواء كانت عاقله و مريـده كالجن و الملائكه،أو لا كقوه الكهرباء و الجاذبيه و ما أشبه،انما هى مخلوقات كسائر المخلوقات الماديه،منتهى الأمر ان علمنا بها محدود.

وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُـرَكٰاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُـمْ الله خلـق الجـن،لأنـه هـو الاـخر يتميز بـذات الصـفات الـتى تتمثـل فى سـائر الموجـودات مثل:المحدوديه و الجهل و التعدد و التكاثر،و كلها صفات المخلوق، و المخلوق سواء كان ظاهرا أو غائبا فهو المخلوق.

وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنٰاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ نسبوا الى الله تهمه بعيده جدا عن الحقيقه،بل هى خرق للفطره،و لما هو معلوم

ص:۱۴۸

من سنن الحياه:تلک هی أن بعض هؤلاء الشرکاء قریب الی الله،فزعموا انها أبناء لله أو بنات له-سبحانه-و لیس أصحاب هذه التهمه علی علم بهذه الفکره الخرقاء،و هنا یظهر مدی بطلان کلامهم.إذ کیف یمکن ربط شیئین ببعضهما، و الادعاء بأن هذا قریب من ذلک،من دون ای دلیل أو شاهد،و ربما تشیر الآیه الی أن طاعه أحد باسم طاعه الله انما هی شرک و ضلاله ما دام الله لم ینزل علی ذلک سلطانا و برهانا مبینا.

ثم ان نسبه شیء الی الله سبحانه،باعتباره بنتا أو أبنا له لدلیل علی عدم معرفتهم بالله،إذ ان من یعرف الله یعرف أنه منزّه عن الشریک،و متعال عن صفات الخلق،ان هذه الصفات هی صفات المخلوقین،و لاننا نجد مثل هذه الصفات فی المخلوقات،نعرف ان الخالق منزه عنها،و لو نسبنا الی الله سبحانه مثلها،إذا لاحتاج هو الاخر الی رب أعلی،لأنها تدل علی انه بدوره مخلوق مثل سائر المخلوقات.

سُبْحٰانَهُ وَ تَعٰالیٰ عَمّٰا یَصِفُونَ و ینسبون الی ربهم من صفات المخلوقین.

الخلق و لیست الولاده:

[۱۰۱]یبدو ان الآیه السابقه نفت الفکره القائله بأن هناک فی عالم الالوهیه درجات،کل اله له درجه،بعضها کالأب و بعضها کالابن،بید ان هذه الآیه تنفی وجود التوالد و التناسل،فیذکرنا القرآن هنا:بأن نشوء الخلق لیس کما یزعم المبطلون،من أنه عن طریق التوالد،بل هو عن طریق الخلق المباشر.

بَدِیعُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَنّٰی یَکُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَکُنْ لَهُ صٰاحِبَهٌ

ص:۱۴۹

إذ ما من شـيء يلد الاّ و كان له صاحبه.إذ من دون ذلك من المستحيل الولاده، إذ يسبب في نقصان الشيء الاول و انتهائه،و إذا كـان ربنـا بحـاجه الى جزء مكمـل حتى يخلق الخلائق،فما الفرق بينه و بين أي مخلوق آخر،و لماذا أساسا نعتقـد بوجود اله؟ان المخلوقات تشـهد على عجزها و حاجتها الى الخالق و بحاجتها الى بعضها،و لا بد ان يكون الخالق بريئا من ذلك،و لنفرض مثلا حـاجه شـيء الى شـيء آخر لتتم عمليه خلق شـيء ثالث،أ فلا يحتاجون إذا الى قوانين و انظمه لهـذا التزاوج حتى يتم و كيف و بـأي قـدر و كميـه؟بلى و من يضـع هـذه القـوانين،و من يجريهـا؟أو ليس شـخص ثـالث؟و هـو أعلى منهمـا؟إذا هـو دون هـذين الشخصين.

وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ خلقا مساويا،فنسبه أي شيء اليه هي نسبه سائر الأشياء دون زياده أو نقيصه فهو خالقهم جميعا.

وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [١٠٢]و هذه بالضبط،صفات الخالق من دون المخلوقين،انه بريء عن نسبه البنين و البنات اليه و عن الأولاد و الصاحبه،و عن الضعف و الجهل،فهو الذي تشهد فطرتنا بأنه الخالق الذي نتطلع اليه.

ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ و العباده لا تنبغي الاّ له،لأنه خالق الأشياء،و لأنه الذي بيده أمور الأشياء،فهو الذي يجري عليها الانظمه،و يهيمن على أمورها اليوميه.

القريب البعيد:

[۱۰۳]و صفه حسنی لله،هی صفه القرب المتعالی،فبالرغم من ان الأبصار لا تدرکه لأنه متعال عن الحدود و الابعاد و الاتجاهات و الأبصار،کما العقول لا تدرک شیئا مطلقا لا حدود له و لا أبعاد،بالرغم من ذلک فهو قریب من الأشیاء،فهو یدرک الأبصار،و یحیط علمه بما فی العقول و الأفکار.

لاٰ تُدْرِکُهُ الْأَبْصٰارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصٰارَ و هذه الصفه تدل علی منتهی اللطف،حیث انه یدرک کل شیء لأنه یحیط بکل شیء.

وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ

ص:۱۵۱

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۰۴ الی ۱۰۸]

اشاره

قَدْ جٰاءَکُمْ بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّکُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِیَ فَعَلَیْهٰا وَ مٰا أَنَا عَلَیْکُمْ بِحَفِیظٍ (۱۰۴) وَ کَذٰلِکَ نُصَرِّفُ اَلْآیٰاتِ وَ لِیَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِنُبَیِّنَهُ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (۱۰۵) اِتَّبِعْ مٰا أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ اَلْمُشْرِکِینَ (۱۰۶) وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ مٰا أَشْرَکُوا وَ مٰا جَعَلْنٰاکَ عَلَیْهِمْ حَفِیظاً وَ مٰا أَنْتَ عَلَیْهِمْ بِوَکِیلٍ (۱۰۷) وَ لاٰ تَسُبُّوا اَلَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ فَیَسُبُّوا اَللّٰهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ کَذٰلِکَ زَیَّنّٰا لِکُلِّ أُمَّهٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلیٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَیُنَبِّئُهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۱۰۸)

اللغه

۱۰۵[درست]:الدرس أصله استمرار التلاوه،و درس الأثر دروسا إذا انمحی لاستمرار الزمان به،و درست الریح الأثر دروسا محته باستمرارها علیه.

۱۰۸[عدوا]:اعتداء و ظلما.

ص:۱۵۲

مسئولیه البشر فی الهدایه

هدی من الآیات:

بعد ان ذکّرت آیات الدرس السابق بالله سبحانه،جاءت هذه الآیات لتؤکد المعنی الذی سبق فی الدروس السابقه و هو أن وجود الآیات لا یکفی فی هدایه البشر،بل إذا لم یرد الإنسان لنفسه الاهتداء،فانه لا یهتدی و هو المسؤول عن ذلک.

و تصریف الآیات ای ذکرها بصفه مکرره انما هو بهدف توضیح الحقائق لمن یعلم أنه یجب علیه أن یتبع الحقائق،دون خوف ممن یخالفها کالذین أشرکوا، و المشرکون لا یعجزون الله إذ لو شاء الله ما أشرکوا،فشرکهم انما هو بإذن الله(دون ان یکون برضاه سبحانه)و الرسول لیس مسئولا عن شرکهم،و لا هو وکیلهم،انما علیه ان یبلغهم الرساله،ثم إذا لم یستجیبوا یعرض عنهم الی غیرهم.

ان الشرک مضلل لأهله حتی انهم أصبحوا یقدّسون أصنامهم، و لا یجوز سب هذه الأصنام لأنهم آنئذ سوف یسبون الله ظلما و عدوانا.و ان الله الذی سوف یرجعون الیه سوف یجزیهم بما فعلوا،و کیف أنهم خالفوا الحقائق.

ص:۱۵۳

و یبدو أن معرفه العلاقه المعقوله و المناسبه بین من یؤمن و بین من یشرک.ذا أمر ایجابی فی استیعاب المؤمنین للحقائق.إذ من دونها ینشغل ذهن المؤمنین بمصیر المشرکین.

بینات من الآیات:

بصائر الرساله و مسئولیه الاهتداء:

[۱۰۴]البصیره هی الآله التی تساعد علی التبصر،و القرآن بصائر،لأنه یحتوی علی مناهج للفکر و آیات للحقیقه،و القرآن یزکی النفس،و یرفع عنها حجاب الکبر حتی تری الحقیقه.

قَدْ جٰاءَکُمْ بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّکُمْ و الکلمه المشهوره فی أدبنا الحدیث و التی تستخدم مکان البصیره هی الرؤیه،بید ان البصیره(و جمعها بصائر)أقرب الی المعنی المطلوب ذلک لان الرؤیه تطلق حینا علی الأبصار،وحینا علی اتخاذ رأی،بینما البصیره هی التی تساعد علی عملیه الأبصار، و مشاهده الحقائق عن کثب من دون احتمال للخطأ.

و القرآن لا یحمّلک رأیا،أو یفرض علیک اتجاها فکریا،بل یساعدک علی تلمس الحقیقه مباشره من دون وسائط،بید ان لارادتک دورا فی ذلک،فان شئت استخدمت البصیره،و الا فأنت کمن لا یستخدم عینه فلا یری.

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِیَ فَعَلَیْهٰا و الرسول هو الآخر لا یهدف تحمیل رؤیه علیک لأنه لیس حفیظا علیک.أی إنّ الله لم یکلفه بحفظک و هدایتک،بل أنت المسؤول عن نفسک.

ص:۱۵۴

وَ مٰا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ [۱۰۵]و الآيات هذه بيّنها الله ببيان واضح.

وَ كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيٰاتِ وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قالوا فى معنى الآيه:ان تصريف الآيات،و ذكر بعضها بعد بعض و تنزلها بصوره تدريجيه يعتبر زياده فى شقاء الضالين و زياده بيان للمؤمنين.

ذلك لان الكفار كانوا يتخذون من تنظيم نزول القرآن ذريعه لكفرهم فيقولون:

ان النبى يتعلم من العلماء و يدرس عندهم و يتفكر فى المسائل و يدرسها ثم يحولها الى آيات.و إلاّ فلم لم يأتى بها جمله واحده كما فعل موسى.

[۱۰۶]و على البشر ان يتبع الوحى دون نظر للآخرين الذين لا يؤمنون،لأن أولئك مسئولون عن أنفسهم،و انا بدورى مسئول عن نفسى،فالانشغال بهؤلاء قد يجعلنى انحرف قليلا أو أترك جانبا من الوحى،ان المقياس الاول و الآخر هو الحق، و على البشر أن ينظر اليه فقط فى مسيرته.

اِتَّبِعْ مٰا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ [۱۰۷]و التفكر فى المشركين و فى مصيرهم،و أنه لما ذا يذهبون الى النار بالرغم من أنهم بشر مثلنا؟هذا التفكر يجعلنا نشتبه فى بعض الحقائق،أو لا أقل لا نتبع مسيرتنا الى نهايتها،لذلك يذكرنا القرآن بأن شرك المشركين ليس بمعجز لله،بل هو ضمن اطار اذن الله و هيمنته على الكون،و إذا كان على البشر أمر أكثر من مجرد دعوتهم الى الايمان.لكان الله سبحانه يفعل لهم ذلك.

وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا أَشْرَكُوا وَ مٰا جَعَلْنٰاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَ مٰا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ

ص:۱۵۵

فانتظارهم خطأ لأننا لسنا مكلفين بحفظهم أو وكلاء عنهم.

لا تسبوا المشركين:

[۱۰۸]دع المشركين فی ضلالهم،انهم بعد أن أرادوا الشرك و اختاروه علی الهدی،وکلهم الله الی أنفسهم،و زین لهم الله أعمالهم،لذلک فهم یقدسون منهجهم فی الحیاه،و من الخطأ أن یسب المؤمن مقدسات المشرکین،لأنه سوف یسبب فی رد الفعل من جانبهم،فیسبوا الله ظلما و عدوانا،و لأنه قد زیّن لهم هذه الأعمال،فلما ذا نکلّف أنفسنا،و أننا نعلم ان مصیر هؤلاء الی الله حیث یحاسبهم و یجازیهم؟! وَ لاٰ تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَیَسُبُّوا اللّٰهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ کَذٰلِکَ زَیَّنّٰا لِکُلِّ أُمَّهٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلیٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَیُنَبِّئُهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ إذا:یجب الاعراض عن المشرکین و الاستمرار فی بناء الکیان الاسلامی،بعیدا عنهم لأنه لا أمل فیهم،و حسابهم غدا علی الله.

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۰۹ الی ۱۱۱]

اشاره

وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَیْمٰانِهِمْ لَئِنْ جٰاءَتْهُمْ آیَهٌ لَیُؤْمِنُنَّ بِهٰا قُلْ إِنَّمَا اَلْآیٰاتُ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ مٰا یُشْعِرُکُمْ أَنَّهٰا إِذٰا جٰاءَتْ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۱۰۹) وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصٰارَهُمْ کَمٰا لَمْ یُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ نَذَرُهُمْ فِی طُغْیٰانِهِمْ یَعْمَهُونَ (۱۱۰) وَ لَوْ أَنَّنٰا نَزَّلْنٰا إِلَیْهِمُ اَلْمَلاٰئِکَهَ وَ کَلَّمَهُمُ اَلْمَوْتیٰ وَ حَشَرْنٰا عَلَیْهِمْ کُلَّ شَیْءٍ قُبُلاً مٰا کٰانُوا لِیُؤْمِنُوا إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ یَجْهَلُونَ (۱۱۱)

اللغه

۱۱۱[قبلا]:معاینه.

ص:۱۵۷

لما ذا المطالبه بالآيات الجديده؟

هدى من الآيات:

فی سیاق الحدیث عن ضروره الاعراض عن المشرکین باعتبارهم معاندین،فی هذا الدرس،یتابع القرآن هذا الحدیث ببیان ان المشرکین یحلفون بالله-الایمان المغلظه-انهم سوف یؤمنون بشرط نزول آیه معینه علیهم،أو دلیل قوی،بید أنهم یکذبون،و بالرغم من ان الله قادر علی ان ینزل آیه مما یطالبون بها،و لکن ما الضمان لقبولها ما داموا یرفضون الآیات الواضحه،و تحدثنا الآیه الثانیه،عن أن الکفر بالآیات یسبب فی تبدیل القیم و المقاییس،و عدم قدره الفکر علی التمییز، ذلک لان الکفار طغاه و الطغیان یحجب العقل،و یدع القلب مظلما.

و فی الآیه الاخیره:یذکر القرآن انه حتی لو أنزل الله أکثر الآیات وضوحا،مثل نزول الملائکه،و تکلم الموتی،و حشر کل شیء أمامهم،فإنهم لا یؤمنون لأن الجهل محیط بأکثرهم.

ص:۱۵۸

بينات من الآيات:

الايمان الكاذبه:

[۱۰۹]التعرف على طبيعه المشركين،يساعدنا فى تكوين علاقات سليمه معهم،انهم انما يكفرون استجابه لشهواتهم،أو تسليما لضغوط مجتمعهم،أو خشيه من طاغوت حكومتهم، أو ما أشبه،و لكنهم يبررون كفرهم بأنهم غير مقتنعين بالحق،أو ان الآيات و المعاجز غير كافيه لهم،و لكى يبالغوا فى تغطيه كذبهم و نفاقهم،لا يدعون قسما الا و يحلفون به على صدق نواياهم و هم كاذبون.

وَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمٰانِهِمْ اى بآخر ما يستطيعون عليه من الأيمان.

لَئِنْ جٰاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهٰا أى آيه معينه يذكرونها،أو آيه يصدق عليها كلمه آيه-فى زعمهم-مثل ان تكون آيه كبيره جدا كإحياء الموتى.

قُلْ إِنَّمَا الْآيٰاتُ عِنْدَ اللّٰهِ فالله قادر على أن يأتى بآيه،و لكنه لا يأتى بها الّا حين تقتضى حكمته،و ليس كلما شاءت أهواء الكفار،أو حتى اراده الرسول صلى الله عليه و آله الحريص جدا على هدايه الناس.

وَ مٰا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهٰا إِذٰا جٰاءَتْ لاٰ يُؤْمِنُونَ و أى ضمان نملكه نحن لأيمانهم بعد مجىء مثل تلك الآيه،علما بأن هؤلاء

كفروا سابقا بكل الآيات الواضحه.

محكمه الفطره:

[١١٠]للإنسان فطره أوليه أنعم بها الله عليه،و بهذه الفطره يميز البشر الخير من الشر،و الهدى من الضلاله،و إليها يحتكم أهل الأرض حين يتنازعون،فالفداء و الإحسان و الشجاعه و السخاء و البطوله،صفات جيده،و عكسها رذيله،تجد هذا عند المسلم و الكافر،و الحضرى و البدوى،و حتى الإنسان البدائى شبه الوحشى،انها مقاييس عامه زود الله البشر بها ليتلمس بها طريقه.

و بهذه الفطره الاوليه عرف البشر ربه،و آمن به،و لكنه بعد أن تعرض لضغط الشهوات و الطغاه و الخرافات.استسلم لها و كفر بالله،و حين كفر بربه أرسل الله اليه الرسل،فمنهم من آمن و تحدى الضغوط،و منهم من كفر،و هؤلاء لم يفقدوا نعمه الرساله السماويه فحسب،بل أن الله سبحانه أفقدهم نعمه الفطره الاولى أيضا.

وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ الأفئده هى القلوب التى كانت سابقا محلا للفطره النقيه،و للمقاييس السليمه، اما الأبصار فهى الحواس التى تتبع القلوب،فاذا تحولت و تبدلت معايير البشر،فان حواسه هى الاخرى تتحول دون ان يقدر على الاستفاده السليمه منها،و آنئذ يصبح هؤلاء بسبب فقدان الفطره.

كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّهٍ و السبب ان هؤلاء طغوا،و الطغيان يسبب قلب الافئده،و تبدل المقاييس.

فالبشر الذى يتبع عقله،و يتبع الحق،و الحق هو هدفه،مزود بمقاييس لمعرفه هذا

الحق،و لكنه حين يتبع شهوته،و يتبع ذاته،و الذات الطاغيه كل هدفه،و مقياسه فى الحسن و القبح،و الخير و الشر،و الفضيله و الرذيله،هو الأقرب الى نفع ذاته و تحقيق هدفه اللامقدس من وراء شهواته،و تكون أصول دينه ثلاثه:الطعام و الشراب و الجنس،و أحكام دينه هكذا.الحلال ما حل باليد،و الحرام ما حرم منه الإنسان، ان مصير هذا الإنسان،مصير الدول الطاغوتيه فى العالم التى تصنع لذاتها مقاييس خاصه بها،و قوانين دوليه و محاكم و مجالس أمن..إلخ.كلها بهدف دعم السلطات الطاغوتيه على رقاب الجماهير المحرومه،لذلك يحذر القرآن من مغبه الكفر بالآيات و يقول:

وَ نَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ لا يلتمسون طريقهم لأنهم طغوا،بل ان هؤلاء يفقدون شيئا فشيئا المقاييس لمنفعه ذواتهم،فيخربون بيوتهم بأيديهم و أيدى المؤمنين.

[۱۱۱]و دليل كذبهم و نفاقهم:أنهم لو أنزلت عليهم أكثر الآيات إثاره لم يؤمنوا.

وَ لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى بل أكثر من هذا لو أن الله حشر عليهم الأموات حتى يقابلونهم بالحقيقه الصريحه،كما إذا حشر عليهم الطيور فآمنت بالرساله مع ذلك ما آمنوا.

وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ فيهديهم هدايه مفروضه عليهم.

وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۱۱۲ الى ۱۱۳]

اشاره

وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيٰاطِينَ اَلْإِنْسِ وَ اَلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ اَلْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّكَ مٰا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مٰا يَفْتَرُونَ (۱۱۲) وَ لِتَصْغىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا مٰا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (۱۱۳)

ص:۱۶۲

الإصغاء الی زخرف القول

هدی من الآیات:

الـدنیا دار ابتلاء،و الهـدف ممـا فیها من صـراع،هو فضـح جوهر الأشـخاص حتی یکون الثواب و العقاب وفق العمل لا وفق علم الباری سـبحانه،و لقـد قیّض الله لکل رسول عـدوا.لیکون قـدوه لمن لا یؤمن بالآخره.کما الرسول قدوه و امام للمؤمنین، و أعداء الرسالات یوحی بعضهم الی البعض أقوالا مزخرفه یتبعون بها غرور أنفسهم، و هذا الکلام یشبه الوحی الالهی فی انه مقدس عند من لا یؤمن بالآخره.

و هنـا جعـل القرآن الخـط الفاصـل بین المؤمن و الکافر الایمان بالآخره،و هـذا یعنی ان غیر المؤمنین بالآخره لا یمکنهم الایمان بای شیء آخر من الحقائق.

و یأتی هـذا الـدرس لیبین جانبا من فلسـفه الشـرک عند أولئک الذین یرفضون الایمان بالله و الرساله.حتی و لو جاءتهم کل آیه ممن ذکرهم القرآن الکریم فی الدرس السابق.

ص:۱۶۳

بینات من الآیات:

المعارضه المنظمه:

[۱۱۲]لنعرف ان هناک معاندین لا ینفع معهم الجدل، و أن موقف هؤلاء لا یعتمد علی دلیل مضاد فلا یبعث موقفهم فی أنفسنا الوهن و الشک، فنقول:لعل حدیثهم ینطوی علی جانب من الصحه فنخرج-لا سمح الله-من الایمان،لذلک جاء هذا الدرس و ما مضی لیؤکد علی أن الله سبحانه لیس فقط حرم هؤلاء من نعمه الهدایه،و سلبهم نعمه الفطره النقیه،و انما أیضا نظم هؤلاء فی قیاده مناهضه لامامه الرسول،و جعلهم یقلدون أسالیب الرساله حتی ان بعضهم یوحی الی البعض الاخر.

وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا شَیٰاطِینَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ و السؤال:کیف جعل الله ذلک،هل خلق أعداء لیکونوا مناهضین للرساله؟ ربما الجواب السلیم هو:ان هذه سنه من سنن الله فی الحیاه،یذکرها القرآن هنا لنکون علی بصیره منها لئلا نفاجئ بها،و لان کل السنن فی الکون من صنع الله لذلک یعبر عنها القرآن دائما بمثل هذه التعبیرات.

ان الرساله التی تنتشر دون مقاومه أعداء لا بد ان یتهم أصحابها أنفسهم،لان هذه السنه لم تتحقق فیهم،و ان الرسالیین الذین ینتظرون عملا سهلا و میسورا.

انهم علی خطأ ان شیطان الانس یتمثل فی مجتمع الطاغوت،و شیطان الجن یتمثل فی أهواء الجبت و المنافقین و ما أشبه.

یُوحِی بَعْضُهُمْ إِلیٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً

وحی الرساله یتمثل فی البصائر التی تساعد البشر علی رؤیه حقائق الحیاه،بینما وحی أعداء الرساله و ثقافاتهم الاسطوریه(المقدسه عندهم)یتلخص فی أقوال مزخرفه ذات أدب خاو مشبع بالکلمات المفخمه،غیر ذات المحتوی،اما روح هذه الکلمات فیتمثل فی الغرور،و نفخ الانانیه الباطله،ان هذا مقیاس صادق لتمییز الثقافه الرسالیه عن الجاهلیه.

حیث ان الاولی تدعو الی تقدیس الحق،و التواضع له،و نسیان الذات و الأرض، و الدم و اللغه،و الثروه و ما أشبه من أجل احقاق الحق،بینما الثانیه تقدس کل شیء مادی غیر الصدق و الحق و الخیر و ما أشبه.

وَ لَوْ شٰاءَ رَبُّکَ مٰا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مٰا یَفْتَرُونَ فلا نتصور ان هناک ضروره تدعو الی إسکات هؤلاء،و تصفیتهم أو هدایتهم،إذ لو شاء الله لفعل ذلک،فهو قادر علی ذلک و انما لم یفعل لحکمه بالغه.

الایمان بالآخره و مسئولیه الضلال:

[۱۱۳]و من سنن الله فی الحیاه ان نعیق أئمه الضلال،یستقطب الهمج الغثاء الذین یفقدون الایمان بالآخره،فیکون امتحانا لهم أیضا.

وَ لِتَصْغیٰ إِلَیْهِ أَفْئِدَهُ الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ انما رکزّ القرآن علی الایمان بالآخره،لان السبب فی عدم الایمان بالله و هو مصدر کل معرفه و ایمان لیس عدم وضوح الشواهد،فالله أکبر شهاده من کل شیء،و انما عدم الخوف من العاقبه،و أساسا قصر النظر،و محدودیه الرؤیه بما فی عاجل الدنیا،بل عاجل اللحظه التی یعیشها الشخص من الدنیا.

ص:۱۶۵

وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا مٰا هُمْ مُقْتَرِفُونَ من الجرائم حتى يلاقوا جزاءهم العادل بعد عمل و علم بذلك.

و انما قال ربنا:« وَ لِتَصْغىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ »و لم يقل اسماع لان هذه الأفكار لمزخرفه تتناسب و خوائهم العقائدى فيتقبلونها بأفئدتهم.

ص:۱۶۶

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۱۴ الی ۱۱۷]

اشاره

أَ فَغَیْرَ اَللّٰهِ أَبْتَغِی حَکَماً وَ هُوَ اَلَّذِی أَنْزَلَ إِلَیْکُمُ اَلْکِتٰابَ مُفَصَّلاً وَ اَلَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ اَلْکِتٰابَ یَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ فَلاٰ تَکُونَنَّ مِنَ اَلْمُمْتَرِینَ (۱۱۴) وَ تَمَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لاٰ مُبَدِّلَ لِکَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (۱۱۵) وَ إِنْ تُطِعْ أَکْثَرَ مَنْ فِی اَلْأَرْضِ یُضِلُّوکَ عَنْ سَبِیلِ اَللّٰهِ إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ اَلظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ یَخْرُصُونَ (۱۱۶) إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ یَضِلُّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ (۱۱۷)

اللغه

۱۱۶[یخرصون]:یکذبون.

ص:۱۶۷

اتباع الاكثريه الضاله

هدى من الآيات:

بعد ان ذكر القرآن الحكيم الوحى الشيطانى فى الدرس السابق ذكّرت هذه الآيات بالوحى الالهى الذى لا يجوز اتخاذ غيره لأنه كتاب مفصل فيه تفصيل كل شىء،فلا نحتاج الى غيره و هو لا ريب فيه بالنسبه للمؤمنين.ففيه الثقه كلها،ثم انه يمثل الحق و العداله،بالاضافه الى كل ذلك فهو كتاب دائم،لا يتغيّر وفق تطورات الزمان و المكان،لان الذى وضعه هو الله الذى وضع سنن الحياه،و هو السميع العليم و علمه جديد قديم.

و فى مقابل رساله الله لا نجد سوى تخرصات الناس التى لا نجد فيها الا الظنون و الخيالات الفارغه التى لا يقدرون هم أنفسهم من اليقين بها و الايمان بصحتها.

و الله سبحانه اعلم باتجاهات الناس الضالين منهم و المهتدين لان السبيل هو سبيل الله،و المقياس فى الضلاله أو الهدى هو الله الحق،فهو اعلم بذلك الحق،و أولى بأن نسأله سبحانه فى هدايتنا الى السبيل الأقوم المؤدى اليه سبحانه.

ص:۱۶۸

ان البشـر يبحث عـاده عن الحق و لكنه يضـل عنه،و لاـن النـاس يختلفون فى الحق، و لاـ يمكن ان يجعل كلام بعضـهم مقياسا و ميزانا لمعرفه و تمييز الحق عن الباطل،إذا فلنعد الى الله رب الناس،و من اليه منتهى طريق الحق ليهدينا الى الحق.

بينات من الآيات:

أنزل عليكم الكتاب مفصلا:

[۱۱۴]العالم يموج بالنظريات ذات الاتجاهات المتناقضه،و الحياه تتزاحم فيها السـبل المختلفه،و الإنسان يولـد مره واحده و يختار سبيله،و النظريـات التى يعتقهـا يتحمـل شخصـيا مسـئوليتها،و النـاس لاـ يمكن ان يكونوا حكمـا على بعضـهم لأـنهم يختلفون مع بعضـهم اختلافا واسـعا،انما علينا ان نتوسل الى قوه أعلى هى قوه الله لتكون مصـدر الهامنا بالنظره الصـحيحه،و مصدر هدايتنا الى السبيل الا قوم.

أَ فَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْتَغِی حَکَماً و الله تعالى لم يبخل بالهدايه على عباده،بل لم يكتف بالهدايه المجمله،و انما فصل الهدايه تفصيلا.

وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتٰابَ مُفَصَّلاً فيه علم كل شـىء بحـدوده المتغيره،و حسب مراحله الزمانيه،فالقرآن لا يكتفى ببيان قبح الظلم و انما أيضا يفصل الحديث فى أنواع الظلم و تفاصيل العداله.

و الكتاب هذا لا ريب فيه فبامكان البشر أن يؤمن به ببساطه،و دون تعقيد بشرط ان لا يكون معقدا و معاندا.

وَ الَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ

الذين يجادلون فی الحق بغیر هدف سوی الجدل،لأنه لو لم یکن البشر ممتریا یستهدف المراء و الجدل،فانه سوف لا یشک فی الکتاب.

الصدق و العدل وسیله و هدف الرسالات:

[۱۱۵]تتمیز کلمات الله،و خلاصه وحیه الی البشریه بأنها تامه،و التمام بمعنی وفائها بکل الحاجات البشریه،و أنها صادقه تطابق الحق،و الحق هو ما فی الکون من أنظمه و سنن،و بما ان ربنا هو جاعل هذه الانظمه و مجریها،فانه سبحانه هدی البشر إلیها عبر کلماته بصدق،و أنّ کلمات ربنا سبحانه عداله،حیث انها تعطی لکل فرد حقه،و لکل طائفه و قوم و جیل حقه،ذلک لان الله فوق المیول و الشهوات،و قادر و حکیم و علیم،لذلک لا یوجد لدیه سبحانه ای سبب للظلم،من عجز و ما أشبه.

وَ تَمَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ المحتویه علی رسالاته.

صِدْقاً أی حقا.

وَ عَدْلاً الصدق هو وسیله الرساله و العدل هو هدفها.

لاٰ مُبَدِّلَ لِکَلِمٰاتِهِ وَ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ

فبسمعه یحیط علما بکل صغیره و کبیره من حوادث الحیاه،و بعلمه الواسع یحیط بأصل الحیاه و أولها و آخرها و..و..،فعلمه جدید قدیم.محیط بالجزئیات و الکلیات، فهو إذا تام الکلمات صدقا و عدلا.

عند ما لا تتبع رسالتک!

[۱۱۶]الرساله الالهیه التامه قائمه علی أساس الصدق و العدل،الصدق فی القول و العمل،و العدل کهدف لهذا الصدق،اما الثقافات الجاهلیه،فانها قائمه علی أساس الظن و التخرص،فما هو الظن؟ الظن:هو التصور النابع من الأهواء الذاتیه و الشهوات و الضغوط،أو هو ما تصنعه أنت فی ذهنک.لا لکی تطبقه علی الواقع الخارجی،بل لیکون بدیلا عنه، مثلا:تصورات الشعراء عن الحیاه ظنون.لأنها لا تهدف کشف الحیاه کما هی، بل تهدف تصویرها حسب مذاق الشاعر،و لذلک قیل«الشعر أعذبه أکذبه»کذلک حین تتصور أن نظام الطاغوت یجب ان یبقی لا لشیء الا لأنه یحقق مصالحک الذاتیه،و قد تأتی بأدله متشابهه لإثبات ذلک،و لکنها جمیعا تأتی لإثبات قصور مصدره حب الذات لا کشف الحقیقه.

و الظن یختلف عن العلم فی أنه قائم بذاته،بینما العلم قائم بالحقیقه،مثلا:

علمک ببزوغ القمر قائم علی أساس وجوده،فاذا أفل زال علمک،أما إذا تصورت القمر علی جدار بیتک،فان هذا التصور قائم بذاته،و مثله کلوحه جمیله تصور القمر.

سواء کان هناک قمر أم لا.

و البشر قد یتبع الخرص و الاحتمال،و ذلک حین لا یری ضروره لکشف لحقیقه،فیفترض افتراضات حولها،مثلما کان الناس یقولون عن السماء و النجوم لأشیاء لا برهان لهم بها سوی الاحتمال.

ص:۱۷۱

و أكثر البشـر يتراوحون بين الظن و الخرص،لأنهم لا يملكون الهدى الرسالى، ذلك لان الهدى كمال لا يبلغه الا من جاهد نفسه و زكاها.

وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِی الْأَرْضِ یُضِلُّوکَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ یَخْرُصُونَ [۱۱۷]و إذا کان أکثر البشـر ضلالا،لأنهم یتبعون الظن، فكيف يمكن ان يميز الإنسان طريق الحق عن الضـلال،ان عليه ان يتوسـل بالله لأنه الحق الـذى يميّز الضلال عن الهدى.

إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ یَضِلُّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ و لان منتهى السبيل،هو الوصول الى الله سبحانه،فهو دون غيره يهدى الناس الى السبيل،و يحدد من يضل عنه أو يهتدى اليه.

ص:۱۷۲

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۱۸ الی ۱۲۱]

اشاره

فَکُلُوا مِمّٰا ذُکِرَ اِسْمُ اَللّٰهِ عَلَیْهِ إِنْ کُنْتُمْ بِآیٰاتِهِ مُؤْمِنِینَ (۱۱۸) وَ مٰا لَکُمْ أَلاّٰ تَأْکُلُوا مِمّٰا ذُکِرَ اِسْمُ اَللّٰهِ عَلَیْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ لَکُمْ مٰا حَرَّمَ عَلَیْکُمْ إِلاّٰ مَا اُضْطُرِرْتُمْ إِلَیْهِ وَ إِنَّ کَثِیراً لَیُضِلُّونَ بِأَهْوٰائِهِمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِینَ (۱۱۹) وَ ذَرُوا ظٰاهِرَ اَلْإِثْمِ وَ بٰاطِنَهُ إِنَّ اَلَّذِینَ یَکْسِبُونَ اَلْإِثْمَ سَیُجْزَوْنَ بِمٰا کٰانُوا یَقْتَرِفُونَ (۱۲۰) وَ لاٰ تَأْکُلُوا مِمّٰا لَمْ یُذْکَرِ اِسْمُ اَللّٰهِ عَلَیْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ إِنَّ اَلشَّیٰاطِینَ لَیُوحُونَ إِلیٰ أَوْلِیٰائِهِمْ لِیُجٰادِلُوکُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّکُمْ لَمُشْرِکُونَ (۱۲۱)

ص:۱۷۳

اتباع الهوى و اكتساب المآثم

هدى من الآيات:

يضرب الله مثلا على بصائر الدرس السابق،بان السبيل الى الحق هو السبيل الذى يؤدى الى الله،و الله سبحانه أعلم به،و أن ما سواه ضلاله و ظن و تخرص لـذلك بيّن حكم الطعام الذى هو أبسط الضرورات،و مع ذلك يحرم جماعه أنفسهم منه لبعض الظنون التى لم ينزل الله بها سلطانا،فجاء أمر صريح بأكل ما ذكر اسم الله عليه،ثم تساءل القرآن عن سبب الاحجام عن أكل ذلك بعد أن أعطانا الرب قائمه بالمحرمات التى تصبح هى الاـخرى حلالاـ عند الضروره،و لكن مع ذلك فان البعض يضلون بسبب أهوائهم.

ان المحرّم هو الإثم الـذى فصّله القرآن(ظاهره و باطنه)و كـذلك الشرك بالله، و من مظاهره ان تذبح الذبيحه باسم الأصنام،و أولياء الشياطين يجادلون أهل الحق فى ذلك بوحى من الشياطين،و يشككونهم فى تحريم ما ذبح على النصب،أو الذى لم يذكر اسم الله عليه،و ان طاعه الشياطين فى حكم الشرك بالله العظيم.

بينات من الآيات:

قاعده الاضطرار:

[١١٨]قد تميل النفس البشريه الى الانطلاق(كما فى بدايه انفجار الحضارات)فتحلل كل حرام،و لا تتقيد بقيود الأخلاق و الآداب،و قد تنعكس فتميل نحو الانغلاق فتنكمش(كما فى حالات التخلف)فتحرم كل شيء، و تستقبح حتى الطيبات،اما المؤمنون فإنهم يتبعون الحق فى حالات الانطلاق و الانغلاق معا،دون الاتباع لأهوائهم،و لطبيعه نفسياتهم فى الظروف المختلفه، و الحالات الاجتماعيه المتباينه.

و القرآن يربط بين الايمان بالله،و بين أكل ما ذكر أسم الله عليه، لكى يكون المؤمن ملتزما فى تصرفاته-سلبا و إيجابا-بالمنهج السماوى.

فَكُلُوا مِمّٰا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيٰاتِهِ مُؤْمِنِينَ اى تلك الآيات التى أشار إليها القرآن فى الدرس السابق،و إذا كنتم مؤمنين بان الله أعلم بسبيل الهدى عن الضلاله،فاتبعوه فيما يأمركم به.

[١١٩]يتساءل القرآن عما يدعو البشر الى الامتناع عن أكل غير المحرمات.

وَ مٰا لَكُمْ أَلاّٰ تَأْكُلُوا مِمّٰا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مٰا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاّٰ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ اى انه بالرغم من حرمه بعض الطعام الا أنه حلال لمن يسبب تركه له ضررا كبيرا عليه فهو مضطر اليه،فكيف بالطعام الحلال الذى لا يجوز تركه لمجرد أهواء و نفسيات ضيقه

و من الناس من يتبع أهواءه دون هدى الله،و دون علمه،فيحرم على نفسه الطيبات،لا لأن الله حرمها،و لا لأنه يعلم بضررها.

وَ إِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ الـذين يتجاوزون حـدود أحكام الله-زياده أو نقصانا-فهم لا يتبعون منهج الله،بينما المنهج القويم السالك بالبشـريه الى الله،هو منهج الله سبحانه لأنه خالق البشريه،فالمعيار هو ما عند الله،لا ما عند البشريه من أهواء.

الإثم بين الظاهر و الباطن:

[۱۲۰]و كمـا لاـ يجوز التوقع و ترك الطيبـات احتياطـا و حذرا.كـذلك لاـ يجوز الاسترسـال و تنـاول الرطب و اليـابس معا دون فرق،كمـا تفعلـه الجماعـات البشـريه فى ظروف قـوتهم و بطشـهم(و حضـارتهم)كلا..هنـاك حـدود يجـب على البشـر أن يقف عندها،هى حدود الإثم الذى فصله الله سبحانه.

وَ ذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْمِ وَ باطِنَهُ و الإثم حرام لا لأنه يتشـكل بهذه الصوره أو بتلك أو لان اسمه(إثم)أو لأن الناس يتبرءون منه،بل لأنه خبيث و اثم فى جوهره،و لـذلك لاـ فرق بين ظاهره و باطنه،علنه و سـره،سواء كان باسم الإثم،أو وضع له اسم أخر مثل الأسـماء القانونيه التى توضع اليوم للاحتكار أو الربا أو الغش،أو مثل الشـرائع الدوليه التى تسـمح للدول الكبرى اسـتغلال ثروات الشعوب تحت أسماء مشروعه،مثل الانتداب،و تدوير الثروات النفطيه،و الأمن الصناعى و ما أشبه...ان الإثم إثم مهما غيّرنا اسمه أو وضعنا له شريعه أو قانونا.

و الإثم يولّد الدمار،سواء سميناه كذلك أم لا.

ص:۱۷۶

إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمٰا كٰانُوا يَقْتَرِفُونَ من الإثم فى عاجل الدنيا و أجل الآخره.

[۱۲۱]و الإـثم هو مـا يشرعه الله لاـ مـا يوحيه الشـيطان.مثلا:لاـ يجوز أكل الـذبيحه التى لم يـذكر اسم الله عليها حين تذبـح لأنها فسق،يدل على حاله الانفصال بين الإنسان و مبادئه،أو الزعم بأن الدين محصور فى المسجد.أما الحياه سواء منها ما يرتبط بالأكل و الشـرب،أو الزواج و الطلاق،أو السـياسه و الاقتصاد، فانها منفصـله عن الدين.ان كل ذلك فسق و شـرك بالله،و ذلك يعنى أن هناك إلهان و وليان و قائدان للبشر،أحدهما للمسجد و الثانى للسوق.

وَ لاٰ تَأْكُلُوا مِمّٰا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ و الشـياطين يجادلون فى الحق،و يحاولون تمييع الواجبات و أن يقولوا:ما هو الفرق بين الذبيحه التى لم يذكر اسم الله عليها و بين الاخرى؟دون ان يضعوا القضيه فى اطارها العام،ليعرفوا:ان ذلك مرتبط بكل سلوك البشر.ان يكون سلوكا توحيديا فيقول:

قُلْ إِنَّ صَلاٰتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيٰايَ وَ مَمٰاتِي لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ (۱)أو سلوكا شركيا فيقول:ان صلاتى و نسكى للّه و محياى و مماتى لنفسى.

وَ إِنَّ الشَّيٰاطِينَ لَيُوحُونَ إِلىٰ أَوْلِيٰائِهِمْ لِيُجٰادِلُوكُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أولا:لان طاعه غير الله فى حكم الشرك بالله.

ص:۱۷۷

۱- ۱) .۱۶۲/الانعام.

ثانیا:لان منهج الشیاطین هو منهج الشرک،و الفصل بین الدین و الدنیا،بین الدین و السیاسه،بین الجامع و الجامعه،بین المسجد و السوق و هکذا.

ص:۱۷۸

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۲۲ الی ۱۲۷]

اشاره

أَ وَ مَنْ کٰانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی اَلنّٰاسِ کَمَنْ مَثَلُهُ فِی اَلظُّلُمٰاتِ لَیْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا کَذٰلِکَ زُیِّنَ لِلْکٰافِرِینَ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۱۲۲) وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰا فِی کُلِّ قَرْیَهٍ أَکٰابِرَ مُجْرِمِیهٰا لِیَمْکُرُوا فِیهٰا وَ مٰا یَمْکُرُونَ إِلاّٰ بِأَنْفُسِهِمْ وَ مٰا یَشْعُرُونَ (۱۲۳) وَ إِذٰا جٰاءَتْهُمْ آیَهٌ قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰی نُؤْتیٰ مِثْلَ مٰا أُوتِیَ رُسُلُ اَللّٰهِ اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَیْثُ یَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ سَیُصِیبُ اَلَّذِینَ أَجْرَمُوا صَغٰارٌ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ عَذٰابٌ شَدِیدٌ بِمٰا کٰانُوا یَمْکُرُونَ (۱۲۴) فَمَنْ یُرِدِ اَللّٰهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّمٰا یَصَّعَّدُ فِی اَلسَّمٰاءِ کَذٰلِکَ یَجْعَلُ اَللّٰهُ اَلرِّجْسَ عَلَی اَلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۱۲۵) وَ هٰذٰا صِرٰاطُ رَبِّکَ مُسْتَقِیماً قَدْ فَصَّلْنَا اَلْآیٰاتِ لِقَوْمٍ یَذَّکَّرُونَ (۱۲۶) لَهُمْ دٰارُ اَلسَّلاٰمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِیُّهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۱۲۷)

اللغه

۱۲۴[صغار]:الصغار الذی ینبه المرء الی نفسه.

ص:۱۷۹

۱۲۵[حرجا]:الحرج أضيق الضيق،و حرج فلان إذا هاب ان يتقدم على الأمر.

ص:۱۸۰

دور أكابر المجرمين

اشاره

فی تضلیل الناس

هدی من الآیات:

البشر میت،و رساله الله روح تبعث فیه الحیاه،و تعطیه نورا یتحرک به فی الحیاه الاجتماعیه،و لکن فریقا من أبناء البشر یرفضون هذه الحیاه،و یفضلون البقاء فی الظلمات،و ذلک بسبب أنهم تعودّوا علی سلوک معین،و أنهم یستأنسون بذلک السلوک و یحبونه.

و مخالفه الرساله قد تکون له عوامل فردیه،مثل عامل العاده،و قد تکون له عوامل اجتماعیه و منظمه مثل:خطط السلطه الطاغوتیه التی هی فی واقعها تجمع یضم مجموعه من المجرمین،ذات قیاده ماکره و مخططه،بید أن خطط هذه القیاده تنعکس علیها،و من خططها تکبرها علی الرساله بسبب ادعائها أنها دون الرسول أولی بها، و ما دامت الرساله لم تهبط علیها فانها سوف تکفر بها،و الله یقول:« اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَیْثُ یَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ» .

أما جزاء هؤلاء فهو الذّل و الصغار و العذاب الشدید بسبب خططهم المضاده

ص:۱۸۱

للرساله.

و من عوامل الكفر بالرساله ضيق الصدر،و قله الاستيعاب،و ضعف الاراده، و بالتالى الضيق و الحرج.

و الواقع ان ذلك يصيب قلب الفرد بسبب عدم الايمان،و من عوامل الايمان التذكر و استعاده الحقائق،حيث يهتدى الإنسان بهما الى صراط الله الذى يوفر للبشر الاستقامه و السلامه،و الولايه الالهيه(الدعم الالهى).

و انما يبلغ المؤمن هذه الاهداف بأعماله،و ليس بمجرد التذكر أو العلم و المعرفه.

بينات من الآيات:

أو من كان ميتا فأحييناه؟!

[۱۲۲]كما ان البشر كان فاقدا للحركه و النمو،و بالتالى الحياه،حتى نفخ الله فيه روحا،فأصبح بشرا سويا،كذلك فهو فاقد للعلم و الهدى حتى يحييه الله، و يعطيه القدره.

أَ وَ مَنْ كٰانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي اَلنّٰاسِ ان الله يحيى قلب البشر بالعقل و الوحى،و ذلك لعله يستطيع أن يعرف ضره من نفعه،و يعرف من يضره و من ينفعه،و كيف يتصرف مع الناس،و ينظم علاقته معهم.

بيد ان هناك من لا ينتفع بالحياه هذه،فيبقى فى ظلمات دون ان يخرج منها.

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي اَلظُّلُمٰاتِ لَيْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا

اما السبب الذى يجعل الفرد يفضل الظلمات على النور فقد يكون العاده حيث يحب الفرد السلوك الذى كان ينتهجه حتى و لو كان شائنا.

كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ

التنظيم الهرمى فى جهاز الطغاه:

[۱۲۳]العامل الثانى للكفر هو وجود ماكرين فى المجتمع و المكر هو:التخطيط من أجل تضليل الناس بهدف وصول جماعه أو فرد لمصالحهم الشخصيه،و فى المجتمعات توجد دائما شبكه من المجرمين تجمعهم قياده واحده تعمل ضد مصلحه الامه.هذه الشبكه هى التى تشكل واقع السلطه الطاغوتيه،و هى تنشأ،من فرد أو عده أفراد زيّن الشيطان لهم ما كانوا يعملون من سيئات،ثم نظمّوا أنفسهم فى سلسله هرميه على رأسها أكبر المجرمين.

وَ كَذٰلِكَ ربما الاشاره توحى بآخر الآيه السابقه،أو بها جميعا،اى لان هنا جماعه تستحب العمى على الهدى،فقد تشكلت منظمه فى كل قريه للمجرمين.

جَعَلْنا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها و قياده هذه المنظمه الماكره انما هى لأكبرهم اجراما،فالقيمه بينهم هى قيمه الاجرام،و الهدف لها هو المكر و التخطيط ضد الجماهير.

وَ ما يَمْكُرُونَ إِلاّ بِأَنْفُسِهِمْ وَ ما يَشْعُرُونَ ان السلطه الطاغوتيه حين تخطط ضد الجماهير،فأمّا تثور ضدها الجماهير، و تقضى عليها،فيكون جزاؤها خزيا،و عذابا أليما،و إمّا تسترخى الجماهير،فينزل

ص:۱۸۳

عليها و على السلطه عذاب الله فيدمرهم جميعا،إذا فعاقبه المكر تعود على صاحبه إمّا وحده أو مع الآخرين.

و الآيه هـذه تفضـح طبيعه السـلطه الطاغوتيه،و تبين أنها ليست سوى تجمع للمجرمين،و أن قوتها تكمن فى خططها الماكره،و أن قيادتهـا متمثله فى المجرم الأـكبر،و أن الأـمه لو عرفت هـذه الطبيعه للسـلطه الطاغوتيه،إذا لتخلصت منها،إذ ان المجرم لو كشـف مكره جرد منه سلاحه و سهل القضاء عليه.

[۱۲۴]من مكر هذه الفئه السالفه الذكر أنها تتعالى عن الحق،بعد أن تضع على نفسـها هاله من القداسه الباطله،و تنشر بين البسطاء هـذه الفكره الرعناء:لو كانت الرساله صـحيحه،إذا لم يكن ربنا يختار لها الا واحـدا منا نحن الكبار،و لم يكن يفضل علينا واحـدا من عامه الناس.

وَ إِذٰا جٰاءَتْهُمْ آيَهٌ قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتىٰ مِثْلَ مٰا أُوتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ و لكن الله يدحض حجتهم بقوله:

« اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ» يجعلها فى أيد نظيفه،و جيوب طاهره نقيه،و قلوب زكيه،و رجال مخلصين، و ليس فى أيدى هذه الفئه التى سرقت أموال الناس،و صنعت مجدها على أجسادهم، ثم يهددهم الله بالقول.

سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغٰارٌ عِنْدَ اللّٰهِ بسبب تكبرهم.

وَ عَذٰابٌ شَدِيدٌ بِمٰا كٰانُوا يَمْكُرُونَ

ص:۱۸۴

الشروط المساعده للايمان:

[۱۲۵]بعد ان بینت الآیات عوامل الکفر الفردیه و الجماعیه،جاءت هذه الآیه لتبین الشروط المساعده للایمان،و فوائده و أبرزها:شرح الصدر حیث ان الایمان بالله یعنی تفضیل المستقبل علی الحاضر،و تفضیل الجماعه علی الفرد،و تفضیل الحق علی الشهوه لان الحق خیر عاقبه، و أفضل أملا.

و هذه الصفات لا تعطی الاّ لمن یتمتع ببعد الرؤیه،و رصانه الفکر،و بالتالی سعه الصدر.بینما الکفر بعکس الأیمان تماما،أن هو إلاّ نتیجه ضیق الصدر، و سبب له أیضا.

فَمَنْ یُرِدِ اللّٰهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّمٰا یَصَّعَّدُ فِی السَّمٰاءِ یبدو أن الضیق هو الجزع،و محدودیه الرؤیه،و عدم استیعاب الاحداث،بینما الحرج هو التردد و عدم القدره علی اتخاذ رأی ما،و بالتالی أن یری الشخص نفسه عاجزه عن ای شیء،و الذی یصّعد فی السماء یشعر بالضیق لأنه یجد نفسه مقطوعا عن أطرافه،و یشعر بالحرج لأنه یخشی الوقوع.

و من المعروف ان الصعود فی السماء یسبب قله الا و کسجین،و بالتالی ضیق النفس،و سوء الخلق و قد یکون التشبیه من هذا الباب.

کَذٰلِکَ یَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ انهم یعیشون فی حدود ساعتهم و موقعهم،فلا یرون الاحداث القادمه،أو الظواهر المتفاعله فیما وراء موقعهم المحدود فتأتیهم المشاکل و الصعوبات من حیث

لم يحتسبوا،و لأنهم كانوا يكفرون بالحقائق الغيبيه و التى هى وراء زمانهم و مكانهم،فاذا بهم يواجهون بها دون ان يستعدوا لها.

منافع الايمان:

[۱۲۶]كما سبق ان قلنا ان:العامل المساعد للايمان هو شرح الصدر،أما منافع الايمان فهى اربعه أبرزها:

أ/الاهتداء الى الصراط المستقيم الذى يؤدى بصاحبه الى الله سبحانه،بما له من أسماء حسنى و أمثال عليا،أى الى التحرر الكامل،و العداله الشامله و الفلاح.

وَ هٰذٰا صِرٰاطُ رَبِّکَ مُسْتَقِیماً ب/لا تنحرف به الأهواء العاجله،و الشهوات المؤقته،ذات اليمين و ذات الشمال،لان المؤمن شرح الصدر،لا تغرّه الظواهر الآنيه و الاحداث الزائله،فيبقى على خطه و خطته البعيده المدى.

قَدْ فَصَّلْنَا الْآیٰاتِ لِقَوْمٍ یَذَّکَّرُونَ فيعرفون الحقائق و لا ينسونها،اما الذين لا يذّكرون،فإنهم لا ينتفعون بالآيات لأنهم لا يربطون بين الآيات و بين الحقائق التى تدل عليها.

دار السلام:

[۱۲۷]ج/و بعد الاستقامه،و أيضا بسببها،يستفيد المؤمنون السلامه و الأمن فى الدّنيا و الآخره.

لَهُمْ دٰارُ السَّلاٰمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ

ص:۱۸۶

لأن ما يهدد سلامه البشر،هو التطرف فى الشهوات.اما الاعتدال فانه طريق الأمن لان العداله فى المجتمع أفضل وسيله للامن،و الاعتدال فى الطعام و الشراب هو الآخر طريق السلامه الصحيه،و هكذا..

د/اما أهم فائده للايمان،فهى الانضواء تحت رايه التوحيد و التنعم بعباده الله و ولايته.

وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ و ولايه الله هى التى توفر للبشر الاطمئنان الداخلى،و مضاء العزيمه،و سلامه النيه،و بالتالى الانتصار فى الدنيا و الفلاح فى الآخره.

ص:۱۸۷

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۲۸ الی ۱۳۲]

اشاره

وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً یا مَعْشَرَ اَلْجِنِّ قَدِ اِسْتَکْثَرْتُمْ مِنَ اَلْإِنْسِ وَ قالَ أَوْلِیاؤُهُمْ مِنَ اَلْإِنْسِ رَبَّنَا اِسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَ بَلَغْنا أَجَلَنَا اَلَّذِی أَجَّلْتَ لَنا قالَ اَلنّارُ مَثْواکُمْ خالِدِینَ فِیها إِلاّ ما شاءَ اَللّهُ إِنَّ رَبَّکَ حَکِیمٌ عَلِیمٌ (۱۲۸) وَ کَذلِکَ نُوَلِّی بَعْضَ اَلظّالِمِینَ بَعْضاً بِما کانُوا یَکْسِبُونَ (۱۲۹) یا مَعْشَرَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ أَ لَمْ یَأْتِکُمْ رُسُلٌ مِنْکُمْ یَقُصُّونَ عَلَیْکُمْ آیاتِی وَ یُنْذِرُونَکُمْ لِقاءَ یَوْمِکُمْ هذا قالُوا شَهِدْنا عَلی أَنْفُسِنا وَ غَرَّتْهُمُ اَلْحَیاةُ اَلدُّنْیا وَ شَهِدُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ کانُوا کافِرِینَ (۱۳۰) ذلِکَ أَنْ لَمْ یَکُنْ رَبُّکَ مُهْلِکَ اَلْقُری بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها غافِلُونَ (۱۳۱) وَ لِکُلٍّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا وَ ما رَبُّکَ بِغافِلٍ عَمّا یَعْمَلُونَ (۱۳۲)

ص:۱۸۸

عاقبه تولّی الظالمین

هدی من الآیات:

تلک کانت فوائد الایمان کما ذکرت فی الدرس السابق،أما أضرار الکفر فأهمها هی:الولایه الباطله فاذا کانت للمؤمنین ولایه الله فان الکفار أولیاؤهم الجن حیث یحشرهم الله و إیاهم،و یحاسبهم و یجیبون انهم انما تولوا الجن طلبا للمتعه،باعتبار المتعه،هی الهدف العام للمشرکین.

و لکن المتعه لا تبقی الاّ لفتره محدوده تنتهی فی الأجل المحتوم،ثم یکون مصیره النار.

و لان الظالمین یعملون السیئات،فإنّ الله یجعل بعضهم أولیاء بعض،و یسلط بعضهم علی بعض لان هذه نتیجه أعمالهم فی هذه الدنیا،أما فی الآخره فبعد أن یسألهم ربهم عن سبب کفرهم،و أنه هل کان هناک نقص فی أسباب الهدایه؟ فیجیبون:کلا..بل جاءت رسل الله و معهم الآیات الواضحه و بالتالی بعد أن یشهدهم علی أنفسهم یأخذهم بأعمالهم،و یبین القرآن السبب الحقیقی للکفر و هو:

ص:۱۸۹

غرور الحياه الدنيا.

من هنـا يبعث الله فی كـل قريه من ينـذرها،حـتی ينـذرها،حتی يهلـك من يهلـك عن بينه و حجه واضـحه،و انمـا ينقسم النـاس درجات سواء فی حقل الصلاح،أو الفساد بأعمالهم و ليس عبثا.

بينات من الآيات:

لماذا عبدوا الجنّ؟

[۱۲۸]بعض الناس يعبدون الجن و يتخذونهم أولياء من دون الله.لماذا؟و ما هی حجتهم؟ أولا:حجه هؤلاء ان الجن يمتّون الی الله سبحـانه بصـله قربی،أو أنهـم أقويـاء،بيـد ان الجـن خلـق مـن خلـق الله،و سيحشـرون يـوم القيـامه،و سيحاسـبون كمـا الانـس لا فرق،فعبادتهم و اتخاذهم أولياء لا معنی له.

ثانيا:السبب فی عباده الجن أو فی اتخاذ بعض الانس أولياء من قبل الآخرين هو فقدان الرؤيه السـليمه للحياه،حيث يحسب البشر أنّ الهـدف الأسـاس من الحيـاه هی المتعه،و لكی يحقق رغبـاته فی المزيـد من التمتع يرتبـط بالجن أو ببعض الانس، و انما يتبع هواه و شهواته باسم اتباع الجن و الانس،اننا حين نتبع الحق لا نعبد الجن أو الانس،انما نعبد الله،و السبب:إننا آنئذ نقيد شهواتنا،و ننظمها وفق البرامج الالهيه،التی تهدينا إليها عقولنا،و لأننا لا نهدف آنئذ التمتع كهدف أعلی لحياتنا، بل نهدف تحقيق مسـئوليتنا فی الحياه و هی هدفنا.

من هنا نعرف:أن عباده الجن ناتج من عدم الاستعداد لتحمل المسؤوليه فی الحياه.

ص:۱۹۰

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ يبدو ان معناه أنكم.اى الجن قد جذبتم كثيرا من أبناء الانس لعبادتكم، فالتفوا حولكم،ما السبب؟ و يجيب على هذا السؤال الانس الذين التفوا حول الجن.لأنهم هم المسؤولون عن عباده الجن،و ليس الجن المعبودون:

وَ قالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ أى إنما اتخذناهم أولياء لتحقيق رغباتنا باسم الجن،و الاّ فان المعبود الحقيقى هو الهوى و ليس الجن المساكين؟ وَ بَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا فانتهت المتعه و المهله التى أمهلتنا إياها.

قالَ النّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلاّ ما شاءَ اللّهُ حيث انه قد يرحم بعض العباد،و ينهى فتره عذابهم فى جهنم حسب حكمته البالغه.

إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

كيف يهدم الظلم بناء المجتمع؟

[١٢٩]و نستخلص من ذلك:أن أحد الأسباب التى تجعل الكفار بعضهم أولياء بعض هو ابتغاء المتعه،و السبب الآخر هو الظلم،حيث ان الظالم سيف الله ينتقم به و ينتقم منه،فاذا شاع الظلم فى المجتمع و زالت قيم العداله و الحق،

و استطاع القوى ظلم الضعيف،يصبح المجتمع خليطا من الظالم و المظلوم،كل يظلم من تحته،و يظلم من فوقه،و هناك يقفز الى السلطه أكثر الناس ظلما، و السبب هو الوضع الذى صنعه الناس بأعمالهم.

وَ كَذٰلِكَ نُوَلِّی بَعْضَ الظّٰالِمِینَ بَعْضاً بِمٰا كٰانُوا یَكْسِبُونَ أى بأعمالهم التى یكسبونها،و لقد تكرر التعبیر بالكسب للدلاله على العمل فى القرآن،ربما لان كل عمل یقوم به البشر یخلف أثرا ظاهرا أو خفیا عنده،فكأنه یضیف ذلك الأثر الى سائر أجزاء ذاته.

حب الدنیا رأس كل خطیئه:

[١٣٠]تلك كانت عاقبه الظلم فى الدنیا.ان بعض الظالمین یولّی بعضا.أما عاقبه الظلم فى الآخره فانه الهلاك بعد الادانه و التوبیخ.

یٰا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ یَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ یَقُصُّونَ عَلَیْكُمْ آیٰاتِی وَ یُنْذِرُونَكُمْ لِقٰاءَ یَوْمِكُمْ هٰذٰا ربما قصّ الآیات بمعنى بیانها واحده بعد اخرى،بطریقه تدخل القلب،و أهم بند فى الدعوه هو الإنذار بالعاقبه.

قٰالُوا شَهِدْنٰا عَلىٰ أَنْفُسِنٰا و لكن السؤال:لما ذا إذا لم یقبلوا بالآیات،و لم یؤمنوا بربهم؟! السبب هو تعلقهم الشدید بالدنیا.لان حب الدنیا رأس كل خطیئه.

وَ غَرَّتْهُمُ الْحَیٰاهُ الدُّنْیٰا وَ شَهِدُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كٰانُوا كٰافِرِینَ

ص:١٩٢

فلم يكن كفرهم من دون وعى منهم،بل بسبب اعتقاد راسخ بالفكره المعاكسه لها.

ان تصور لقاء أى إنسان ربه،و موقفه الضعيف امام هيبته البالغه،يكفيه عقلا و رصانه و ايمانا، إذ أنّه يكبح شهوات الفرد موقتا،و يثير فيه حبه لذاته،و سعيه وراء تحقيق مستقبله.

لا نهلک القری بظلم:

[۱۳۱]و دليل وعى الكفار للحقيقه،و جحودهم بعد اليقين،ان حكمه الله البالغه و رحمته الواسعه الدائمه تأبيان الظلم للعباد،و أخذهم بجريمه ارتكبوها من دون وعى منهم،بل بغفله و عدم انتباه،أو بسبب يقين مضاد.

ذٰلِکَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّکَ مُهْلِکَ الْقُرىٰ بِظُلْمٍ وَ أَهْلُهٰا غٰافِلُونَ الله قوى مقتدر،و لا يملك العباد دونه ملجأ،فان كان يستخدم قوته و قدرته فى إهلاك عباده دون ان يبلغ الدعوه الحقّه الى أعمق أعماقهم.أ فلا يكون ظلما؟! و لماذا يظلم ربنا عباده و هو الذى خلقهم،و أسبغ عليهم نعمه ظاهره و باطنه؟إذا حين يهلكهم فهم يستحقون،و استحقاقهم دليل واضح على علمهم بالحقيقه، و كفرهم بها،و شهادتهم على ذلك يوم القيامه،دليل آخر على ذلك.

[۱۳۲]و عداله الله فى الحياه ظاهره المعالم،و لكن من أبرز أدله هذه العداله هى:أن الله يعطى كل واحد من الناس قدرا من العلم و المال و الجاه يتناسب مع مقدار عمله،و من هنا فانه سوف يثيب أو يعذّب عباده يوم القيامه بأعمالهم،و بقدر تلك الأعمال أيضا.

وَ لِكُلٍّ دَرَجٰاتٌ مِمّٰا عَمِلُوا وَ مٰا رَبُّکَ بِغٰافِلٍ عَمّٰا يَعْمَلُونَ

ص:۱۹۳

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۳۳ الی ۱۳۵]

اشاره

وَ رَبُّکَ اَلْغَنِیُّ ذُو اَلرَّحْمَهِ إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِکُمْ مٰا یَشٰاءُ کَمٰا أَنْشَأَکُمْ مِنْ ذُرِّیَّهِ قَوْمٍ آخَرِینَ (۱۳۳) إِنَّ مٰا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ (۱۳۴) قُلْ یٰا قَوْمِ اِعْمَلُوا عَلیٰ مَکٰانَتِکُمْ إِنِّی عٰامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَکُونُ لَهُ عٰاقِبَهُ اَلدّٰارِ إِنَّهُ لاٰ یُفْلِحُ اَلظّٰالِمُونَ (۱۳۵)

لمن عاقبه الدار؟

هدى من الآيات:

لله الأسماء الحسنى،فهو الغنى ذو الرحمه،و لأنّه غنى فهو قادر على ان يفنى الخلق جميعا،ثم يخلق مكانه ما يشاء.

و آيه اخرى على غناه سبحانه:أنه جاء بهذا الخلق فى مكان خلق آخر كان قبله.

و لكن برحمته التامه لا يفعل ذلك فهو ذو رحمه،بيد أنه إذا لم يفعل ذلك الآن فليس ذلك دليلا على انه لن يفعل ذلك أبدا،إذ سيأتى يوم ينتهى أجل البشر فتأتيه عاقبته دون أن يستطيع مقاومتها.

و البشر تؤمّن له الحريه لفتره معينه و ذلك دليل رحمه الله به،و لكنه سوف يسلب منه هذه الحريه بعد انقضاء اجله،و ذلك بسبب غنى ربه عنه،و لا يسلب الله رحمته الا بسبب ظلمه لذاته.

ص:۱۹۵

بينات من الآيات:

الغنى ذو الرحمه:

[۱۳۳]لربنا سبحانه أحسن الأسماء،و أعلى المثل،و أسماء الله منتشره في الكون في آياته التي لا تحصى،و معرفه أسماء الله و مظاهرها و تجلياتها في الحياه تعطينا بصيره و رؤيه واضحه،و تهدينا الى السبيل الأقوم.

و القرآن الحكيم يذكر هذه الأسماء،بعد أو قبل أن يذكر الآيات التي تدل عليها،و البصائر المستلهمه منها،و السلوك المعين التي تستوجبها.

و الواقع ان هذا المنهج القرآني يعطي البصائر و الرؤى الحياتيه ركيزه عقليه،كما يعطي الأفكار أبعادا واقعيه،و نتائج سلوكيه،و بالتالي يجمع هذا المنهج بين العقل و الواقع و السلوك مما تتكامل به الشخصيه البشريه.

و هنا يذكرنا القرآن باسمي(الغني و الرحمه).

وَ رَبُّکَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَهِ و عند البشر لا يجتمع الغنى و الرحمه عاده لأن الغنى عند الإنسان مصدره الغير، فيخشى البشر من فقدانه فيبخل به،بينما غنى الله مصدره القدره المطلقه على الخلق، كما أن رحمته محدوده بحكمته لا تدعها تنفلت عن اطار العداله.

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مٰا يَشٰاءُ و هذا دليل على غناه و رحمته معا،فلو لا قدرته،و بالتالي غناه عنكم لما كان قادرا على تعويضكم و تبديلكم،و لولا رحمته لفعل ذلك أول ما ظلمتم أنفسكم،و هذا دليل قدرته،و أيضا ان رحمه ربنا محدوده باطار حكمته،انه فعل ذلك حين كان من قبلكم

ص:۱۹۶

آخرون فذهب بهم و أتی بکم.

کَمٰا أَنْشَأَکُمْ مِنْ ذُرِّیَّهِ قَوْمٍ آخَرِینَ و عند ما یتذکر البشر بهذه الحقیقه یرزق الرصانه فی التفکیر،و الواقعیه فی الرؤیه، و الاستقامه فی السلوک،أما رصانه الفکر فلأنه یعلم ان القدره المهیمنه علی هذا الکون الرحیب غنیه عنه لکنها رحیمه به،فعلیه الا تستبد به الخفه و التکبر و الغرور،و اما واقعیه الرؤیه فعلیه الا ینظر الی حقائق الحیاه علی انها ثابته أبدا،اما استقامه السلوک فلأنه یتمتع بالخوف و الأمل،الخوف من استبدال الله له بالآخرین، و الأمل فی رحمته،و بین الخوف و الأمل یستقیم سلوک البشر.

التسلیم أو العاقبه:

[۱۳۴]و ما دام البشر عاجزا عن توقیف مسیره الزمن،أو منع العاقبه السوءی التی ینذر بها،و ما دام عاجزا عن سلب قدره الطرف الثانی و اعجازه،فعلیه ان یسلم للحقیقه و لا یتکبر عنها.

إِنَّ مٰا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ [۱۳۵]و ینذر الله الظالمین حین یقول:ان للحریه الممنوحه لکم و للقدرات المخوله لکم حدودا تقف عندها.

قُلْ یٰا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلیٰ مَکٰانَتِکُمْ ای بقدر قوتکم و مکنتکم.

إِنِّی عٰامِلٌ فهناک خطان من العمل ینتهیان عند العاقبه.

ص:۱۹۷

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عٰاقِبَةُ الدّٰارِ ای من سیسکن بالتالی فی دار السعاده.

و لکن مجرد التفکر فی العاقبه یهدی البشر الی الحقیقه.إذ معلوم لمن تکون العاقبه.

إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ

ص:۱۹۸

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۱۳۶ الى ۱۴۰]

اشاره

وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ مِمّٰا ذَرَأَ مِنَ اَلْحَرْثِ وَ اَلْأَنْعٰامِ نَصِيباً فَقٰالُوا هٰذٰا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هٰذٰا لِشُرَكٰائِنٰا فَمٰا كٰانَ لِشُرَكٰائِهِمْ فَلاٰ يَصِلُ إِلَى اَللّٰهِ وَ مٰا كٰانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلىٰ شُرَكٰائِهِمْ سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ (۱۳۶) وَ كَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاٰدِهِمْ شُرَكٰاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ مٰا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مٰا يَفْتَرُونَ (۱۳۷) وَ قٰالُوا هٰذِهِ أَنْعٰامٌ وَ حَرْثٌ حِجْرٌ لاٰ يَطْعَمُهٰا إِلاّٰ مَنْ نَشٰاءُ بِزَعْمِهِمْ وَ أَنْعٰامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهٰا وَ أَنْعٰامٌ لاٰ يَذْكُرُونَ اِسْمَ اَللّٰهِ عَلَيْهَا اِفْتِرٰاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ (۱۳۸) وَ قٰالُوا مٰا فِي بُطُونِ هٰذِهِ اَلْأَنْعٰامِ خٰالِصَةٌ لِذُكُورِنٰا وَ مُحَرَّمٌ عَلىٰ أَزْوٰاجِنٰا وَ إِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكٰاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۱۳۹) قَدْ خَسِرَ اَلَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاٰدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ حَرَّمُوا مٰا رَزَقَهُمُ اَللّٰهُ اِفْتِرٰاءً عَلَى اَللّٰهِ قَدْ ضَلُّوا وَ مٰا كٰانُوا مُهْتَدِينَ (۱۴۰)

اللغه

۱۳۶[ذرأ]:الذرء الخلق على وجه الاختراع،و أصله الظهور و منه ملح ذرانى لظهور بياضه،و الذرأه ظهور الشيب.

۱۳۸[حجر]:الحجر الحرام.

ص:۱۹۹

المظاهره التشريعيه للشرک

هدی من الآیات:

لان الله حکیم علیم(بالاضافه الی انه غنی رحیم)فهو لم یحرم الطیبات.

بینما المشرکون حرموا علی أنفسهم کثیرا من الطیبات افتراء علی الله،و فی البدء ذکر الله:ان الشرک فی حکم الکفر بالله العظیم،لان من ینذر لله و لغیر الله،فان نذره لغیر الله سیحبط نذره لله،و سیجعله فی نصیب الآلهه الشریکه.

و الشرک هو الذی دفع بالمشرکین الی قتل أولادهم افتراء علی الله،و هدف الطغاه و الجبابره الذین یشرکون بهم من تشجیع الناس علی قتل الأولاد یتلخص فی إهلاک الشعب مادیا و معنویا.

و الله سبحانه ترک المشرکین فی هذا الوادی بسبب أنهم افتروا علی الله سبحانه بالرغم من قدرته علی ردهم بالقهر و الجبر،و منعهم من التسلط علی مقدرات الشعب.

و هناک تشریعات باطله أخری کانت نتیجتها علیهم ان حرموا الطیبات علی

أنفسـهم،و دفعهم الى ذلك افتراؤهم على ربهم الذى سيجزون عليه،و كذلك تشريع المشركين الباطل الذى يميّز بين الذكور و الإناث فى الانتفاع من الطيبات،أو قتل الأولاد،أو يحرموا ما رزقهم الله كذبا عليه.

بينات من الآيات:

متى يكون الإنفاق لله شركا؟

[۱۳۶]الشرك و الكفر توأمان،بيد ان الشرك كفر مغلف،يستهدف إرضاء كل الأطراف،و هو ناتج عن ضعف الاراده،و سوء الحكم و التقدير،و الشرك حاله نفسيه تحاول خداع فطره الايمان بالله،و إشباع شهوات النفس فى عمليه تلفيقيه مفضوحه.

وَ جَعَلُوا لِلّٰهِ مِمّٰا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعٰامِ نَصِيباً فَقٰالُوا هٰذٰا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هٰذٰا لِشُرَكٰائِنٰا قالوا:هذا لله لارضاء حسّ التدين الطبيعى فى النفس،و لخداع المتدينين،و لان ما لله لا يعارض ما لشركائهم،فاذا كان يعارضهم فإنهم يسلبون حتى ما لله لشركائهم.

انهم يبنون الجوامع الفخمه لله بزعمهم،انهم يطبعون نسخا من القرآن الكريم، انهم يقيمون صلوات الجمعه و الأعياد،حتى انهم يحجون لربهم.

و لكنهم فى ذات الوقت،يجعلون للشركاء نصيبا،فهم يبنون القصور من أموال المحرومين،و يبنون الدول على حساب المستضعفين،و يكنزون الذهب و الفضه، و يدعمون الطاغوت،و يشيعون الإرهاب فى البلاد،و بالتالى يعطون للشركاء كل ما فى الحياه من لباب،و يدعون القشور لربهم،و الله لا يرضى بالقشور.

فَمٰا كٰانَ لِشُرَكٰائِهِمْ فَلاٰ يَصِلُ إِلَى اللّٰهِ

الحکم الذی جعلوه للطاغوت،لا یمکن ان یکون حکما إلهیّا یسکت عنه ربنا أو یرضی به،و المال الذی جعلوه دوله بین الأغنیاء منهم لا یمکن أن یکون برضا الله سبحانه،بل انه تعالی یمقته و یرفضه.

وَ مٰا کٰانَ لِلّٰهِ فَهُوَ یَصِلُ إِلیٰ شُرَکٰائِهِمْ الصلاه التی لا تنهی عن الفحشاء و المنکر،و الزکاه التی تعمق الهوه بین الفقراء و الأغنیاء،و تدعم سلطه الطاغوت لأنها تعطی له،و الحج الذی یتحول الی سفره سیاحیه،أو مورد ما لی للجاهلیه الجدیده،و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر اللذان أصبحا سوطا علی رقاب المستضعفین دون المستکبرین،انها جمیعا من طقوس الطاغوت،و لیست من شعائر الله تعالی.

سٰاءَ مٰا یَحْکُمُونَ

موقف الشریعه من تحدید النسل:

[۱۳۷]و هنا یطرح السؤال التالی:ما هدف الطاغوت و من حوله من ملأ المستکبرین،و حاشیه السلاطین و جلاوزه الأنظمه المفسدین؟ ان هدفهم أولا:استضعاف الجماهیر،و ثانیا:تضلیلهم،و من الطبیعی ان التضلیل یأتی بهدف إبقاء واقع استثمارهم و استعبادهم،و کمثل بارز لهذین الهدفین أنّ الشرکاء الذین یتقاسمون السلطه مع الله-فی زعم هؤلاء-انهم یشیعون بین الجماهیر نوعا من الثقافه الجاهلیه تشجعهم علی قتل أولادهم،فمن ناحیه یضللونهم عن فطرتهم النقیه فی حب الأولاد،و ضروره الإبقاء علیهم و من ناحیه ثانیه یهلکونهم بذلک،إذ أن الجیل الذی ینقطع نسله جیل أبتر،و بالتالی أصلح للاستثمار.

ص:۲۰۳

وَ كَذٰلِکَ زَيَّنَ لِکَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِکِينَ قَتْلَ أَوْلاٰدِهِمْ شُرَکٰاؤُهُمْ و کمثل لهذا الواقع المشين ثقافه الجاهليه الحديثه التی تشجع علی تحديد النسل، و علی الإجهاض فی الوقت الذی تزداد الهوه الطبقيه فی تلک المجتمعات التی تأخذ بهذه الفکره،و تصرف البلايين فی الحاجات الکماليه التافهه دون ان يفکروا فی أن جزء بسيطا من هذه الأموال يکفی لاعاشه الأولاد الذين منع من ولادتهم،و من برکاتهم فی الحياه.

علما بأن التفجّر السکانی وسيله طبيعيه للقضاء علی الطبقات المستکبره،لان کل فم يحتاج الی خبز سينفتح بالاحتجاج علی الطبقيّه المقيته.

لذلک يکون الهدف من قتل الأولاد هلاک الناس و تضليلهم.

لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ذلک ان الدين الصحيح سلاح فعال ضد الطغاه،فتضليل الناس عنه هدف أساس للطغيان.

و الله قادر علی أن يحطم عرش الطغاه،بقدرته الغيبيه،و لکنه لا يفعل ذلک ما دام الناس غير واعين،و لا يفکرون فی نجاه أنفسهم من الطغيان، و ذلک بالکف عن الثقافه المشرکه التی تفتری علی الله سبحانه.

وَ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مٰا يَفْتَرُونَ

الخرافات إفراز للشرک:

[۱۳۸]حين يتمثل المنهج الشرکی فی نظام اجتماعی يتبين ضلالته و انحرافه أکثر فأکثر،و فی الجاهليه کانوا يحرمون طائفه من الطيبات علی الناس،الا من

يشاءون حسب أفكارهم و مزاعمهم.

وَ قالُوا هٰذِهِ أَنْعامٌ وَ حَرْثٌ حِجْرٌ اى موقوف لا يمكن الانتفاع بهما.

لا يَطْعَمُها إِلاّ مَنْ نَشاءُ بِزَعْمِهِمْ اى الا لمن تشاؤه أهواؤهم و خرافاتهم.

وَ أَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها لا لشىء الا بسبب منهجهم الفكرى الفاسد و أهم إفراز لهذا المنهج انهم لا يذكرون اسم الله على بعض الانعام.

وَ أَنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرٰاءً عَلَيْهِ فيتقربون بتلك الذبائح الى الأصنام،أو الى الجن أو الملائكه أو بعض أبناء الناس،و ذلك حين كانوا يزعمون ان كل تلك آلهه يتقرب بها الإنسان الى ربه سبحانه. حيث قالوا:« نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللّهِ زُلْفىٰ » (1)سَيَجْزِيهِمْ بِمٰا كانُوا يَفْتَرُونَ على الله،و يزعمون:ان بعض الأشياء أو الأشخاص أبواب الله دون أن يكونوا كذلك.

و يبقى سؤال:ما هى علاقه الشرك بهذه الخرافات؟

ص:٢٠٥

١- ١) .الزمر

و الجواب:اولا:ان الشرک بالله يحوّر القلب،و يحجب العقل،و يعمى البصيره،فيرى البشر الأشياء مقلوبه،و قد يصل به الأمر الى اعتبار الخير شرا، و النافع ضارا.

ثانيا:ان كثيرا من المحرمات الاعتباطيه نابعه من الايمان بالشركاء،إذ ان خشيه الشركاء تحرم المشركون من كثير من الطيبات.

ثالثا:ان الواقع الاجتماعى الذى يفرزه نظام الشرک يحرم على الشعب كثيرا من الطيبات بسبب الطبقيه المقيته،بل العنصريه التى تسوده.

[۱۳۹]و كان من مظاهر أحكامهم الباطله،و تشريعاتهم السخيفه،التفرقه بين الرجال و النساء مما تأباه الفطره السليمه.

وَ قَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَ مُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا و فى الوقت الـذى كانوا يعترفون بعلاقه الزوجيه التى هى فى واقعها التكامل بين الذكر و الأنثى ذلک التكامل الذى يدعو الى المشاركه الكامله فى الحقوق و الخيرات كما فى المسؤوليات و الواجبات،فى ذات الوقت كانوا لا يكفون عن خرافه التفرقه بين الذكور و الأزواج.

وَ إِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ أى ان كان الجنين ولدا ميتا فسوف يتقاسمه الذكور و الإناث معا.

سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ انهم سينالون عقابهم بسبب وصفهم الباطل،و حكمهم غير العادل،حيث فرقوا بين الإناث و الذكور فى الانتفاع بالطيبات،و الله حكيم يحكم بالعدل،و عليم يعلم

ص:۲۰۶

من يخالف العدل الالهى.

اعدام الطفوله البريئه:

[۱۴۰]و أسوء من التفرقه الطبقيه و العنصريه و حتى التفرقه بين الرجل و المرأه، أسوء منها قتل الأولاد،تلك العاده الجاهليه العريقه و المتجدده مع كل جاهليه، و سببها النظره الشاذه الى الحياه،و الجهل و الافتراء على الله،و الضلاله عن الحق.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاٰدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ و اى سفه أكبر و أخطر من أن يقوم الفرد بإلحاق الضرر و الخسران بنفسه،و أن يقتل أولاده،و هذا السفه الذى يدل على قله الشعور،و عدم معرفه ما يضر و ما ينفع البشر،انه مدعوم بالجهل أيضا إذ أن العلم يزيد الشعور،و يوقظ العقل فى البشر.

وَ حَرَّمُوا مٰا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ افْتِرٰاءً عَلَى اللّٰهِ لان هؤلاء افتروا على الله و ما اهتدوا بالمنهج الالهى الذى يوضح للبشر كيف يستفيد من نعم الله عليه،و بالتالى لأنهم لم يجعلوا الحق محورا لهم،و مقياسا لأعمالهم،و بصيره لفهم الحياه.

لذلك حرموا على أنفسهم هذه الفرصه الطيبه، و لكن هل ان من يقتل أولاده هو الوحيد الذى يضيّع على نفسه فرصه الانتفاع بالحياه،و الاستفاده مما فيها.كلا..

فكل من لا ينتهج نهج الله انه يخسر ما رزقه من الطيبات،فالذى لا يربى أبناءه حسب المنهج الالهى القويم أ فلا يحرّم ما رزقه الله،و الذى يسرف فى الاكل فيعرض صحته للخطر،أو يأكل المحرمات،أو يشرب المسكرات،أو يتعاطى القمار و الزنا، أو يظلم الناس،أو يكذب و يغتاب و ما أشبه.انه هو الآخر يضيع على نفسه نعم الله عليه،فهو الآخر مثل الذى يقتل أولاده سفها بغير علم.

قَدْ ضَلُّوا وَ مٰا كٰانُوا مُهْتَدِينَ

ص:۲۰۷

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۱۴۱ الی ۱۴۴]

اشاره

وَ هُوَ اَلَّذِی أَنْشَأَ جَنّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَ غَیْرَ مَعْرُوشاتٍ وَ اَلنَّخْلَ وَ اَلزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُکُلُهُ وَ اَلزَّیْتُونَ وَ اَلرُّمّانَ مُتَشابِهاً وَ غَیْرَ مُتَشابِهٍ کُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ یَوْمَ حَصادِهِ وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا یُحِبُّ اَلْمُسْرِفِینَ (۱۴۱) وَ مِنَ اَلْأَنْعامِ حَمُولَهً وَ فَرْشاً کُلُوا مِمّا رَزَقَکُمُ اَللّهُ وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ اَلشَّیْطانِ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ (۱۴۲) ثَمانِیَهَ أَزْواجٍ مِنَ اَلضَّأْنِ اِثْنَیْنِ وَ مِنَ اَلْمَعْزِ اِثْنَیْنِ قُلْ آلذَّکَرَیْنِ حَرَّمَ أَمِ اَلْأُنْثَیَیْنِ أَمَّا اِشْتَمَلَتْ عَلَیْهِ أَرْحامُ اَلْأُنْثَیَیْنِ نَبِّئُونِی بِعِلْمٍ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۱۴۳) وَ مِنَ اَلْإِبِلِ اِثْنَیْنِ وَ مِنَ اَلْبَقَرِ اِثْنَیْنِ قُلْ آلذَّکَرَیْنِ حَرَّمَ أَمِ اَلْأُنْثَیَیْنِ أَمَّا اِشْتَمَلَتْ عَلَیْهِ أَرْحامُ اَلْأُنْثَیَیْنِ أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصّاکُمُ اَللّهُ بِهذا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَری عَلَی اَللّهِ کَذِباً لِیُضِلَّ اَلنّاسَ بِغَیْرِ عِلْمٍ إِنَّ اَللّهَ لا یَهْدِی اَلْقَوْمَ اَلظّالِمِینَ (۱۴۴)

اللغه

۱۴۱[معروشات]:العرش أصله الرفع،و منه سمی السریر عرشا لارتفاعه،و العرش السقف و الملک،و عرش الکرم(العنب)رفع بعض أغصانها علی بعض،و العرش شبه الهودج یتخذ للمرأه.

ص:۲۰۸

كيف يحرم الشرك طيبات الحياه؟

هدى من الآيات:

الله سبحانه هو الذى أنعم على البشر،نعما لا تحصى،فهو أعلم بسبل الانتفاع بها،و ما يضر و ما ينفع منها،بينما الجاهليه تحرم و تحلل حسب أهوائها دون أن تعرف طبيعه الأشياء.

فالله هو الذى أنشأ البساتين و الحدائق،و جعل فيها مختلف أنواع الشجر و الثمر، و لذلك فهو سبحانه عليم بأحكامها التى منها أن يأكل البشر من ثمراتها دون انتظار،و أن يعطى الفقراء منها يوم الحصاد،و الا يسرف فى الاكل أو فى العطاء،بل يعتدل فى كافه التصرفات فى الثمرات.

كما أن ربنا الكريم الحكيم هو الذى أنعم على البشر بالأنعام ليتخذ منها الإنسان ما يحمله فى مسيره،و ما يجلس عليه فى بيته،و حكم هذه الانعام هو الانتفاع بها بما رزقه الله منها،و لكن دون ان تصبح هذه الانعام وسائل لتحقيق مطامح شيطانيه كالاعتداء و البطش.

ص:٢١٠

و الله سبحانه رزقنا بازواج الضأن و المعز و البقر و الإبل،و البشر أخذ يحرم هذا و يحلل ذاك،بينما الجميع رزق الله،و الله لم يوص بهذا،انما المفترون هم الذين يضلون الناس بغير علم،و انما يضلون الناس بسبب أنهم ظالمون،فالظلم هو المانع عن هدايه الله.

بينات من الآيات:

الطيبات..ما لک و ما علیک:

[۱۴۱]ملايين الانظمه الطبيعيه،و السنن الاجتماعيه تفاعلت حتى أنشأ الله بها الجنات حيث اخضرت الأرض و أثمرت بمختلف أنواع الثمر،فمن دون وجود دوافع للبشر ركزها الله فى غريزه الإنسان،و من دون صلاحيه التربه،و وجود مخازن المياه،وضوء الشمس لم يكن البشر يندفع نحو زراعه الأرض،أو يقدر عليها،و لكن الله أوجد تلك الدوافع،و هيء تلك الوسائل،فهو إذا دون غيره فرش الأرض بسجاده خضراء من البساتين اليانعه.

وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَ جَنّٰاتٍ مَعْرُوشٰاتٍ وَ غَیْرَ مَعْرُوشٰاتٍ فبعض الجنان مرتفعه عن الأرض كجنان النخيل،و بعضها مفروضه عليها كجنان الزرع.

مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمّٰانَ مُتَشٰابِهاً وَ غَیْرَ مُتَشٰابِهٍ بعض الثمار تتشابه مع بعضها،فى اللون و الطعم و الصوره،و بعضها لا تتشابه، و التشابه قد يكون من جهه،و عدم التشابه من جهه اخرى،فكل الثمار ذات نكهه لذيذه فى الطعم،و متعه فى المنظر و الفائده،و لكنها تتميز عن بعضها فى نوع النكهه و المنظر و الفائده.ان روائع الإبداع تتجلّى فى التشابه،و عدم التشابه،فلو كانت الثمار

من نوع واحد،أو كانت أنواعا متفاضله لما تجلت عظمه الخلقه كما تتجلى الآن،و قد جاءت الثمار أنواعا مختلفه،و لكنها جميعا ذات مستوى عال من ناحيه الطعم و الفائده كل بصوره مختلفه.

و بما ان الله سبحانه،هو الذى أنعم علينا بالثمار،فانه يفصل لنا كيفيه الانتفاع بها،و بين الله هنا ثلاثه من أحكامها:

الاول:حين يقول:

كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذٰا أَثْمَرَ فاذا نضجت الثمره،يكون أوان الاستفاده منها،و على البشر ألاّ يحرم نفسه من طيباتها بأوهام باطله،بل بالعكس عليه ان ينتفع من الثمرات و الانتفاع البسيط -كالأكل حين تثمر الشجره-حق من حقوق كل شخص،اما الانتفاع الدائم كما إذا أراد تخزين الثمار و بيعها،أو الاستفاده منها مستقبلا،فان حق الآخرين يتعلق بها.

و هذا هو الحكم الثانى:

وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصٰادِهِ ففى ذلك اليوم ينتظر الفقراء حقوقهم من الزكاه أو الصدقه أو غيرهما.كحق الحصاد،بالرغم من أن حقوقهم تتعلق بها منذ نضوج الثمر،و ربما تدل الآيات على أن الاكل يجوز قبل إخراج الزكاه.إذ أن الزكاه تتعلق بما يخزنه البشر لا بما ينتفع منه -و الله العالم-.

بيد ان الانتفاع بالطيبات يجب أن يكون فى حدود الحاجه دون الإسراف،و هذا

هو الحكم الثالث الذى يبينه القرآن الحكيم هنا:

وَ لاٰ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ و لأنه لا يحب المسرفين فسوف لا ينصرهم و لا يزيدهم من نعمه.

الأنعام و فوائدها:

[۱۴۲]كما فى الثمرات التى تنبت من الأرض،فكذلك فى الدواب التى ينتفع بها البشر طعاما و حملا و غير ذلك،و الله هو الذى أنعم على الإنسان بالقدره على تسخير الدواب و الانتفاع بها،و جعل الانعام قسمين:قسم منها الانعام الكبيره التى تحمل الأثقال من بلد الى بلد كالإبل،و قسم منها الانعام الصغيره كالشاه التى يستفاد عاده منها فى الطعام. وَ مِنَ الْأَنْعٰامِ حَمُولَةً وَ فَرْشاً الكبار و الصغار.

كُلُوا مِمّٰا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ فلا تحرموا على أنفسكم الحيوانات كما كانت تفعله بعض المذاهب القديمه، و لكن من جانب آخر لا تسرفوا فى الاكل،و لا تظلموا الانعام باعتبارها مسخرات بأيديكم،فتقتلونها صبرا،أو تمنعون عنها الماء و الكلاء كسلا و ما أشبه،كما لا تتخذوا هذه النعم وسيله للبطش و الاعتداء على بعضكم البعض.

وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّيْطٰانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ و بالرغم من ان للشيطان خطوات متنوعه تقود البشر الى النار،و كلها مشموله

للآیه و ممنوعه،الا أن دلاله السیاق تدعونا الی افتراض ان اخطر هذه الخطوات هی الامتناع عن الاستفاده من بعض الأنعام افتراء علی الله.

[۱۴۳]یفصّل ربنا أنواع النعم الکبیره و الصغیره لیبین انها جمیعا حلال لوحده الملاک و الفائده و الهدف،فلما ذا یحرم البعض دون الآخر،هل لان الله قال ذلک،أم اتباعا لخطوات الشیطان؟! ثَمٰانِیَهَ أَزْوٰاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَیْنِ الذکر و الأنثی.

وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَیْنِ قُلْ آلذَّکَرَیْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَیَیْنِ ذکر الشاه و الصخل و أنثاهما.

أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَیْهِ أَرْحٰامُ الْأُنْثَیَیْنِ من الجنین،ان هذا التساؤل یزید الإنسان اهتماما و یستجلی فطرته حتی یحس بعدم الفرق الحقیقی بین هذه الأنواع من نعم الله،لذلک قال سبحانه:

نَبِّئُونِی بِعِلْمٍ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ ای لا تفرقوا بین الحقائق بأوهامکم،بل بعلم تتراهنون علیه.

[۱۴۴]و کما فی الفرش ای الانعام الصغیره مثل الضأن و المعز،فکذلک فی الحموله مثل الإبل و البقر لا یمکن التفریق بین ذکره و أنثاه الا بعلم.

وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَیْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَیْنِ

ص:۲۱۴

الذكر و الأنثى لكل واحد منها.

قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ كلا..لم يحرم الله أيّا منهما،إذ لا أحد يشهد بصدق هذه التحريمات.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصّاكُمُ اللّهُ بِهٰذا و بالطبع لا يستطيع أحد أن يدعى هذه الشهاده.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ لان هؤلاء يحفرون خطا منحرفا للناس،و يجعلونهم يظلمون أنفسهم،و يظلمون الناس آلاف المرات،و كل سيئات الظلم تكون على عاتق ذلك الذى افترى على الله.مثلا:الذين يفلسفون الطبقيه،و يجعلونها مشروعا.كم يفترون من الإثم؟!إذ أنهم يتسببون فى ألوف بل ملايين الجرائم،أ ليس كذلك؟! إِنَّ اللّهَ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ الذين يفترون على الله كذبا،و لذلك فهم يضلون السبيل القويم،و هنا لا بد من التذكر بفكره هى:أن السبب الذى يدعو فريقا من الناس الى اختراع الشرائع الباطله هو اتباع الشهوه فى ظلم الآخرين،كما ان السبب الذى يدعو الناس الى الالتفاف حول هذا الفريق هو الظلم أيضا،و الظلم الصغير يولد الظلم الكبير الى أن يضلّ الطريق رأسا.

ص:۲۱۵

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۴۵ الی ۱۴۷]

اشاره

قُلْ لاٰ أَجِدُ فِی مٰا أُوحِیَ إِلَیَّ مُحَرَّماً عَلیٰ طٰاعِمٍ یَطْعَمُهُ إِلاّٰ أَنْ یَکُونَ مَیْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِیرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَیْرِ اَللّٰهِ بِهِ فَمَنِ اُضْطُرَّ غَیْرَ بٰاغٍ وَ لاٰ عٰادٍ فَإِنَّ رَبَّکَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۴۵) وَ عَلَی اَلَّذِینَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا کُلَّ ذِی ظُفُرٍ وَ مِنَ اَلْبَقَرِ وَ اَلْغَنَمِ حَرَّمْنٰا عَلَیْهِمْ شُحُومَهُمٰا إِلاّٰ مٰا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمٰا أَوِ اَلْحَوٰایٰا أَوْ مَا اِخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِکَ جَزَیْنٰاهُمْ بِبَغْیِهِمْ وَ إِنّٰا لَصٰادِقُونَ (۱۴۶) فَإِنْ کَذَّبُوکَ فَقُلْ رَبُّکُمْ ذُو رَحْمَهٍ وٰاسِعَهٍ وَ لاٰ یُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ اَلْقَوْمِ اَلْمُجْرِمِینَ (۱۴۷)

اللغه

۱۴۶[الحوایا]:المباعر،و مفردها حاویه و هی ما یحوی فی البطن ما اجتمع و استدار.

ص:۲۱۶

الأفق الایجابی

اشاره

فی تشریعات التوحید

هدی من الآیات:

فی مواجهه الانغلاق الذی أصیب به البعض،فحرموا علی أنفسهم الطیبات الا-قلیلا- ذکر القرآن الحکیم هنا أنه لیس تلک المحرمات الجاهلیه موجوده فی الکتاب، إنما هی أشیاء معدوده ذکرت فی الآیه و هی المیته و الدم و الخنزیر و الفسق.

بید أنه حرم الله علی بنی إسرائیل أنواعا من الطیبات،و ذلک مثل کل ذی ناب أو مخلب،و شحوم البقر و الغنم،و ذلک لأنهم بغوا علی بعضهم البعض،و کلما زاد بغی البشر ضاقت علیه النعم.

و الله سبحانه رحیم،و رحمته واسعه،و لکنّه فی ذات الوقت شدید العقاب،لا یستطیع المجرمون الفرار من عقابه.

و تأتی هذه الآیات لتؤکد الفکره السابقه و هی ضروره الاستقامه علی الخط السلیم دون زیاده أو نقصان.لأن الأحکام الشرعیه مرتبطه بالمصالح الواقعیه التی

لا تتغير.

بينات من الآيات:

دود الحرام:

[۱۴۵]يزعم البعض أن الدّين معتقل حصين لطاقات البشر،لا يدعها تنمو و تتكامل،و أن كل شیء فی الدين حرام الا ما استثناه الله،و الله سبحانه ينفی هذه الفكره الباطله مره بعد اخری.

و فی هذه الآيه يشرح الله سبحانه أصل الحليه التامه الا فی أشياء معيّنه،و بذلک يشجع البشر علی التمتع بنعم الله،الا إذا سبّب ضررا بالغاء عليه.

قُلْ لاٰ أَجِدُ فِی مٰا أُوحِیَ إِلَیَّ مُحَرَّماً عَلیٰ طٰاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاّٰ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً ای خارجا من الجسم باندفاع،اما الدم المتبقی فی ثنايا اللحم فانه معفو عنه.

أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ بالرغم من ان ظاهره طيب،و لكن واقعه رجس، يولد أنواعا من المرض كما يطبع طاعمه ببعض الأخلاق الذميمه.

أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ بِهِ ان الذبيحه التی تهدی للصنم حرام لأنها جزء من واقع الشرک فلذلک هی فسق و حرام،و لكن مع كل ذلک فان هذه المحرمات تصبح حلالا فی حاله الاضطرار إليها،و الاضطرار يعنی:أن يصيب الفرد فی حاله تركه لها ضررا كبيرا لا يتحمله، فليس بضرر ذلک الذی يلحق الظالم حين يترک ظلمه أو يلحق المسرف و المتجاوز

حده حین یعود الی حده و نصابه،لان الضرر انما یقاس بمعیار الحق القائم علی العقل و الفطره،و تمییز العرف العام،و لذلک فان معاییر الظالمین و البغاه أو المتجاوزین بالسرف و الترف لا تعتبر معاییر کافیه،و لذلک

جاء فی تفاسیر الصادقین علیهم السلام :

(إن البغاه هم الخارجون علی امام الأمه،و العادون هم:العصاه) و لا ریب أن هذا واحد من المصادیق لهاتین الکلمتین فی حین تشمل الآیه کل باغ و عاد،و بکلمه ان البغی و العدوان فی هذه الآیه-حسب ما یبدو لی- مرتبط بالمعیار،فاذا کان معیار الاضطرار سلیما یجوز الاستفاده من هذا القانون و الا فلا.

فَمَنِ اضْطُرَّ غَیْرَ بٰاغٍ وَ لاٰ عٰادٍ فَإِنَّ رَبَّکَ غَفُورٌ رَحِیمٌ مغفرته تتجلی فی عدم أخذ من یأکل المیته اضطرارا بالرغم من حرمته فی الواقع، و رحمته تتجلی فی خلقه سائر الطیبات.

ملحقات المحرمات:

[۱۴۶]مبدئیا لا یحرم الله الطیبات علی البشر،بل الخبائث،و هی استثناء و لیست أصلا،و بالتالی فهی معدوده کما عرفنا،بید ان ربنا قد حرم وفقا لحکمه معینه طائفه من الطیبات لاسباب خارجیه مثل تأدیب المجتمعات المائعه و الظالمه، مثلا:حرم الله علی الیهود کل ذی ظفر،و هو الحیوان الذی یستخدم اظافره سلاحا لصیده.مثل السباع،و الطیور ذات المخالب(کالعقاب)و قیل:ان هذه الکلمه تشمل الإبل و الأنعام لأنهما و أمثالهما لیست بمنفرج الأصابع.

وَ عَلَی الَّذِینَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا کُلَّ ذِی ظُفُرٍ

و شـمل تحريم ربنا الاسـتثنائى على بنى إسـرائيل شحوم البقر و الغنم،الا تلك الشحوم المتراكمه على ظهورها،أو الموجوده على مقاعدها،أو تلك الشحوم المختلطه بعظم.

وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنٰا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمٰا إِلاّٰ مٰا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمٰا أَوِ الْحَوٰايٰا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ و السؤال:لماذا حرم الله كل تلك الطيبات عليهم؟ يجيب ربنا:ان بنى إسرائيل ظلموا و بغى بعضهم على بعض،فحرم الله عليهم بعضا من الطيبات،و يبقى سؤال:لماذا يتسـبب البغى فى الحرمه؟ و الجواب:ان السـنن التى نسـميها بالانظمه الطبيعيه لا تختلف عن الأحكام التشـريعه الا فى شىء واحد هو أن تلك يجريها ربنا على الكون و على البشـر قهرا و دون أى تغيير و تبديل،بينما الأحكام الشـرعيه.يأمر بها الناس،و يحذرهم من عاقبه تركها،لذلک فان هاتين السّنّتين الطبيعيه و التشريعيه تلتقيان فى الخطوط العامه، لأنهما تصدران من منبع واحد،و بما أن النهـايه الطبيعيه للبغى فى المجتمع هو انحسـار النعم عنه و تضـييق الخنـاق عن أبنـائه،فـان ذات النهايه يحكم بها الله سـبحانه على مجتمع البغى،و ذلک بتحريم طائفه من الطيبات عليه.

ذٰلِكَ جَزَيْنٰاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنّٰا لَصٰادِقُونَ

ذو الرحمه و البأس:

[۱۴۷]ان كل واحد من البشـر يتصور الله على شاكلته و حسب مشـتهياته،كما يتخذون ذات الصوره لسائر الحقائق،و المذنبون من الناس يضخمون فى أنفسهم صفه الرحمه و العفو لله دون أن يتذكروا صفات الغضب و البأس و العقاب له سبحانه،

و لذلک فهم یکذبون من یحذرهم الآخره،و یوعدهم العذاب.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وٰاسِعَةٍ و تکذیب رحمه الله مخالف للفطره،و لما نشاهده فی عالم الواقع،و لذلک أکد الأنبیاء هذه الصفه الحسنی لله،و لکنهم أکدوا علی الصفه الاخری أیضا.

وَ لاٰ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ

ص:۲۲۱

[سوره الأنعام (۶): الآیات ۱۴۸ الی ۱۵۰]

اشاره

سَیَقُولُ اَلَّذِینَ أَشْرَکُوا لَوْ شاءَ اَللّهُ ما أَشْرَکْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَیْءٍ کَذلِکَ کَذَّبَ اَلَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّی ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَکُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ اَلظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَخْرُصُونَ (۱۴۸) قُلْ فَلِلّهِ اَلْحُجَّهُ اَلْبالِغَهُ فَلَوْ شاءَ لَهَداکُمْ أَجْمَعِینَ (۱۴۹) قُلْ هَلُمَّ شُهَداءَکُمُ اَلَّذِینَ یَشْهَدُونَ أَنَّ اَللّهَ حَرَّمَ هذا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ اَلَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ اَلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ (۱۵۰)

ص:۲۲۲

الشرک بین التصور و التوهم

هدی من الآیات:

حین یکون معیار الحق و الباطل عند البشر ذاته،و لیس الواقع و الحقیقه،یزعم أنّ کلما یفعله یطابق الحقیقه عند الله،و ان أعماله و أقواله تستمد شرعیّتها من الله عز و جل،إذ ما دام یعتقد هو بها و ان ما تعتقده نفسه فهو صحیح.إذا فالله أیضا أمر به لذلک ینسب المشرکون من أهل الکتاب أو من غیرهم شرکهم و تشریعاتهم الی الله، و لکن الله سبحانه لم یصدقهم إذ عذبهم ببأسه فی الدنیا قبل الآخره حتی ظهر لهم و لغیرهم أنهم لیسوا علی حق،و یتساءل القرآن کیف یزعمون أن أفکارهم صحیحه.هل علما بذلک أم ظنا و توهما؟! الله لا أنا و أنت فالذی عنده الهدی،و له الحجه البالغه علی الهدی،و هو قادره علی هدایه الناس الیه،أما هؤلاء فإنهم یکذبون بالحق و لا حجه لهم علیه،و لا شهود صادقین،و لذلک أمرهم القرآن بإحضار شهداءهم،و لکنه نهی عن الشهاده لهم لأنهم.

ص:۲۲۳

أولا:یتمحورون حول ذواتهم و أهوائهم.

ثانیا:یکذبون سلفا و بلا تردد بکل العلامات التی تدل علی الحق لأنهم لا یهدفون بلوغ الحقیقه.

ثالثا:انهم یکفرون بالآخره و یقصرون حیاتهم علی الدنیا.

رابعا:و أخیرا إنهم لا یمیزون بین الله و بین خلقه سبحانه.

بینات من الآیات:

جذور الانحراف:

[۱۴۸]و یاتی هذا الدرس فی بیان الجذور الخبیثه للتشریعات البشریه الباطله فی القضایا الاجتماعیه التی بسببها یتبع البشر هواه،و یعبد ذاته،و یترک الحق و مسئولیته،و یتشبث بتصورات باطله و أوهام بعیده تستمد شرعیتها من الهوی،فیقول بالحتمیات الباطله.مثلا:ان اللیل و النهار و حوادث الحیاه هی التی تجبره علی اتخاذ مواقفه،أو یقول:ان الله أجبره علی ذلک لان الله هو خالق ما فی الوجود،و القاهر فوق العباد،فهو الذی اضطره علی ذلک أو ما أشبه،أو یتشبث بالخرافه الباطله التی تقول:ان الله فوّض أمور العباد الی أنفسهم،فهم یقرّرون لها ما شاءت عقولهم، (و هنا یخلطون بین العقل و الهوی خلطا متعمدا عجیبا).

و سواء تشبثوا بهذا النوع من التصور أو ذاک فان الهدف منه شیء واحد هو إعطاء الشرعیه لعباده أهوائهم،و التمحور حول ذواتهم،و اعتبار افکارهم و تشریعاتهم مقدسه،بل و مدعومه من قبل الله من فوق عرشه سبحانه،و هذه آخر مرحله من الضلاله عند البشر.

سَیَقُولُ الَّذِینَ أَشْرَکُوا لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا أَشْرَکْنٰا وَ لاٰ آبٰاؤُنٰا وَ لاٰ حَرَّمْنٰا مِنْ شَیْءٍ

فالله كان قادرا على منعنا من الشرك،و التشريع الباطل،فلم يفعل فهو راض بما نفعله،و يجيب القرآن الحكيم على ذلك:

أولا-ان هذا الفريق هو الذى يكذب بالحق لذلك فهم يتشابهون مع كل من يكذب بالحق فى التاريخ علما بأن أحد الطرق لكشف حقيقه جماعه هو الكشف عن التيار العام الذى يقعون فيه و يتسابقون معه،فإذا مصدر هذا الزعم و سببه هو انهم يكذبون بالحقائق،و إذا عرف الداعى النفسى الى فكره ما افتضحت طبيعتها و حقيقتها،مثلا:إذا عرفت ان زيدا الذى يتحدث عن فكره انما يتحدث عنها لأنه ينتمى الى حزب كذا عرفت جوانب كثيره من الفكره.

ثانيا:ان النهايه التى جعلها الله لمثل هؤلاء هى العذاب الشديد.إذا فهم ليسوا بخارجين عن دائره المسؤوليه التى من أجل الهروب منها تشبثوا بمثل هذه الأفكار الباطله.

كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّٰى ذٰاقُوا بَأْسَنٰا ثم-و بعد ان يشكك هؤلاء بأفكارهم-يطرح عليهم هذا السؤال:هل هذا علم أم ظن؟ان مجرد طرح هذا السؤال يعنى جعل شرعيه الأفكار مناطه بالعلم لا بالمصلحه،و بالتالى فضح جذور الفكره،و أنها نابعه من الهوى،و بما انهم لم يدّعوا العلم لأنهم لا يعترفون بالحق(بل بذاتهم)حتى يبحثوا عن العلم الذى يهديهم اليه، و لكن مع ذلك لا يمكنهم انكار شرعيه العلم.

ثم يؤكد القرآن الحقيقه فى أمر هؤلاء،و يقول:ان اعتماد هؤلاء هو على التصور و الوهم و التصور(الظن)هو الكذب المتعمد،و الوهم هو الشك(الخرص).

قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنٰا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّٰ

تَخْرُصُونَ و هم لاـ يستطيعون انكار ذلك.إذ انهم لو أنكروه فقد فتحوا باب المباحثه البناءه،و الحوار الفاعل على أنفسهم،و هو يضرهم لأنه يعيد الشرعيه للحق و العلم لا للهوى و الظن.

لا للحتميه:

[۱۴۹]لم يحتم الله على البشر الضلاله،و لا رضى بها.إذ لم يجبرهم على ترك ضلالتهم،بل وفّر لهم فرصه الهدايه كامله،فأعطاهم الحجه البالغه،و بقى عليهم ان يقوموا بدورهم فى استيعاب الهدايه،كما ان الله قادر على أن يجبر الناس على الهدايه،و لكنه لم يفعل،كما لم يجبر الناس على الشرك..فليس تركه للناس دليلا على رضاه سبحانه لأنه أتم الحجه عليهم.

قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبٰالِغَةُ فَلَوْ شٰاءَ لَهَدٰاكُمْ أَجْمَعِينَ

الاستشهاد:

[۱۵۰]احدى الوسائل الفعاله لتمييز الحق عن الهوى،و العلم عن الظن، و الصدق عن الكذب،هى طرح الأفكار على عقول الناس،و استشهادهم عليها، ذلك لان الناس حتى و لو كانوا يتبعون الهوى و الظن فإنهم حين يقيّمون أفكار الآخرين،فليس من الضرورى القبول بها أو التصديق،ذلك لان مصالح الناس مختلفه،و أهواءهم متفاوته،و بالتالى كل حزب بما لديهم فرحون.بيد أن شهاده الناس ليست دليلا على الحق و لو كانت دليلا على بطلان الهوى.فهى مفيده سلبيا فقط(تنفى و لكنها لا تثبت).

قُلْ هَلُمَّ شُهَدٰاءَكُمُ

أی اجمعوا شـهداءکم،لأنه بجمعهم تفترق کلمتهم لأنها باطله،و لذلک من وسائل کشف عصابه الاجرام جعلهم جمیعا یشهدون علی الـواقعه فنری کـم أنهـم یختلفـون،بـل و یتنـاقضون مع بعضــهم لأـنهم ان اتفقـوا علی مخـالفه الحـق فلـن یتفقـوا علی نـوع الباطل،لذلک فصّل القرآن و قال:

اَلَّذِینَ یَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هٰذا و لکن الاتفاق علی الباطل لا یصبح دلیلا علیه.

فَإِنْ شَهِدُوا فَلاٰ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَ لاٰ تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا و القرآن الحکیم یبین هنا المزید من جذور الشرک.حیث یبین ان السبب فی عدم اتباع الحق لا تلفها الهوی هو عدم الایمان بالآخره هذا أولا،ثانیا:عدم معرفه الله و خلط الله و خلط الله بخلقه.

وَ الَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ و من یعدل الله بخلقه لا یعرف الله و لا خلق الله.

ص:۲۲۷

[سوره الأنعام (۶): آیه ۱۵۱]

اشاره

قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ مٰا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاّٰ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً وَ لاٰ تَقْتُلُوا أَوْلاٰدَكُمْ مِنْ إِمْلاٰقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيّٰاهُمْ وَ لاٰ تَقْرَبُوا اَلْفَوٰاحِشَ مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا وَ مٰا بَطَنَ وَ لاٰ تَقْتُلُوا اَلنَّفْسَ اَلَّتِى حَرَّمَ اَللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۱۵۱)

اللغه

۱۵۱[إملاق]:الاملاق الإفلاس من المال،و منه الملق و التملق لأنه اجتهاد فى تقرب المفلس للطمع فى العطيه.

ص:۲۲۸

هكذا يفسد الشرك النظام الاجتماعی

هدی من الآیات:

بعد بیان المحرمات المعدوده التی ترتبط بالمادیات،جاء دور المحرمات الاجتماعیه الأکثر أهمیه و الأکثر مصداقیه و الأکثر صعوبه،و هی کالتالی:

أولا:الشرک باللّه.

ثانیا:الإحسان الی الوالدین،ای حرمه إیذائهم،و حرمه إهمال حقوقهم.

ثالثا:حرمه إهمال حقوق الأولاد من الفقر.

رابعا:الفواحش التی بینها اللّه فی کتابه،سواء الخفیه منها أو الظاهره.

خامسا:قتل النفس المحرّمه.

هذه وصایا ربنا التی تنفعنا،و التی یمکن لنا أن نعقلها ببساطه.

بينات من الآيات:

حرمات الله:

[۱۵۱]الجاهليه بشكلها القديم و الجديد،الظاهر و المغلف تحاول تضخيم جوانب من الدين على حساب جوانب اخرى هى الأهم و الأصعب،و هى المحتوى و اللباب،و رساله الله تـذكر الناس بأن الدين لا يبعّض،و أن ذلك التضـخيم و المبالغه و الاحتياط فى غير محله،بـل حرام أساسـا،و فى الآيـات السـابقه رأينـا كيف ان الله بيّن ان تحريـم الجـاهليه للطيبـات من الرزق،باسم الـدين كان باطلا،بينما المحرمات تلك كانت محدوده بل و جانبيه،أما المحرمات الكثيره و الاساسـيه التى تناساها الجاهليون القشريون عمدا و لخطورتها و أهميتها فهى التى تذكر بها هذه الآيات، فعلينا الاهتمام بها ان كنا فعلا مؤمنين و لا نخادع أنفسنا فى الدين.

المحرمـات الاساسـيه هى الـتى تنظـم الحيـاه الاجتمـاعيه للإنسـان،ابتـداء من حيـاه الاسـره و حـتى السـياسه،و لكن كـلّ الاـنظمه الاجتماعيه فى الإسلام مصطبغه بالتوحيد و رفض الشرك بالله سبحانه،لذلك بدء الله هويته به و قال:

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً يجب ان نخلص العباده لله سبحانه،و الاّ نخضع أو نستسلم لشىء من دون الله، و الا نقبل ضغطا أو زورا،بل يكون بناء حياتنا على الحريه المطلقه(إلا فى حدود القانون)و العزه و الكرامه.

محتوى التوحيـد هـو الحريـه و الحريـه ممـارسه و سـلوك و فعـل يقـوم بـه الشـخص ذاتـه قبـل ان تكـون حقـا،و نظامـا و انفعالا.كلا..فحريتى تبدء حين أرفض الخضوع لشىء أنّى كان اسمه لانى اعتبر كل شىء خاضعا لله،و انا أيضا خاضع للّه

ص:۲۳۰

و لقانونه،و لمن أمرنی باتباعه،و فیما وراءه لا شیء یمکن أن یخضعنی لا الثروه و لا السلطه و لا الإرهاب الفکری أو التعذیب.

الشرک اولا ثم الروابط العائلیه:

و إذا ساد فی المجتمع نظام الشرک،فان القانون لا یمکن ان یکون الهیا لان کل بند من بنود القانون ینقض تحت ضغط الثروه أو السلطه أو الإرهاب الفکری.لذلک بدء الله النهی عن المحرمات الاجتماعیّه بالنهی عن الشرک لأنه الشرط المسبق لتنفیذ سائر المحرمات.

و بعد ان نتعهد بالتسلیم لله وحده لا لشیء آخر یأتی دور بناء العلاقات الاجتماعیه و أهمها العلاقه بین الأجیال-بین الجیل السابق(الوالدین)و الجیل اللاحق(الأبناء)-العلاقه مع الوالدین یجب أن تکون علاقه الإحسان.

وَ بِالْوٰالِدَیْنِ إِحْسٰاناً و الإحسان هو:العطاء الفضل الذی یتجاوز الحق الی الخیر،و هو بالتالی لا یعنی التسلیم المطلق(کما تعنی العباده)کما لا یعنی الطاعه للوالدین.إذ أن الطاعه تعنی بدورها الخضوع،و المؤمن لا یخضع لغیر الله،نعم الطاعه بمعنی قبول عرض منهما بالنسبه الی عمل دون أن یکون ذلک فرضا من قبل الوالدین أو تسلیما من قبل الأولاد،هذه الطاعه مطروحه.

و المنطق المتخلف جعل التسلیم للوالدین واجبا شرعیا،فکرّس الروح العشائریه فی النفوس،بینما لا نجد فی الإسلام سوی الأمر بالإحسان الی الوالدین،بل وجدنا بالعکس من ذلک تماما،نهی الإسلام عن الاتباع الأعمی للآباء،و هذا ما یجرنا الیه المنطق المتخلف.

و كما يجب التسليم لله و الإحسان الى الوالدين لا بد أن تكون علاقه الإحسان هى العلاقه السائده بين أبناء المجتمع،أما العلاقه بين الإنسان و بين أبنائه و عموما الذين هم أقل منه مستوى فهى علاقه المحافظه عليهم،و ألّا يزعم الأب ان أولاده منافسين له فيقتلهم خشيه أن يتأثر وضعه الاقتصادى بهم.

وَ لاـ تَقْتُلُوا أَوْلاـدَكُمْ مِنْ إِمْلاـقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيّاهُمْ الاملاق هو الفقر،و الجاهليه هى التى تجعل الاختلاف صراعا،و الصراع حادا الى درجه التناقض،فتجعل النظره الجاهليه ضيقه(و التى هى نظره الشرك)الآباء و كأن بينهم و بين الأبناء صراعا على البقاء،و لذلك كانوا يقتلون أولادهم قديما،أو يجهضون أولادهم بزعم أنهم يزاحمونهم فى نعم الحياه،أو يمنعون النسل بهذه الحجه.

هذه النظره الشركيه هى التى أوحت الى الماركسيه بتصور التناقض الحاد بين أبناء المجتمع،كما أوحت الفرو يديه بأن الابن الذكر ينازع أباه على أمه و الأنثى تنازع أمها على أبيها.

بينما النظره التوحيديه السماويه توحى الى الإنسان بحقيقه التكامل فى الحياه، و أن نعم الله ليس فقط تسع كل الناس من دون صراع حاد،بل و أيضا أنها تزداد كلما ازدادت العناصر الطالبه لها،و ربما لذلك أشارت الآيه الى ان الرزق سيتناوله الآباء قبل الأبناء فى حاله تواجدهم مع بعضهم.

ما هى الفواحش؟

العلاقه الحسنه بين الآباء و الأولاد تتكامل مع العلاقه السليمه بين الزوجين، حيث يجب أن تكون علاقه البناء لا الهدم،و الزواج لا الفاحشه،لذلك حرم الله الفواحش كلها.

ص:۲۳۲

وَ لاٰ تَقْرَبُوا الْفَوٰاحِشَ مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا وَ مٰا بَطَنَ قد تكون الفاحشه ظاهره كالزنا و الشذوذ،و العاده السريه و ما إليها،و قد تكون باطنه و هى التى لا تحقق أهداف الزواج الساميه كالصداقه مع النساء،أو حرف الغريزه بما تخدم أهداف الشيطان كالاكتفاء بالصور الجنسيه أو بالافلام الخليعه عن العلاقه الجنسيّه السليمه.

و قد يكون من مصاديق الفاحشه الباطنه عدم إيجاد جو التكامل فى محيط البيت بما يخدم مصلحه الطرفين،أو عدم أداء الحقوق الواجبه من قبل أىّ واحد من الطرفين كالمهر و النفقه و التمكين،أو أن تكون نظره أحد الزوجين متوجهه الى غير زوجه من سائر الذكور و الإناث.

و كذلك قد تكون من الفاحشه الباطنه أن يستهدف كل من الزوجين إشباع غرائزه دون أن يفكر فى مصلحه الطرف الثانى،فلا يتبع غريزته فى وقت هيجانها، أو لا يفكر فى تكامله و نموه و راحته بقدر ما يفكر فى نفسه فتكون قرارته ذاتيه بحته.

هذه علاقه الزوجين،أما علاقه الناس ببعضهم فيجب أن تكون تكامليه و لا تكون حديه نابعه من نظره الشرك التى توحى أبدا بالصراع الباطل.

وَ لاٰ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللّٰهُ إِلاّٰ بِالْحَقِّ فقتل النفس المحرمه مظهر من مظاهر الصراع الشركى،و حين يجب تصفيه أحد جسديا،كما إذا كان قاتلا أو مفسدا فى الأرض فانه يجب ذلك.

ان هذه المحرمات هى مما يذكّر بها الله ليفتح العقول بها.إذ أنها مرتكزه فى فطره البشر لذلك عبر القرآن عنها بالوصيه التى هى خير ظاهره للإنسان.

ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۱۵۲ الی ۱۵۳]

اشاره

وَ لاٰ تَقْرَبُوا مٰالَ اَلْيَتِيمِ إِلاّٰ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا اَلْكَيْلَ وَ اَلْمِيزٰانَ بِالْقِسْطِ لاٰ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا وَ إِذٰا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كٰانَ ذٰا قُرْبىٰ وَ بِعَهْدِ اَللّٰهِ أَوْفُوا ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا اَلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)

اللغه

۱۵۲[أشدّه]:الأشد جمع شد،و الشد القوه و هو استحکام قوه الشباب ای حتی یبلغ قوی شبابه،و هو انما یحصل بالبلوغ و الرشد.

ص:۲۳۴

و هكذا ينظم التوحيد

اشاره

الحياه الاجتماعيه

هدى من الآيات:

بعد أن تحدث القرآن عن ادانه منطق الشرك الذى يدعو الى الصراع و التناقض، فحرم القرآن جانبا من آثار هذا المنطق الباطل،بعدئذ نهى القرآن عن آثار هذا المنطق فى الواقع الاقتصادى للمجتمع،حيث يسعى كل فريق نحو ابتزاز الآخرين، فحرم الله الاعتداء على أموال الآخرين و بالذات أكل أموال الضعفاء كالأيتام، و أكل الأموال بطرق ملتويه كالغش و نقص المكيال و الميزان.صحيح أن الفرد حين المعامله يتدخل ما له بأموال غيره من حيث لا يريد-و هو ليس بحرام-لان الله لا يكلف الإنسان إلاّ بقدر طاقته،و لكن حرام أن يتعمد ذلك تعمدا،أو على الأقل يعمل بالتطفيف فى الميزان.

و لذلك أيضا أوجب الله الاستقامه على الطريق،و عدم الانحراف عنه يمينا أو شمالا،و ذلك بقبول القيادات الباطله،أو الخضوع للتيارات المنحرفه،و هذا هو لب التقوى،و محتواها الحقيقى الذى لا يصل اليه الإنسان إلاّ باجتهاد عظيم،و جهاد

أعظم.

بينات من الآيات:

كيف نتصرف فى مال اليتيم؟

[۱۵۲]من الميزات الهامه فى التشريعات القرآنيه هى الواقعيه،فتأتى واجبات و محرمات القرآن مطابقه لانحرافات الواقع الخارجى و مركزه عليها.مثلا-فى باب الاقتصاد لا يكتفى القرآن ببيان حق الملكيه الخاصه،و حرمه الاعتداء على أموال الناس،بل و يهتم أبدا بتلك الحلقات الأكثر عرضه للاعتداء،فيركّز حديثه عليها، و لذا يتوقّف المجتمع عن الاعتداء فى الحلقات الأكثر عرضه للاعتداء و يسرا،فأنه بالطبع لا يعتدى على غيره،و من هنا ذكر القرآن الحكيم هنا مال اليتيم،و النقص فى المكيال و الميزان،أما مال اليتيم فلأنّ صاحبه ضعيف لا يقدر على المطالبه به، و لأنه أيسر و أقرب للضياع،و اما النقص فى المكيال فلأنّه أسلوب شائع و بعيد عن ملاحقه القانون لان من الصعب التعرف عليه.

وَ لاٰ تَقْرَبُوا مٰالَ الْيَتِيمِ إِلاّٰ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ اى من أجل تنميته،أو المحافظه عليه،و إلّا فلا يجوز أساسا وضع اليد على مال اليتيم لأنه لا يعرف رضا صاحبه بذلك.

حَتّٰى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ فاذا بلغ أشده،و بلغ سن الكمال و كان رشيدا فلا بد ان تعاد اليه أمواله،و لا يجوز حتى التصرف بالتى هى أحسن فيها،كما جاء فى آيه أخرى.

« وَ ابْتَلُوا الْيَتٰامىٰ حَتّٰى إِذٰا بَلَغُوا النِّكٰاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ

أَمْوالَهُمْ وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا » (۱)و قد يكون بلوغ النكاح وحده نهايه السماح بالتصرف فى أموال اليتيم لأنه بعد ذلك سيصبح سفيها،و مسئول عن أموال السفهاء من جهه اخرى.

وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ فيحرّم الغش فى المكيال لأنه نوع خفى للاعتداء على ثروه المجتمع،و علاقه شركيه و ليست توحيديه بين أبناء المجتمع،و الوفاء بالكيل واحد من مصاديق احترام حقوق الآخرين أشار اليه القرآن لمعرفه سائر المصاديق مثل الغش و الغبن و مماطله المدينين،و استعجال الدائن.

فى المجتمع الاسلامى الذى تسود علاقاته نظره توحيديه لا يقتصر الفرد فى النظر الى نفسه،بل الى الآخرين أيضا،و يرى ان بلوغ الآخرين الى مآربهم جزء من أهدافه،بل هو طريق لبلوغه هو الى مآربه.

لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها الوفاء بالكيل و عدم بخس الميزان لا يعنى ضروره الدقه العقليه فى ذلك مما يصعّب عمليّه التبادل التجارى،بل يعنى أن يكون هدف الفرد القسط،و لا يتعمد التجاوز على حقوق الآخرين،و من هنا جاء فى الآيه الكريمه:أن الله لا يكلف نفسا الا وسعها.أى حسب استطاعتها دون حرج أو عسر،ذلك لأنّ المجتمع المسلم تنتشر فيه روح المسامحه و الإحسان الى جانب الالتزام بالحقوق.

المسؤوليه الاجتماعيه:

و حين يلتزم سائر الإفراد بالحقوق تنتهى المشكله،و لكن إذا تعاسروا و اختلفوا

۱- ۱) النساء/۶

فـان أبنـاء المجتمع يجب أن يصـبحوا قضـاه عـدولا،و لاـ يحكموا ضـد أو مع هـذا و ذاك، من دون دليـل ثـابت حتى و لو كان الشخص من اعدائی أو من اقاربی.لا بد ان يكون كلامی عدلا.

وَ إِذٰا قُلْتُمْ فَاعْـدِلُوا وَ لَوْ كٰانَ ذٰا قُرْبىٰ و إذا امتلـك المجتمع روحـا قضـائيه عـادله حكم أبنـاؤه لصـاحب الحق و ضـد الظالم انّی كان،فانه يصـبح ذا مناعه كافيه عن انتشار الظلم فيه،و عن نمو الجريمه،إذ أن الظالم لا يبـدأ ظلمه بظلم كبير،و كذلك المجرم لا يقترف جرائم كبيره مره واحده، انما يتدرج نحوها شـيئا فشيئا،فاذا ظلم الشخص مره فعارضه أقرب رفاقه و أقاربه فسوف ينسحب لصالـح المظلوم،يتأدب،و يتخـذ لمسـتقبله درسا لا ينساه،و كـذلک المجرم لو قام فی البدء بجريمه صـغيره فی محيط معارض له فسوف يتوقف عن الاستمرار فی الجريمه.

وَ بِعَهْدِ اللّٰهِ أَوْفُوا هناك صلات طبيعيه بين أبناء المجتمع كصله الآباء،بالأبناء،و قد سبق الحديث عنها فی الدرس السابق،و هناك صلات حضاريه أساسـها التعاون على الخير، و المصالـح المشتركه و قـد تحـدث عنها القرآن فی هـذا الدرس،بيد أن شـرط بقاء هـذه الصـلاه هو تحكيم النظره التوحيديه فی العلاقات،و ذكرها الله سـبحانه متمثلا فی حرمه الحقوق،و عداله القضاء،و الآن ذكر الله سـبحانه العهـد باعتباره الحبل المتين الـذی يشـدّ المجتمع ببعضه،و من دون تقـديسه و احترامه لا يثق المجتمع ببعضه، فيختل التعـاون،بـل يسـتحيل التعاون،إذ لا يمكن أن تعوّض القوانين المسـتورده و الضابط الالكترونی بالعهـد،حيث إن البشـر قادر على تجاوزها و الالتفاف حولها، و لكنه لا يستطيع تجاوز ضميره،و الالتفاف حول وجدانه.

و قد جعل الله العهد بين الناس وثيقه بينه و بينهم مباشره فسماه عهد الله حتى يعطيه الضمانه الايمانيه لاجرائه.

ان هذه وصايا ربنا الاجتماعيه التى لو أمعنا فيها النظر لرأينا أنها حقائق واضحه كنا غافلين عنها،فذكرنا ربنا بها:

ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

الخطوط السياسيه فى المجتمع:

[۱۵۳]فى الآيات السابقه بيّن الله ضرورات بناء المجتمع المتكامل،و علاقاته الداخليه بينما فى هذه الآيه يبين الله و جهه هذا المجتمع العام،و تياراته السياسيه و علاقاته العامه،فيأمر الله المسلمين باتباع الصراط المستقيم الذى لا ينحرف مع ظروف سياسيه متغيره.

وَ أَنَّ هٰذٰا صِرٰاطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ الجماعه السياسيه تعيش كما الفرد فى المجتمع بين تيارات مختلفه منشؤها سائر المجموعات السياسيه المجاوره لنا،و كما على الفرد ان يلتزم خط الاستقامه بين افراد المجتمع كذلك المجموعه السياسيه يجب أن تلتزم بالحق بين سائر المجموعات.

ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ و حيث يكون الخط السياسى العام خطا صحيحا يكون من السهل على أبناء هذا المجتمع الالتزام بالواجبات الشرعيه و التقوى عن المحرمات،بينما لو لم يكن الخط العام كذلك فان مساعى الإفراد فى الالتزام بالخط الاسلامى تكون قليله الجدوى.

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۱۵۴ الى ۱۵۷]

اشاره

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى اَلْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى اَلَّذِي أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (۱۵۴) وَ هٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اِتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۱۵۵) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ اَلْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (۱۵۶) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا اَلْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اَللّٰهِ وَ صَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي اَلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ اَلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (۱۵۷)

ص:۲۴۰

اتباع الكتاب شرط التوحيد

هدى من الآيات:

هناك خطان فى الحياه.خط الشرك و الضلاله،و خط التوحيد و الهدى،و فى الدرس السابق بين الله سبحانه جانبا من مفارقات هذين الخطين،و ما فيهما من آثار سلوكيه،و فى هذا الدرس يبين فكره خط الرساله عموما.فيقول: ان الله سبحانه أنزل الكتاب على موسى لكى يكون نعمه تامه للمحسنين،و لكى يفصّل به شرائع الحياه تفصيلا،و لكى يهدى الناس الى الحقائق مباشره،و لكى يوفر لهم الحياه الآمنه السعيده،و أخيرا لكى يربّى فيهم التطلع الانسانى الأرفع الذى يتجاوز الدّنيا الى الآخره.

و كذلك انزل الله مثل ذلك الكتاب عليكم،فعليكم اتباعه،و أن تتقوا الله باتباع مناهجه ظاهرا و باطنا حتى تتوفر لكم حياه سعيده،و هذا الكتاب فيه زياده على كتاب موسى،فهو مبارك.

و انما انزل الله الكتاب أيضا لكى يتم الله حجته عليكم،فلا تقولوا يوم القيامه

تبريرا لكفركم:ان الله أنزل كتابه على اليهود و النصارى دوننا،و أننا كنا غافلين عما يدرسون من الكتاب،أو تقولوا:اننا سنكون أكثر التزاما بالرساله لو أنزلت فينا، فهذه رسالته بينه جاءتكم من ربكم.فيها خصائص الرسالات السماويه السابقه من الهدى و الرحمه،و لكن كم يكون ظلم المخالفين لأنفسهم عظيما،و انحرافهم بعيدا لو تركوه.

بينات من الآيات:

أهداف رساله موسى:

[۱۵۴]أن لم تكن تلك الحقائق كافيه لكم فهاكم حقيقه اخرى هى رساله موسى،كيف كانت؟ انها كانت رساله تامه للمحسنين،حيث فتح لهم مجال العمل الأكثر من أجل الله و الانسانيه ذلك لان فى كل مجتمع نوعان من الرجال(محسنين و ظالمين)و المحسن أنّى كان معترما و مقبولا اجتماعيا،و لكنه بحاجه الى برامج لمضاعفه إحسانه و لتنظيمه،و جعله أكثر فاعليه و أبعد أثرا،تماما كالمجاهد الذى ينذر نفسه لله و لكنه بحاجه الى برامج و مناهج ليجعل عمله أكثر نفعا،و أقرب الى النتيجه،و الله بعث برسالته التامه للمحسنين،و هذا بذاته دليل على طبيعه الرساله الحقه.

آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ اى رساله تامه على من أحسن من الناس،و المحسنين كما قلنا:هم فئه من الناس يتجاوزون ذواتهم الى الآخرين،فلا يكتفون بأداء حقوق الناس بل يضيفون عليها شيئا من حقوقهم.

وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ

ص:۲۴۲

برامج الله لیست ذات بعد واحد یتصل مثلا بالفرد دون المجتمع،أو الاقتصاد دون السیاسه،أو المادیات دون المعنویات،أو الآن دون المستقبل،أو هذه الطبقه دون تلک،أو تهتم بالعواطف دون العقول،و هکذا.ان دلیل صدق رسالات السماء أنها تتحدث عن کل شیء،و لکن بتکامل و تناسب و عداله بین مختلف أبعاد الحیاه البشریه.

وَ هُدیً و البرامج الالهیه تنتهی بالهدایه لأنها حقه و واقعیه،فلو طبقها البشر لوصل الی الجذور الاساسیه لها،و الأصول العامه التی ابتنیت علیها،و بالتالی الی الحقائق التی استهدفتها تلک البرامج.

ان البرامج الالهیه تختلف فی هذه النقطه عن البرامج البشریه و هی انک کلما طبقت البرامج التی وضعها البشر.کلما تعرفت علی نقاط الضعف فیها بعکس البرامج السماویه التی یقول عنها ربنا:

وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا (۱) وَ رَحْمَهً و حین تطبق البرامج الالهیه تتحقق اهدافک و تطلعاتک بعکس البرامج البشریه، فلذلک فهی نقمه و البرامج السماویه رحمه.

و لکن الرسالات الالهیه لا تکتفی بتنمیه الجوانب المادیه لحیاه البشر،بل و تنمی أیضا تطلعاته الأسمی من عالم الماده(عالم الدنیا الزائله)الا و هی التی تلامس

۱- ۱) العنکبوت۶۹/

حدود الغيب و الآخره.

لَعَلَّهُمْ بِلِقٰاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ان الهدف من الرسالات السماويه هو تحقيق رفاه البشريه الذى يفرغ الإنسان للآخره.

أهداف رساله الرسول:

[۱۵۵]و لذات الاهداف انزل الله كتابه الأكمل و الأخير على محمد صلى الله عليه و آله .

وَ هٰذٰا كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ مُبٰارَكٌ و بركته و نموه يتمثل فى أنه أكمل من سائر الرسالات.

فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ واجب البشريه امام القرآن اثنان:الاتباع و التسليم الظاهر،و التسليم الباطن (التقوى)و إذا تحقق التسليم ظاهرا و باطنا تأهل البشر لرحمه الله.

إتمام الحجه:

[۱۵۶]من مظاهر رحمه الله انه أتم حجته على عباده،فرفع عنهم كل حجاب يمكن أن يمنع عنهم نور الهدى،فحين عرف أن للعرب عصبيه تحجبهم عن قبول رساله الله التى أنزلت فى غيرهم من اليهود و النصارى بعث فيهم نبيا من أنفسهم، كما أنه لكى لا يدّعى هؤلاء أنهم كانوا مفصولين عن دائره التأثير برسالات بنى إسرائيل،لذلك بعث فيهم رساله خاصه بهم.

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمٰا أُنْزِلَ الْكِتٰابُ عَلىٰ طٰائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنٰا وَ إِنْ كُنّٰا عَنْ دِرٰاسَتِهِمْ

لْغَافِلِينَ فلم ننتبه للرساله،و من الطبيعى ان الغفله عذر عقلى،أولا أقل أن رحمه الله أبت أن تعذب الناس على ذنب اقترفوه غفله.

[۱۵۷]يزعم البشر:انه متكامل،و ان ما به من نقص و عجز فإنما هو بأسباب خارجه عن إرادته،و لكى لا يزعم العرب هذا الزعم،و يتصوروا انه لو أنزل الكتاب عليهم لكانوا أفضل من اليهود و النصارى فى تطبيقه.انزل الله الكتاب عليهم و قال سبحانه:

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنّٰا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتٰابُ لَكُنّٰا أَهْدىٰ مِنْهُمْ و يتحدى القرآن الحكيم فيقول:ها هو الكتاب نزل عليهم و فيه ثلاث مزايا.

الاولى:انه حجه واضحه،و دلاله بيّنه على الحقيقه.كما المعالم تدل على الطريق،و كما الدخان يدل وجود النار،و الصوت على وجود صاحبه.

الثانيه:انه إذا طبقه الفرد هداه الى الحقيقه،كما إذا سار الفرد فى الطريق حتى وصل الى غايته،أو استدل بالدخان فتحرك حتى رأى النار،و رأى صاحب الصوت مباشره.

القرآن هدى للمتقين،فليس فقط يقود الفرد الى الحقيقه،بل و أيضا يجعل الفرد يلامس الحقيقه.

الثالثه:و حين يجد الفرد الحقيقه فان جانبا اساسيا من تطلعه يتحقق و هو عطشه نحو الحقيقه.اما الجانب الثانى فهو السعاده و الفلاح،و بالتالى الاستفاده من نعم الله سبحانه و رحمته،و يلخص القرآن هذه المزايا و هو يتحداهم بالقول:

فَقَدْ جٰاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ البينه كما المعالم فى طريق الحقيقه،و الهدى الوصول الى الحقيقه،و الرحمه هى:

نعم الله.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ صَدَفَ عَنْهٰا أعرف عن آيات الله التى تتضمن تلك المزايا التى فيها تطلع الإنسان الأساسى فى الحياه،كما إذا عطش الفرد و لكنه حين وصل الى الماء كذب بأنه ماء،و اعرض عنه،ان فطره كل واحد منا تتعطش للحقيقه أكثر مما يتعطش الكبد الحار للماء البارد،و ان حاجات كل واحد منا الطبيعيه تتطلب اشباعها و هذا التطلب و ذاك التعطش قد يكون المراد من تعبير القرآن فى بدايه الآيه.

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنّٰا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتٰابُ لَكُنّٰا أَهْدىٰ مِنْهُمْ و لكن كم يكون ظلم الفرد لنفسه كبيرا حين يخالف فطرته و حاجاته لأجل عقده نفسيه،أو استكباره عن الحقيقه،أو مراعاه ظروف اجتماعيه أو ما أشبه؟! سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيٰاتِنٰا سُوءَ الْعَذٰابِ بِمٰا كٰانُوا يَصْدِفُونَ

ص:۲۴۶

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۱۵۸ الى ۱۶۰]

اشاره

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ اَلْمَلائِكَهُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّکَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّکَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّکَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً قُلِ اِنْتَظِرُوا إِنّا مُنْتَظِرُونَ (۱۵۸) إِنَّ اَلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اَللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ (۱۵۹) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَهِ فَلا يُجْزى إِلاّ مِثْلَها وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۱۶۰)

ص:۲۴۷

عقبات فی طریق التوحید

هدی من الآیات:

فی الـدرس السـابق ذکر القرآن،ان الکتاب جاء اسـتجابه لحاجه ملحه،أمّا الآن فیبـدو أن القرآن یبین العقبات التی تعترض طریق الاستجابه للرساله الجدیده،و هی -فی هذا الدرس-ثلاث:

الأولی:التردد و انتظـار شـیء خـارق للعـاده مثـل هبوط الملائکه،أو وجود بعض الآیات،و یعظنا القرآن أن نبادر الی الاسـتجابه للحقیقه.إذ ان انتظار ذلک الیوم الخارق معناه.فوات الفرصه.

الثانیه:هی المعطیات الطائفیه،و القرآن یبین:أن هذا الذی یختلف فی الرساله لیس من الدین فی شیء.

الثالثه:وجود الذنوب المتراکمه،و یقول القرآن:إنّ الحسنه الواحده تنمو و کأنها عشر حسنات،أما السیئه فأن جزاءها واحد فقط.

ص:۲۴۸

بينات من الآيات:

عقبات الايمان بالرساله:

السبب الأول:

[۱۵۸]لقد زود الله البشر بعقل و فطره و معايير قادره على فهم الحقيقه بعد التذكر بها من قبل الله سبحانه،و لكن عليه أن يبادر بالاقدام و تجاوز حاجز التردد و الخوف و الانتظار،ان هذه هى الشجاعه العلميه التى كانت وراء اكتشافات العلماء،و هى الشجاعه الايمانيه التى كانت وراء تضحيات الصالحين،و يتساءل ربنا عن هؤلاء الذين لا يؤمنون.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاٰئِكَهُ هل ينتظرون هبوط الملائكه كأمر خارق حتى يثير فيهم الحماس و يدفعهم نحو الايمان بالله.

أَوْ يَأْتِيَ رَبُّکَ عبر آياته الكبرى،فالله سبحانه لا ينتقل من مكان لمكان لأنه لا يخل منه مكان سبحانه.

أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيٰاتِ رَبِّکَ حيث تتجسد الحقائق.مثل ان يكون النهى عن الإسراف لأنه يؤدى الى شلل الاقتصاد،أو الظلم لأنه يؤدى الى الفساد و الدمار،أو الدكتاتوريه التى تؤدى الى التخلف و العجز أو الثوره أو الأخلاق السيئه فانها تؤدى الى المرض و الفرقه،فلا يطبق الإنسان هذه النصائح بانتظار تلك العواقب التى حذر عنها،و حين تأتى تلك

العواقب فما ذا ینفع قبول تلک التحذیرات.

یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ لاٰ یَنْفَعُ نَفْساً إِیمٰانُهٰا لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمٰانِهٰا خَیْراً ان لم یصدق المریض قول الدکتور و هو یحذره من سوء حالته بسبب الارهاق، و انتظر الارهاق ذاته فما ذا ینفعه؟!أو صدقه و لکنه لم یفعل بنصیحته؟! کذلک حین ینظر الفرد فلا یؤمن حتی تبدو آثار کفره،فهناک یؤمن فما ینفعه الایمان.

قُلِ انْتَظِرُوا إِنّٰا مُنْتَظِرُونَ نحن ننتظر و نحن مؤمنون،اما أنتم فتنظرون علی کفرکم،و الزمن یعمل لصالحنا دونکم.

الإنسان یجب أن یتوکل علی الله،و یثّق نعمه علیه،فیتحرک بکل قوه نحو ما یهتدی الیه دون ان ینتظر شیئا.

السبب الثانی:

[۱۵۹]و النظر الی الدین باعتباره ماده للعصبیات العرقیه و القومیه،أو الجدلیات الفارغه أحد أسباب الخطأ فی فهم الدین،و بالتالی فی الایمان به و القرآن یصرّح بأنه لیس ذاک الدین الذی یتخذ ماده للخلاف هو دین الله.

إِنَّ الَّذِینَ فَرَّقُوا دِینَهُمْ وَ کٰانُوا شِیَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِی شَیْءٍ و الله هو الحاکم فی عباده،و کثیر من الخلافات المذهبیه لا یمکن أن تحلها

الجدليات،بل يجب أن تتحوّل الى يوم القيامه و الى الله و المستقبل.

إِنَّمٰا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّٰهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَفْعَلُونَ

السبب الثالث:

[۱۶۰]يشجع القرآن البشر الى المبادره نحو الايمان بالله سبحانه،فيعدهم بأن يجازيهم بالحسنه عشر أمثالها.بينما لا يجازيهم بالسيئه الا مثلها.

مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّيِّئَهِ فَلاٰ يُجْزىٰ إِلاّٰ مِثْلَهٰا وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ و لكن كم يكون الظلم للنفس كبيرا حتى يرد على ربه هذه النعمه الكبيره فلا يعمل بتلك الحسنه التى تحتوى عشر أمثالها.

ص:۲۵۱

[سوره الأنعام (۶): الآيات ۱۶۱ الى ۱۶۵]

اشاره

قُلْ إِنَّنِی هَدانِی رَبِّی إِلیٰ صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ دِیناً قِیَماً مِلَّهَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ مٰا کٰانَ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (۱۶۱) قُلْ إِنَّ صَلاٰتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْیٰایَ وَ مَمٰاتِی لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۱۶۲) لاٰ شَرِیکَ لَهُ وَ بِذٰلِکَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ اَلْمُسْلِمِینَ (۱۶۳) قُلْ أَ غَیْرَ اَللّٰهِ أَبْغِی رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ کُلِّ شَیْءٍ وَ لاٰ تَکْسِبُ کُلُّ نَفْسٍ إِلاّٰ عَلَیْهٰا وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَهٌ وِزْرَ أُخْریٰ ثُمَّ إِلیٰ رَبِّکُمْ مَرْجِعُکُمْ فَیُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ (۱۶۴) وَ هُوَ اَلَّذِی جَعَلَکُمْ خَلاٰئِفَ اَلْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَکُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰاتٍ لِیَبْلُوَکُمْ فِی مٰا آتٰاکُمْ إِنَّ رَبَّکَ سَرِیعُ اَلْعِقٰابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۶۵)

اللغه

۱۶۱[حنیفا]:مائلا عن الباطل الی الدین الحق.

۱۶۲[و نسکی]:النسک العباده،و رجل ناسک،و منه النسیکه الذبیحه،و المنسک الموضع التی تذبح فیه النسائک،فالنسک کل ما تقرب به الی الله تعالی الاّ أنّ الغالب علیه امر الذبح.

۱۶۴[و لا تزروا]:و لا تحملوا.

[وازره]:نفس حامله.

[وزر]:الوزر الثقل بوزر الجبل و یعبر بذلک عن الإثم کما یعبر عنه بالثقل.

ص:۲۵۲

الركائز الأساسيه لمله التوحيد

هدی من الآيات:

لکی يشجع ربنا عباده علی الايمان بالکتاب.ضرب لهم مثلا- برسوله الذی هداه الی الصراط المستقيم،و الذی يتطلع اليه الجميع،ذلک الدين القويم الذی يمثل جوهر القيم و ذات الاستقامه علی نهج إبراهيم عليه السلام و شريعته و خطه(خط التوحيد و نفی الشرکاء)و يتمثل خط التوحيد عند إبراهيم عليه السلام و فی دين محمد عليهما و آلهما صلوات الله.يتمثل فی توجيه الحياه کلها فی خط التوحيد.سواء کانت الصلاه و النسک(العبادات)أو أمور المعيشه فی الحياه و الممات،و ان ينفی الشرکاء،و أن يسلم لله رب العالمين دون أن يعير انتباها الی سائر الناس و هذا معنی الحنيف،و إذا انحرف البشر عن عباده الله فإلی أين يتجه،هل يستبدل الله الذی هو رب کل شیء بغيره و يکتسب إثما؟!إنه إن يکتسب إثما فانما يکتسبه علی نفسه،و لا يحمل أحدا أثقاله.إذا فالبشر مسئول عن عمله،و غدا سيلاقی جزاء عمله،و يری الحقائق واضحه.

ص:۲۵۴

أما الطبقات الاجتماعيه فلا تـدل على ان الطبقه الأعلى رب صـغير،و على أبناء الطبقه الأدنى اطاعتهم..كلا.انما هذه الطبقات هى من صنع الله،و هدفها اختبار البشر،و هى زائله،و الله سريع العقاب،و لكنه قد يمهل البشر لأنه غفور رحيم.

بينات من الآيات:

مله إبراهيم:

[۱۶۱]من الفوائد الاساسيه لبعث الرسل فى صوره أشـخاص أنهم يصبحون قدوه حيّه للآخرين،و البشر بطبيعته يتأثر بالقدوه أكثر من تـأثره بـالفكره المجرده، و قـد كـان الأنبيـاء عليهم السـلام يـدعون الناس بسـلوكهم المسـتقيم،و أخلاقهم الحسـنه،كما كانوا يدعون بأقوالهم،و لقد دعوا اتباعهم الى مثل ذلك كما

جاء فى الحديث.

(كونوا دعاه لنا بغير ألسـنتكم) و حين يكون الشـخص مسـتقيما فى فكره يكون مستقيما فى سلوكه،و السلوك المستقيم ينعكس ايجابيا فى الفعل،فيصـنع واقعا قائما بذاته،و يؤثر بالطبع ذلك الواقع فى الحياه،و لنضـرب مثلا صـغيرا:إذا أصـبحت مستقيما فما ذا أفعل؟ أولا:لا أكذب و لا أخون الوعد أو العهد أو الامانه،لتزداد ثقه الناس بى، و أصبح قطبا لاهتمامهم،و مركزا لقيادتهم.

ثانيا:تستقيم آرائى و ترشد،فأكون موضعا لاستشاره الناس،و مركزا لقيادتهم.

ثالثا:أكون شجاعا مقداما لا أخشى أحدا،فأكون موكلا للمستضعفين و ملجأ لهم.

ص:۲۵۵

رابعا:أستقيم فی تربیه أبنائی،و تهمیه اموالی،و تهذیب زملائی و..فأکون مثلا للقوّه.

تری کم تخلّف الاستقامه من أثر فی الواقع الخارجی فتخلق تغییرا فیه،هکذا تصبح استقامه الأنبیاء،و من أبرز البینات علی صدق دعوتهم،و کذلک العلماء و المصلحین.

قُلْ إِنَّنِی هَدٰانِی رَبِّی إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ و الاستقامه لیست طبیعیه فی البشر،بل انها بحاجه الی مناهج عملیه متکامله، انک بحاجه الی خریطه واضحه حین ترید المشی فی طرق الغابه،اما طرق الحیاه فهی أکثر تعقیدا من طرق الغابه فأین هی برامج الاستقامه؟انما هی فی الدین القویم.

دِیناً قِیَماً ای دینا علا کلّه استقامه،و الدین القیم لم یکن بدعا فی التاریخ،بل کان خطا اجتماعیا متمثلا فی نهج إبراهیم علیه السلام .

مِلَّهَ إِبْرٰاهِیمَ و إبراهیم علیه السلام کان متحدیا لانحرافات الناس.

حَنِیفاً وَ مٰا کٰانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ عشرات الأفکار رفضها إبراهیم حتی أصبح موحّدا،و مئات الأنواع من الضغوط تحداها حتی تحرر منها و لم یرضخ لوجهتها،و مئات القیود کسرها و حطمها حتی أصبح حرا طلیقا،تحدی قید الاسره فرفض کلام أبیه آزر(عمه)الذی امره بالکفر، تحدی قید المجتمع و قاومه،و تحدی السلطه و استهزء بها،و تحدی حب الأولاد فأراد

ان يذبح ابنه استجابه لأمر الله،و هكذا أصبح حنيفا حرا،و لم يكن مشركا بالله أحدا من خلقه أو شيئا من نعمه.

معنى التوحيد:

[۱۶۲]و من ابرز تجليات الاستقامه فى حياه الرسول وحده و جهته فى أبعاد حياته.

قُلْ إِنَّ صَلاٰتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْیٰایَ وَ مَمٰاتِی لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ فلم تكن صلاته و ذبائحه لغير الله حسب ما كانت عليه الجاهليه،أو صلاته لله عبر عبادته للأصنام.كلا..و لم تكن حياته لقيصر و مماته لله،فاقتصاده و سياسته، و أخلاقه و اجتماعه،و تربيته و بناء بيته،و حتى حركاته و سكناته كلها كانت لله، و باتجاه مرضاته،و لتحقيق قيمه سبحانه،و فى خطّه كما كان مماته لله،فكان يختار الشهاده فى الله إذا دعت الضروره الرساليه ذلك.

[۱۶۳]و عاد القرآن و كرر ان معنى التوحيد هو كسر القيود،و قطع الحبال التى تربط بأى مركز آخر.

لاٰ شَرِیکَ لَهُ وَ بِذٰلِکَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِینَ لقد امر الله نبيه مثلما أمرنا بالّا نركع لاىّ ضغط انّى كان نوعه،و أن نسلم لمناهج الله.

[۱۶۴]و السؤال لماذا التوحيد،و لماذا إخلاص العبوديه لله؟ و الجواب أولا:لان الله هو رب كل شىء،فعباده الأشياء التى هى خاضعه لسلطه الله دون ربها ليست إلّا غباء.

ص:۲۵۷

قُلْ أَ غَيْرَ اللّهِ أَبْغِی رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ کُلِّ شَیْءٍ و النظام القائم فی الکون انما هو بتـدبیر الله و هو الـذی یجریه،فعلینا ان نخضع لذلک النظام.

ثانیا:ان الارتباط بغیر الله من خلقه لا یرفع عنی وزرا و لا مسئولیه،فلا یمکن ان أغمض عینی و أقلّد آبائی أو مجتمعی،أو الأسماء اللامعه فی الثقـافه،لانـی بهـذه العملیه لا أسـتطیع أن ارفع عن عنقی المسؤولیه،أو أن أضع وزری علی عـاتق من اتبعه.کلا.أنا مسئول،و ذنبی یتبعنی شئت أم أبیت.

وَ لاٰ تَکْسِبُ کُلُّ نَفْسٍ إِلاّٰ عَلَیْهٰا وَ لاٰ تَزِرُ وٰازِرَهٌ وِزْرَ أُخْریٰ ثالثا:الله هو المقیاس الحق لتقییم الفکره السـلیمه عن نقیضتها الباطله،أو لتقییم السلوک السلیم عن المنحرف،و لیس مقیاس الحق و الباطل أکثریه الآراء أو القوه أو الشهره أو القرابه.

ثُمَّ إِلیٰ رَبِّکُمْ مَرْجِعُکُمْ فَیُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ فِیهِ تَخْتَلِفُونَ [۱۶۵]رابعـا:ان الله هو الـذی جعل طائفه من الناس بعـد طائفه،و جیلا بعد جیل،و قرنا بعـد قرن،فلیست أسـبقیّه هؤلاء دلیلا علی أنهم أقرب الی الله زلفی،بل کلهم عنـد ربهم سواء،و لـذا لا یجوز أن یتخذ بعضـهم بعضـا أربابـا،فیعبـد الخلفاء من کان قبلهم.کلا..کما ان الله هو الـذی أنعم علی بعض الناس بنعم أکثر من غیرهم أو بنعم مختلفه عن نعم الآخرین،و هـذا لا یـدل علی أنه سبحانه أقرب الی هؤلاء أو أولئک،بل ان الهدف من ذلک هو مجرد اختبارهم فی النعم،فیمتحن الغنی بثروته و الفقیر بفاقته،و العالم بعلمه،و الجمیل بما لدیه من جمال.

و هکذا ینسف القرآن أصول الشرک من النفوس حیث یحترم الفرد السابقین،

فقد یعبدهم مبالغه فی احترامهم،و قد ینبهر بهم و ینجذب إلیهم فیختار عبادتهم لهذا السبب.

وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَکُمْ خَلاٰئِفَ الْأَرْضِ فبعضکم یخلف بعضا،و یأتی مکانه.

وَ رَفَعَ بَعْضَکُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰاتٍ لِیَبْلُوَکُمْ فِی مٰا آتٰاکُمْ إِنَّ رَبَّکَ سَرِیعُ الْعِقٰابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ و الله سبحانه إذا أراد ان یعاقب أحدا فهو سریع فی عقابه،و لکنه لا یرید أن یعاقب أحدا لأنه یغفر ذنبه أو یؤخره لعله یتوب،من هنا فعلینا ألا نعتمد أبدا علی أن الله لم یعذبنا بشرکنا باحترام آبائنا الی حد الشرک و الطاعه و العباده لهم،أو حب المال و الجمال و السلطه الی درجه الانجذاب إلیهما و عبادتهما،کلا ان الله إذا أراد أن یعاقب فهو سریع لا یعطیک فرصه للفرار.

ص:۲۵۹

سوره الأعراف

اشاره

ص:۲۶۱

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

-۱

روی العیّاشی باسناده عن أبی بصیر،عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال «من قرأ سوره الأعراف فی کل شهر کان یوم القیامه من الذین لا خوف علیهم و لا هم یحزنون،فان قرأها فی کل یوم جمعه کان ممن لا یحاسب یوم القیامه. » ۲-

قال ابو عبد اللّه «اما إنّ فیها ایّا محکمه فلا تدعو قراءتها و تلاوتها،و القیام بها،فانها تشهد یوم القیامه لمن قرأها عند ربه » (۱)

ص:۲۶۳

۱- ۱) مجمع البیان المجلد ۲ ص ۳۹۳

الإطار العام

هـذه السـوره تبحث موضـوع الإنسـان،ففی البـدایه تـبین قصه الخطیئه الاـولی و غریزه حب السـلطه و حب الخلود،و کیف یغوی الشـیطان البشـر فینـدم،و یتعـدی علی حقیقته التی لاـ یسترها الا لباس التقوی،و أن من عوامل الخطیئه التقلیـد و تقـدیس الآباء،و الزعم بان الله یأمر بـذلک،بینما الله لا یأمر بالفحشاء،بل یأمر بالقسط،و التوجه مخلصا الی الله عند کل مسـجد و التزین،و ان یتمتع بالخیرات دون إسراف،و أن من الحرام:الفواحش،و البغی،و الشرک،و التقوّل علی الله بدون علم أو کتاب منیر(۹/۳۳).

و الإنسان یهتدی برسالات السـماء،أما من یکذب و یستکبر،أو یفتری علی الله فانه یعذب عذابا شدیدا،حیث تلعن کل أمه أختها بسـبب الطاعه لها،أما فی الجنه فهناک القلوب الصافیه،و هـذا التقسـیم للناس انما هو بمقیاس الهدایه و الضـلاله، و العلاقه بینهما هی التی تظهر عند الله،حیث یستنجد الکفار بأهل الجنه،

ص:۲۶۵

فیـذکرونهم بأیام صدهم عن سبیل الله فی الدنیا،و بینهما أهل الأعراف من قاده المتقین حیث یعرفونهم جمیعا،و یوبّخون أولئک الذین اتخذوا الدین لهوا و لعبا، و انتظروا نهایه الأمر(۵۲۴).

و علاقه الإنسان بالله هی طلب المزید من رحمته،لأنه رب العالمین،و علاقته بالحیاه و بالناس هی الإصلاح و عدم الإفساد.

و کما أرسل الله الریاح بشـرا بین یـدی رحمته،فکذلک أنزل رسالاته هدی و رحمه،و قصه نوح مع قومه تدل کیف أن رسل الله یریدون هدایه الناس و إنذارهم و رحمتهم بالتالی،و لکنهم یعاندون و یستکبرون فیهلکون (۶۴/۵۳).

و کذلک هود دعا الی التقوی فکذبوه و سفهوه،و لکنه ذکرهم برب العالمین (و صاحب الرحمه المکتمله لهم)،و ذکرهم کیف استخلفهم الله فی الأرض، فتمسکوا بضلاله آبائهم فاستمهلهم الله قلیلا،و بعدئذ قطع الله دابرهم(۷۲/۶۵).

أما صالح رسول الله الی ثمود فقد زود بناقه معجزه،و ذکرهم باستخلافهم، و نعم الرفاه و العماره عندهم،و لکن حاله الاستکبار و استغلال المستضعفین منعتهم من الاهتداء،فعقروا الناقه،و اهلکهم الله(۷۹/۷۳).

و انحرف الإنسان فی قوم لوط بالشـذوذ الجنسـی،فأمطر الله علیهم بعـد نصـیحه نبیهم مطر السوء،أما مدین فقد نصـحهم رسولهم شعیب بترک الفساد الاقتصادی و الإصـلاح،و عـدم الصـد عن سبیل الله الذی اتبعه فریق منهم،و لکن الاسـتکبار منعهم،و دعاهم الی محاوله إخراج شـعیب،و توکل المؤمنون علی اللّه،فأخذت الرجفه الظالمین و أصبحوا حدیثا یروی،و لم یأس علیهم رسولهم الناصح(۹۳/۸۰).

و یأخذ الله کل قوم یرسل إلیهم نبیا بالبأساء و الضراء،و لکنه یبدّلهم بالحسنه

السیئه،ثم إذا لم تنفعهم الحسنه أو السیئه یأخذهم بغته،و ان الایمان و التقوی یفتحا برکات السماء علیهم،و لکن هل یأمن أهل القری بأس الله و مکره؟!ان علیهم ان ینظروا کیف یهلک الله قوما،و یستخلفهم بقوم آخرین(۱۰۰/۹۴).

کذلک جاء موسی بالآیات لملأ فرعون الذین ذکروا بها،و انتهت حیاتهم الفاسده، و ذکرهم موسی بالحق،و طالبهم بتحریر بنی إسرائیل،فطالبوه بآیه فَأَلْقیٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِیَ ثُعْبَانٌ مُبِینٌ ،و أراهم یده البیضاء،و لکنهم رموه بالسحر و اتهموه بتهدید الأمن،و سجنوه،و جمعوا السحره،و أغروهم بالسلطه و المال فسحروا أعین الناس،و لکن عصا موسی ابتلعت سحرهم،فآمن السحره و انقلبوا صاغرین،و عذّب فرعون السحره المؤمنین فصبروا،و طالب الملأ فرعون بعقاب موسی فتوعد فرعون موسی،و لکن قوم موسی استعانوا بالله و صبروا انتظارا لوراثه الأرض،فأخذ الله آل فرعون بالسنین و المصائب،و لکنهم نسبوا الحسنه الی أنفسهم و السیئه الی موسی، و استکبروا عن الایمان و تظاهروا بالایمان عند السیئه،و کفروا عند الحسنه،فانتقم الله منهم فأغرقهم،و أورث الله الأرض الذین کانوا یستضعفون،و دمر فرعون و قومه(۱۳۷/۱۰۱).

و یستمر السیاق القرآنی فی بیان الطرح البشری بین فریقی المهتدین و الضالین الی الآیه(۱۵۶)حیث یحدثنا عن مجمل قصص موسی مع قومه.

و یحدثنا السیاق عن الرساله الجدیده التی جاءت محرره للبشریه من أغلالها النفسیه و الثقافیه و ذلک علی ید النبی الأمیّ المبشر به فی الکتب السابقه،و التی هی رساله جمیع البشر(۱۵۸/۱۵۷).

و یعود السیاق الی امه موسی و أقسامها و اخطائها و منها:عدم تناهیهم عن المنکر فی قصه السبت،و کیف مسخوا قرده،و کیف ترکوا الدین بالرغم من أن

بعضهم ظل متمسكا بالكتاب،و كيف أمرهم الله بأخذ الكتاب بقوه و ذلك بعد ان نتق الجبل فوقهم(١٧١/١٥٩).

و لكن السياق يعود بنا الى العهد الانسانى الاول،حيث أخذ ربنا من بنى آدم عند ما كانوا فى ظهر أبيهم ميثاقا باتباع الهدى،و كيف أن بعضهم يشرك الآن بسبب شرك آبائهم و أن بعضهم ينقض هذا العهد عهد العلم و المعرفه،حيث يخالف ميثاق المعرفه(١٧٦/١٧٢).

لذلك يختار الله اليهود تاره و العرب تاره،حسب ظروف فتره الاختيار،و يبين مدى الجريمه عند من يكذب بالدين،و كيف أن ربنا قد قدّر لهم جهنم مصيرا، لأنهم لم يستفيدوا من مداركهم(١٧٩/١٧٧).

و يبين الله أسماءه الحسنى،و كيف أن طائفه يلحدون فى أسمائه سبحانه، و أنّ اللّه سيستدرج المكذبين و يملى لهم حسب خطه حكيمه لأنهم لم يتفكروا ليعرفوا أن رسولهم ليس بمجنون،و لم يتفكروا ليعرفوا ما فى السموات و الأرض من آثار التدبير و التقدير،و انه عسى قد يكون أجلهم قد اقترب،و أنه ان لم يؤمنوا بهذا الحديث فبأى حديث بعده يؤمنون(١٨٥/١٨٠).

و الله يضل و من يضلله الله فلا هادى له و أن الساعه علمها عند الله،و اما الرسول فلا يملك لنفسه نفعا و لا ضرا(١٨٨/١٨٦).

و يبين السياق:كيف أن الله قدّر حياه البشر،و خلقه بوحدانيه المتعاليه عن الشركاء،و لكن المربين أفسدوا ضميره و أشركوا فيه،بينما الله هو ولى البشر،و ولىّ الصالحين منهم بالذات،بينما الشركاء لا يستطيعون نصر البشر،و الشركاء لا يملكون السمع(١٩٨/١٨٩).

و على الرسول ان يأخذ العفو،و يأمر بالفطره و العقل،و يبتعد عن الجهل،و على البشر أن يتقوى بالله على شيطانه،و ان يتذكر ربه حتى يمسح نفسه آثار مس الشيطان و يبصر الحقائق، و إذا لم يكن الإنسان متقيّا فان الشيطان يمده فى الغىّ و العمه مثلا نرى يطالبون أبدا بآيه لم ينزلها الله دون أن ينتبهوا الى ان الرسول مقيد بالوحى،و ان القرآن بصائر،و على الإنسان نفسه ان يتبصر الحقائق،و ان يستمع الى القرآن،و ان يذكر ربه تضرعا و خفيه،و ان يتجنب الغفله،و لا يستكبر عن عباده ربه،و يسبحه و يسجد له،ذلك هو برنامج بناء الشخصيه المؤمنه و الإنسان المتكامل الذى تتناوله موضوعات سوره الأعراف(۱۹۹/۲۰۶).

ص:۲۶۹

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . المص (۱) کِتٰابٌ أُنْزِلَ إِلَیْکَ فَلاٰ یَکُنْ فِی صَدْرِکَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِکْریٰ لِلْمُؤْمِنِینَ (۲) اِتَّبِعُوا مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ مِنْ رَبِّکُمْ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیٰاءَ قَلِیلاً مٰا تَذَکَّرُونَ (۳) وَ کَمْ مِنْ قَرْیَهٍ أَهْلَکْنٰاهٰا فَجٰاءَهٰا بَأْسُنٰا بَیٰاتاً أَوْ هُمْ قٰائِلُونَ (۴) فَمٰا کٰانَ دَعْوٰاهُمْ إِذْ جٰاءَهُمْ بَأْسُنٰا إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا إِنّٰا کُنّٰا ظٰالِمِینَ (۵) فَلَنَسْئَلَنَّ اَلَّذِینَ أُرْسِلَ إِلَیْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ اَلْمُرْسَلِینَ (۶) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَیْهِمْ بِعِلْمٍ وَ مٰا کُنّٰا غٰائِبِینَ (۷) وَ اَلْوَزْنُ یَوْمَئِذٍ اَلْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِینُهُ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۸) وَ مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِینُهُ فَأُولٰئِکَ اَلَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمٰا کٰانُوا بِآیٰاتِنٰا یَظْلِمُونَ (۹)

هدی من الآیات:

(أ ل م ص)هذا کتاب أنزله الله علی قلب الرسول الذی ینبغی ان یتسع له و لا یضیق به،و لا یتردد فی قبوله و ادائه،و إنذار الناس به حتی یؤمنوا فاذا آمنوا فان الکتاب سیکون ذکری لهم..

و علی الناس اتباع قیم الکتاب،و الذین یجسدون هذا الکتاب،أما غیرهم الذین یتخذون من دونهم أولیاء لا علی أساس القیم فحرام اتباعهم،لأنهم سوف یقودون البشر الی الهلاک،فکم من قریه أهلکها الله فاذا بعذاب الله یأتیها لیلا،أو عند فتره القیلوله صباحا و لم یدعوا شیئا،و انما اعترفوا بذنبهم،و أنهم ظلموا أنفسهم.

و الله سبحانه یحاسب الذین أرسل إلیهم الکتاب،کما یحاسب الذین أرسلهم لتبلیغ الرساله،ثم یبین الله لهم الحقائق لأنه سبحانه کان شاهدا علیها و لم یکن غائبا عنها،ثم بعد الحساب الدقیق یوزن ایمان و اعمال العباد،فمن کانت موازینه ثقیله فانه من أهل الجنه و الفلاح،بعکس ذلک الذی کانت موازینه خفیفه أنه قد

خسر نفسه،و ضيع الفرصه عليها،و السبب أنه حين جاءته الآيات الكريمه لم يستمع إليها حتى يهتدى بها و لا يظلم نفسه..

بينات من الآيات:

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [١] المص هذه هى فواتح السور التى قيل عنها أشياء كثيره قد يكون أغلبها صحيحا، باعتبار القرآن الكريم ذو أبعاد مختلفه،بيد أن من الممكن ان تكون هذه الأحرف رمزا تدل على ذاتها دون اى شيء وراءها،كما سبق و أن تحدثنا عنه فى سورتى البقره و آل عمران،و على هذا الأساس تكون الكلمه التاليه لها خبرا لها.

ربانيه الكتاب:

[٢]و لم يكن القرآن من تأليف محمد(صلّى اللّه عليه و آله)و لا من نبوغه،بل هو كتاب أنزله الله،و أحد أبسط الأدله على ذلك أن صدر الرسول يكاد يضيق به، و لذلك أمر الله رسوله بأن يتسع قلبه الشريف لهذه الرساله.

كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ الرساله بحاجه الى سعه الصدر حتى يتحمل الفرد ثقل الحقائق التى فيها و و حتى يتحمل جهد العمل بها،و صعوبات تبليغها،و سعه الصدر تأتى من الايمان بالغيب،بالمستقبل البعيد،بالآفاق الواسعه،و من التوكل على الله،و الثقه بالقدرات التى أودعها فى كيان البشر،و الامكانيات التى سخرت له،و بالتالى فان سعه الصدر نابعه من الخروج عن زنزانه الذات،و الانطلاق فى رحاب الله من أجل خدمه البشريه جميعا.

زنزانه الحیاه:

ان الشهوات،و الآمال و الطموحات الخاصه،و الجهل بالمستقبل،و الانحسار ضمن اللحظه الحاضره کل تلک جدران معتقل البشر التی تضیق علیه رحاب الکون.

فَمَنْ یُرِدِ اللّٰهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ (۱)و علی من یرید حمل رساله الله ان یتمتع بسعه الصدر بهذا المفهوم الواسع للکلمه،و الهدف من الکتاب هو:إنذار غیر المؤمنین،و تذکره المؤمنین حتی یزدادوا ایمانا.

لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِکْریٰ لِلْمُؤْمِنِینَ [۳]لقد أنزل الله الکتاب لکی لا یتبع الإنسان سوی القیم السماویه، و الذین یجسدون تلک القیم،و لا یخضعون لهذا أو ذاک بای أسماء مخترعه..

اِتَّبِعُوا مٰا أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ مِنْ رَبِّکُمْ وَ لاٰ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیٰاءَ ای لا تترکوا اتباع القرآن باتباع الأولیاء الغرباء..

قَلِیلاً مٰا تَذَکَّرُونَ إذ البشر قلما یستطیع التحرر من جاذبیه الأشیاء و الأشخاص،و التحلیق فی سماء القیم،و إذا تمت هذه الحریه فإنما عن طریق التذکّر بالله و بالیوم الآخر.

ص:۲۷۴

۱- ۱) الأنعام/۱۲۵.

[۴]و حين يتبع الإنسان اولياء من دون الله فأنه هالك،و يأتيه عذاب الله على غفله منه دون ان يستطيع له ردا..

وَ كَمْ مِنْ قَرْيَهٍ أَهْلَكْنٰاهٰا فَجٰاءَهٰا بَأْسُنٰا بَيٰاتاً أَوْ هُمْ قٰائِلُونَ أى ليلا أو فى منتصف النهار حين يستريحون الى نوم القيلوله،أو بتعبير آخر ليلا أو نهارا.

[۵]و لم تكن حجتهم إذ ذاک الا الاعتراف بظلمهم.

فَمٰا كٰانَ دَعْوٰاهُمْ إِذْ جٰاءَهُمْ بَأْسُنٰا إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا إِنّٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ لقد كان ظلمهم بوعى،و بعد إتمام الحجه عليهم،لذلك اعترفوا به حين الهلاک و لم يدّعوا-حتى مجرد الادعاء-بغير ذلك.

[۶]و لم تنته العقوبه بالنسبه لهؤلاء بالهلاک الدنيوى،إذ جاء بعدئذ دور الحساب الأخروى.

فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ اى نسأل المبلغين للرساله كيف بلّغوا و بماذا أجيبوا؟و نسأل الناس لماذا لم يجيبوا بعد إتمام الحجه عليهم؟ [۷]و لكن هذا السؤال ليس عن جهل أو عن غيبه،بل لمجرد المحاسبه،و لكى يعترف الظالمون بجريمتهم،فان الله سوف ينبئهم عن كافه تفاصيل حياتهم بعلم، لان الله لم يكن غائبا حين اكتسابهم للأعمال..

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ مٰا كُنّٰا غٰائِبِينَ

ص:۲۷۵

[٨]و بعد المحاسبه يأتی دور الجزاء العادل،لان ما يوزن به الأعمال حق و دقيق،و ليس فيه أدنی نقص.

وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ لأنهم أصابوا الفلاح المادی و المعنوی بالجنه و الرضوان،و قد انتهت صعوبات الحياه و مخاوفها بحياه رغيده آمنه.

[٩]و لكن الخساره كل الخساره هی أن يكتشف الفرد خفه موازينه،إذ لا يملك البشر سوی فرصه واحده للعمل هی أيام عمله المعدوده فی الدنيا،فاذا خسرها فما ذا يبقی له هناك؟ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ فَأُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمٰا كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يَظْلِمُونَ انهم ظلموا الآيات فلم يسمعوها،و لا عملوا بها،فاذا بهم يخسرون كل ما يملكون.

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۰ الی ۱۸]

اشاره

وَ لَقَدْ مَکَّنّاکُمْ فِی اَلْأَرْضِ وَ جَعَلْنا لَکُمْ فِیها مَعایِشَ قَلِیلاً ما تَشْکُرُونَ (۱۰) وَ لَقَدْ خَلَقْناکُمْ ثُمَّ صَوَّرْناکُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ لَمْ یَکُنْ مِنَ اَلسّاجِدِینَ (۱۱) قالَ ما مَنَعَکَ أَلاّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ قالَ أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ (۱۲) قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما یَکُونُ لَکَ أَنْ تَتَکَبَّرَ فِیها فَاخْرُجْ إِنَّکَ مِنَ اَلصّاغِرِینَ (۱۳) قالَ أَنْظِرْنِی إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ (۱۴) قالَ إِنَّکَ مِنَ اَلْمُنْظَرِینَ (۱۵) قالَ فَبِما أَغْوَیْتَنِی لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَکَ اَلْمُسْتَقِیمَ (۱۶) ثُمَّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَکْثَرَهُمْ شاکِرِینَ (۱۷) قالَ اُخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکُمْ أَجْمَعِینَ (۱۸)

اللغه

۱۳[الصاغرین]:الصاغر الذلیل بصغر القدر،و صاغر إذا رضی بالضیم.

۱۸[مذءوما]:الذم و الذیم أشدّ العیب.

[مدحورا]:الدحر الدفع علی وجه الهوان و الاذلال،یقال دحره إذا دفعه بقوه و قسوه.

ص:۲۷۷

جذور الانحراف فی حیاه البشر

هدی من الآیات:

فی هذا الدرس یبدو ان القرآن الحکیم یذکرنا بالموضوع الاساسی فی هذا السوره حیث تبین طبیعه الإنسان،و أسباب انحرافه،لقد خلق الله الإنسان.و جعل له الأرض مکانا و محلا للرزق،و لکن رد فعله لم یکن الشکر،و لکن لماذا لم یشکر؟ ان هذا یعود الی قصه الخطیئه الاولی،حیث خلق الله آدم و جعله فی أحسن صوره و تقویم(و أعطاه الروح،و العلم،و الاراده)و أمر الملائکه بالسجود له،فلم یسجد إبلیس له لأنه خلق من نار بینما خلق آدم من طین،و هکذا تکبر إبلیس فطرد من السماء و اخرج صاغرا،بید أن إبلیس طلب المهله،فأعطاه الله ما طلب، فاستغل إبلیس مهلته فی إغواء البشر عن الصراط المستقیم،و اقسم انه سیأتیهم من قدامهم و من خلفهم،و من قبل إیمانهم و شمائلهم،لیحرفهم عن الشکر لله،لذلک اخرج ربنا إبلیس کما أخر الذین یتبعونه،و أوعدهم النار،و أن یملأ بهم جهنم جمیعا.

ص:۲۷۹

هکذا کانت جذور الانحراف عند الإنسان،اما المثل الحی لهذا الانحراف فسوف یحدثنا عنه القرآن فی الدرس القادم.

بینات من الآیات:

بین النعمه و الجریمه:

[۱۰]من نعم الله علی الإنسان تمکینه فی الأرض،و تذلیل الأرض و تسخیرها له،و جعل الله فیها معایش البشر،و ما به تستمر حیاتهم.

وَ لَقَدْ مَکَّنّاکُمْ فِی الْأَرْضِ وَ جَعَلْنا لَکُمْ فِیها مَعایِشَ بید ان البشر لا یفکر فی أسباب النعم و عواملها،لذلک لا یشکر عاده من أنعم بها علیه.

قَلِیلاً ما تَشْکُرُونَ [۱۱]من این تنشأ عاده الجریمه؟ فی قصه آدم و إبلیس توضیح لهذا السؤال،لقد خلق الله البشر و صوّر خلقه جوهرا و صوره و هیئه،و ربما المراد من الصوره هی ما أودع الله عند الإنسان من صفات و أخلاق،و من غرائز و فطره،و بالتالی العقل و الاراده کما قال سبحانه:

وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ /۲۹الحجر و قال سبحانه:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ /۱۳۰التین و قال:

فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ /۶۴غافر و بعدئذ امر الله الملائکه بالسجود لآدم،و ربما کان السجود رمزا لکرامه العلم و الاراده عند البشر،و رمزا لتسخیر الحیله له بفضل العلم و الاراده،بید أن الهدف من بیان قصه إبلیس هنا،یختلف عن هدف ذلک فی سوره البقره،حیث کان الهدف هناک-حسب الظاهر-هو:بیان تسخیر الحیاه للإنسان بفضل العلم،أما الهدف منها هنا فهو:بیان واقعه الخطیئه کیف؟و لماذا وقعت؟ وَ لَقَدْ خَلَقْنٰاکُمْ ثُمَّ صَوَّرْنٰاکُمْ ثُمَّ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّٰ إِبْلِیسَ لَمْ یَکُنْ مِنَ السّٰاجِدِینَ

لماذا عصی إبلیس؟

و لقد جاء فی الأحادیث أن التعبیر القرآنی الذی استخدم ضمیر الجمع هنا دلیل علی واقعه الذر،حیث خلق الله البشر جمیعا بصوره(ذر)فی صلب آدم،و لذلک جاءت کلمه(ثم)للدلاله علی الترتیب.

[۱۲]و لکن ما هی الصفه التی کانت فی إبلیس،فمنعته عن السجود بعد ما جاء الأمر الصریح؟ قٰالَ مٰا مَنَعَکَ أَلاّٰ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ استخدم القرآن التعبیر بکلمه(ألاّ)بدل(أن)ربما للاشاره الی ان صفه المنع لم تکن آنیه أو محدوده بهذا العمل،بل کانت مرتبطه بالطاعه علی العموم،أی ما منعک عن الطاعه الا تسجد.

قٰالَ أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نٰارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ

لقد كان جواب إبليس واضحا،لقد كان سبب عصيانه العنصريه،و الزعم بأن عنصره أفضل من عنصر آدم،و عموما هناك مقياسان للإنسان، اما مقياس الذات، و اما مقياس العمل الصالح،فاذا كان مقياس الشخص هو ذاته،فانه سوف لا يقف عند حد في جريمته،لأنه لا يرى شيئا أقدس من ذاته أو أعلى من نفسه،و من هنا فان جذر كل المشاكل البشريه،هو:تقوقع الإنسان في ذاته،و اعتقاده بأن ذاته هي المقياس،و ما الاقليميه،و القوميه،و العشائريه،و كل الحواجز الذاتيه ما هي سوى آثار لهذه العنصريه المقيته.

[۱۳]و لكن مقياس الحق هو:مقياس العمل الصالح،لا فرق بين عامله من يكون؟و من اى عنصر؟لذلك أخرج الله إبليس من جنته.

قٰالَ فَاهْبِطْ مِنْهٰا اى من السماء أو من الجنه،و تدل كلمه الهبوط على الهبوط من مكان أعلى، و من الطبيعي ان يكون هبوط إبليس ليس ماديا فحسب،بل و معنويا أيضا،و لذلك عاد القرآن و استخدم كلمه الإخراج أيضا.

فَمٰا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهٰا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصّٰاغِرِينَ و هكذا كانت الخطيئه الاولى بسبب الاعتماد على العنصر،و الذي تجسد في صوره التكبر عن الحق،و من ثم كان الجزاء الهوان.

من حقائق الجزاء:

[۱۴]و على الإنسان ان يعرف حقيقه هامه جدا هي:أن الجزاء لا يكون دائما بعد العمل مباشره،بل على العكس حيث يتأخر الجزاء عن العمل،و هذا إبليس قد طلب المهله من ربنا فأعطاه إياها.

قَالَ أَنْظِرْنِی إِلیٰ یَوْمِ یُبْعَثُونَ [۱۵]قَالَ إِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ و أهمیه فهم هـذه الحقیقه تأتی من أن البشـر بسـبب محدودیه الرؤیه،و ضیق الأفق یزعم أنه لا یجازی علی أعماله بمجرد تأخر الجزاء،بل حتی حین یأتیه الجزاء ینسـی أنه جاءه نتیجه عمله،و لـذلک لا یرتـدع بالعقـاب و لا ینـدفع الی الثواب،و انما یسـتفید من الجزاء الـذین یعـدمون المسافه الزمنیه بین العمل و الجزاء،و یتصورون أنفسـهم منـذ لحظه القیـام بالعمـل و کـأنهم فی لحظه الجزاء،فـالزارع الـذی یتصور وقت الحصـاد،و الطـالب الـذی یتخیـل قـاعه الامتحانـات،و الجنـدی الـذی تـتراقص فی مخیلتـه لحظـات الانتصـار،و المـؤمن الـذی یظن أنه ملاـق ربه یکـون عملهم أتقن و أبقی،بینما المجرم الذی ینسی قاعه المحکمه،و الفاجر الذی یکفر بالآخره، و الفاسق الذی یتناسی الموت یکون أجرء علی الله،و أوغل فی الخطیئه.

[۱۶]و الهالـک یسـحب من حـوله الی الهلاـک،کمـا النـاجی یریـد لمن حوله النجـاه مثله،و إبلیس حین أمره الله بالسـجود تکـبر فأخرجه،و هکذا أضمر حقدا مرکزا ضد أبناء آدم الذی بسببه طرد من السماء.

قَالَ فَبِمَا أَغْوَیْتَنِی لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَکَ الْمُسْتَقِیمَ انه یقعـد لنـا،ای یرصـدنا و یمکر بنا،و مکره یتجسـد فی محاوله سـلب نعمه الاستقامه منا.

[۱۷]و یسعی إبلیس بکل وسیله ممکنه لکی یضللنا.

ثُمَّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ

قد تكون هذه الجهات رمزا لاحاطه الشيطان بأبناء آدم من كل مكان،حتى يتحسس البشر بمدى الخطر الذى يهدده،فلا يكون فى الحياه مهملا،فارغ البال، ضعيف العزيمه،بل يكون جديا ذا فعاليه كبيره.

و قد تكون رمزا لأساليب الشيطان،حيث يخدع البشر بالمستقبل القادم من بين يديه حينا،حيث يمنيه غرورا،و يزين له أشياء يعده بها،و قد يضله بتصوير الماضى بطريقه تدفعه الى الأعمال السيئه،أو بسيره الآباء،أو بفلسفه التاريخ أو..بمن حوله من الناس،بأولاده و زملائه،أو بأعدائه و المنافسين له.

المهم:ان يعرف البشر أنه لو لم يتصل بالله سبحانه،و يستعد استعدادا كاملا،لأحاط به مكر الشيطان و اراده و أهلكه،فلا يصبح شاكرا لأنعم الله و جميل فضله.

وَ لاٰ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شٰاكِرِينَ و هذا فى الواقع أسلوب حيث يستخدمه إبليس،حيث يربط النعم بنفسه،أو بالأولياء من دون الله،و الذين هم أدوات له و ليس بالله سبحانه.

[۱۸]و الله أعطى البشر العلم و الاراده،و حذره من الشيطان،و بذلك كلفه مسئوليه الدفاع عن نفسه،ضد هجمات إبليس.

قٰالَ اخْرُجْ مِنْهٰا مَذْؤُماً مَدْحُوراً اى انه بعيد معنويا و ماديا حيث انه يذم و يطرد.

لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ أى بالتأكيد ان من يتبعك من البشر سيكون مكانه جهنم مع إبليس.

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۹ الی ۲۵]

اشاره

وَ یٰا آدَمُ اُسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ اَلْجَنَّهَ فَکُلاٰ مِنْ حَیْثُ شِئْتُمٰا وَ لاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ اَلشَّجَرَهَ فَتَکُونٰا مِنَ اَلظّٰالِمِینَ (۱۹) فَوَسْوَسَ لَهُمَا اَلشَّیْطٰانُ لِیُبْدِیَ لَهُمٰا مٰا وُورِیَ عَنْهُمٰا مِنْ سَوْآتِهِمٰا وَ قٰالَ مٰا نَهٰاکُمٰا رَبُّکُمٰا عَنْ هٰذِهِ اَلشَّجَرَهِ إِلاّٰ أَنْ تَکُونٰا مَلَکَیْنِ أَوْ تَکُونٰا مِنَ اَلْخٰالِدِینَ (۲۰) وَ قٰاسَمَهُمٰا إِنِّی لَکُمٰا لَمِنَ اَلنّٰاصِحِینَ (۲۱) فَدَلاّٰهُمٰا بِغُرُورٍ فَلَمّٰا ذٰاقَا اَلشَّجَرَهَ بَدَتْ لَهُمٰا سَوْآتُهُمٰا وَ طَفِقٰا یَخْصِفٰانِ عَلَیْهِمٰا مِنْ وَرَقِ اَلْجَنَّهِ وَ نٰادٰاهُمٰا رَبُّهُمٰا أَ لَمْ أَنْهَکُمٰا عَنْ تِلْکُمَا اَلشَّجَرَهِ وَ أَقُلْ لَکُمٰا إِنَّ اَلشَّیْطٰانَ لَکُمٰا عَدُوٌّ مُبِینٌ (۲۲) قٰالاٰ رَبَّنٰا ظَلَمْنٰا أَنْفُسَنٰا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنٰا وَ تَرْحَمْنٰا لَنَکُونَنَّ مِنَ اَلْخٰاسِرِینَ (۲۳) قٰالَ اِهْبِطُوا بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَکُمْ فِی اَلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتٰاعٌ إِلیٰ حِینٍ (۲۴) قٰالَ فِیهٰا تَحْیَوْنَ وَ فِیهٰا تَمُوتُونَ وَ مِنْهٰا تُخْرَجُونَ (۲۵)

اللغه

۲۰[لیبـدی]:الإبـداء الإظهار،و هو جعل الشـیء علی صـفه ما یصـح أن یـدرک و ضدّه الإخفاء،و کل شـیء أزیل عنه الساتر فقد أبدی.

[وری]:المواراه جعل الشیء وراء ما یستره و مثله المساتره و ضدها المکاشفه.

[سواتهما]:عوراتها.

ص:۲۸۵

الغرور الشيطانى سبب الهبوط

هدى من الآيات:

كانت قصه إبليس و عنصريته،و تكبره و خروجه من السماء،و وعده أنه سوف يغوى أبناء آدم،و بالتالى كانت قصه الخطيئه الاساسى هى موضوع الدرس السابق، و الآن جاء دور آدم و أبنائه كيف أنهم انخدعوا بإبليس،و كيف ينبغى تجنبه؟ أسكن الله آدم و زوجه الجنه،و سمح لهم بتناول كل الطيبات باستثناء شجره واحده،و التى انما نهيا عنها بسبب حكمه،بيد ان الشيطان وسوس لهما ليظهر ذلك العيب الذى ستره الله،و خدعهما بأن الله لم ينه عن هذه الشجره الا لكى لا يصبحا ملكين خالدين،و بذلك اثار فيهما حب الرئاسه و حب البقاء.

و حلف لهما بأنه ينصحهما،و لكن ذلك كان غرورا،فلما طعما من الشجره ظهرت العورات الخفيه لهما،و إذا بهما يخصفان عليهما من ورق الجنه،و هناك ناداهما الله ربهما،و قال:أو لم أنهكما عن الشجره و حذرتكما من عدو كما الشيطان،و بخلاف الشيطان الذى ازداد تكبرا،فإن آدم و زوجه ندما على عملهما

و اعترفا و قالاـ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ ، و لكن الـذنب كان له أثره السلبى حيث أهبطا و ذريتهما الى الأرض،ليكون بعضهم لبعض عدوا،و لتكون لهم فيها فرصه محدوده.

طبيعه العجز البشرى:

[۱۹]يبدو أن الجنه التى سكن فيها آدم و زوجه مثل حى لنعمه الحياه المرهفه التى يوفرها الله سبحانه للبشر إذا اتبع مناهجه،حيث إن مناهج الله ليست سببا للشقاء،بل سببا للسعاده و الفلاح،و الله لم يحرم الطيبات،بل حرم بعضا مما أوجبته حكمته سبحانه،كما أباح لأبينا آدم و زوجه أكل ما شاء و لكن حرّم عليهما شجره واحده،و التى لو اقتربا منها لأصبحا ظالمين حيث إنها كانت تضرهما.

وَ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّهَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ [۲۰]قبل أن يواجه الإنسان التحديات و الشهوات يزعم أنه قادر على مواجهه الضغوط و المشكلات،و أنه صالح،و لكن الضعف و العجز كامنان فى طبيعه البشر، و يظهر ان فى الامتحان،و على البشر أن يستعد للقيام بعد السقوط،و التوبه بعد الذنب،و ألّا يغتر بنفسه،و لا تأخذه العزه بالإثم.

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما و الوسيله التى استخدمها الشيطان هى الوسوسه،و حسب الظاهر فان الوسوسه هى:التشويش على رؤيه الإنسان و عمله و فطرته،و ذلك عن طريق اثاره الغرائز التى تصبح حاجزا بين العقل و الحقائق.

و استخدم إبليس اسلوبين آخرين:

أولا:تفسير الحقائق و تحويرها تفسيرا باطلا.

ثانيا:الكذب و الحلف عليه،اما التفسير الباطل فحين كذب.

وَ قٰالَ مٰا نَهٰاكُمٰا رَبُّكُمٰا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاّٰ أَنْ تَكُونٰا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونٰا مِنَ الْخٰالِدِينَ

جذر الخطأ:

لقد أثار إبليس صفتين فی آدم موجودتان فی كل أبنائه،أولهما:حب الملك و العزه و الرفعه،و الثانيه:حب الخلود و البقاء و الاستمرار و هاتان الصفتان هما تعبيران عن حب الذات و العنصريه المقيته التی كانت السبب فی إغواء إبليس،بيد أن إبليس أظهر السبب صراحه،و علينا ان نسعی من أجل مراقبه هذه الصفات التی ينفذ من خلالها الشيطان الی قلوبنا و يفسد أعمالنا.

و من الملاحظ ان نقص المواد الغذائيه،أو فقدان المسكن و الملبس و ما أشبه لم يكن سبب معصيه آدم،انما هو حب الخلود و الملك،و هكذا فی أبنائه فلو استطاع البشر مقاومه هذا الحب لتخلص من كثير من المعاصی.

[۲۱]و لم يكتف إبليس بتفسير النص الالهی تفسيرا خاطئا لهما و اثاره الغرائز عندهما،بل كذب عليهما كذبا صريحا و مؤكدا بالقسم.

وَ قٰاسَمَهُمٰا إِنِّی لَكُمٰا لَمِنَ النّٰاصِحِينَ و أصل المقاسمه:ان تكون من طرفين كأيه صيغه أخری من دون المفاعله،بيد أن إبليس قد يكون حلف حلفا مكررا كان يعارض حلف الطرف الآخر.

[۲۲]و كل ذلك التفسير و الكذب و الحلف كان غرورا،ای تركيزا للنظر فی

جانب واحد فقط،و ترک الجوانب الثانیه مهمله،حیث إن أصل الغرور هو الثوب حتی لا یتبین کل جوانبه،و الشیطان ینفذ الی قلب البشر من خلال الغر حیث یسعی الی تأکید جانب واحد فقط من الحقائق و ترک سائر الجوانب.

فَدَلاّٰهُمٰا بِغُرُورٍ و أخیرا طعما شیئا من الشجره،فظهرت لهما عوراتهما فاذا بهذا یری عوره الثانی فاستحیا،فأخذا یجعلان أوراق الشجر علی بعضها عسی ان تصبح علی هیئه اللباس فیواری عوراتهما،و بالطبع فان أبناء آدم حین یتبعون الشیطان تظهر نقائصهم،و ضعف إرادتهم،و قله مقاومتهم للشیطان.

فَلَمّٰا ذٰاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمٰا سَوْآتُهُمٰا وَ طَفِقٰا یَخْصِفٰانِ عَلَیْهِمٰا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ و هنا انتهت مرحله الامتحان،فناداهما ربهما و قال لهما:الم أنهکما عن هذه الشجره،و هکذا یستیقظ الضمیر بعد ارتکاب الجریمه.

وَ نٰادٰاهُمٰا رَبُّهُمٰا أَ لَمْ أَنْهَکُمٰا عَنْ تِلْکُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَکُمٰا إِنَّ الشَّیْطٰانَ لَکُمٰا عَدُوٌّ مُبِینٌ [۲۳]و عاد الرشد الی آدم و زوجه کما یعود الی ابنائه العادیین بعد الجریمه، و هذه من میزات البشر علی إبلیس الذی لم یعترف بالخطیئه،اما التوبه و إصلاح الفاسد من أبرز و أعظم الصفات الحسنه لو استغلت.

قٰالاٰ رَبَّنٰا ظَلَمْنٰا أَنْفُسَنٰا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنٰا وَ تَرْحَمْنٰا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخٰاسِرِینَ [۲۴]و خسر البشر بذلک فرصه البقاء فی الجنه،و هبطوا الی دار الدنیا بسبب حب الخلود و الرفعه،و انتشرت بینهم الخلافات،و الصراعات الاجتماعیه الدائمه

و المقيته و كـل ذلـك وليـد هـذه النفسـيه المـذنبه،و لكن اللّه أنعم عليهم ببعض الاسـتقرار على الأرض،و ببعض المتاع و التمتع المؤقت..

قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ [۲۵]هنا دار الحياه و الممات،و من ثم البعث.

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ

ص:۲۹۱

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۲۶ الی ۳۰]

اشاره

یٰا بَنِی آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنٰا عَلَیْکُمْ لِبٰاساً یُوٰارِی سَوْآتِکُمْ وَ رِیشاً وَ لِبٰاسُ اَلتَّقْویٰ ذٰلِکَ خَیْرٌ ذٰلِکَ مِنْ آیٰاتِ اَللّٰهِ لَعَلَّهُمْ یَذَّکَّرُونَ (۲۶) یٰا بَنِی آدَمَ لاٰ یَفْتِنَنَّکُمُ اَلشَّیْطٰانُ کَمٰا أَخْرَجَ أَبَوَیْکُمْ مِنَ اَلْجَنَّهِ یَنْزِعُ عَنْهُمٰا لِبٰاسَهُمٰا لِیُرِیَهُمٰا سَوْآتِهِمٰا إِنَّهُ یَرٰاکُمْ هُوَ وَ قَبِیلُهُ مِنْ حَیْثُ لاٰ تَرَوْنَهُمْ إِنّٰا جَعَلْنَا اَلشَّیٰاطِینَ أَوْلِیٰاءَ لِلَّذِینَ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۲۷) وَ إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَهً قٰالُوا وَجَدْنٰا عَلَیْهٰا آبٰاءَنٰا وَ اَللّٰهُ أَمَرَنٰا بِهٰا قُلْ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَأْمُرُ بِالْفَحْشٰاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَی اَللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (۲۸) قُلْ أَمَرَ رَبِّی بِالْقِسْطِ وَ أَقِیمُوا وُجُوهَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ وَ اُدْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ اَلدِّینَ کَمٰا بَدَأَکُمْ تَعُودُونَ (۲۹) فَرِیقاً هَدیٰ وَ فَرِیقاً حَقَّ عَلَیْهِمُ اَلضَّلاٰلَهُ إِنَّهُمُ اِتَّخَذُوا اَلشَّیٰاطِینَ أَوْلِیٰاءَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ وَ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (۳۰)

اللغه

۲۷[قبیله]:القبیل الجماعه من قبائل شتی،فاذا کانوا من أب و أم واحد فهم قبیله.

۲۹[بالقسط]:العدل.

كيف يوارى لباس التقوى

اشاره

سوأه الإنسان؟

هدى من الآيات:

كما نزع إبليس لباس أبينا آدم حتى بدت له سوءاته،كذلك يسعى من أجل أن ينزع لباس التقوى منا نحن أبناء آدم،ذلك اللباس الذى يوارى سوءات البشر، و علينا ان نتذكر هذه الحقائق:ان الشيطان أقوى منا فى الخداع،لأنه يرانا دون أن نراه،و لكنه لا يستطيع ان يسيطر الا على الكفار،لان الايمان يقاوم إغراء الشيطان.

أما الكفار فإنهم يخدعون من خلال مجموعه أفكار خرافيه مثل:اتباع الآباء، و الاعتقاد بأنّ كل ما يعمله الآباء فهو دين و مأمور من قبل الله سبحانه،بينما ربنا لا يأمر بالفحشاء،و هؤلاء يقولون ما لا علم لهم به،و انما اتباعا لأهوائهم،و لا يتذكر هؤلاء أن أباهم آدم قد خدعه الشيطان،فكيف بسائر الناس؟! إذ المقياس ليس ما يقوله الآباء،بل ما يأمر به الله سبحانه الذى أمر بالقسط.

بینات من الآیات:

لباس التقوی:

[۲۶]لقـد انزل الله لبنی آدم لباسا یواری عوراته،و أعطاه ریشا و زینه یتجمل بها،بیـد أن لباس التقوی الـذی یواری سوءات البشـر المعنویه خیر له،و علیها لا یکتفی بلباس البدن وحده.

یا بَنِی آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمْ لِباساً یُوارِی سَوْآتِکُمْ و ربما استخدم القرآن کلمه(أنزلنا علیکم)لان البرکات کلها من السماء.

وَ رِیشاً ای زینه و متاعا.

وَ لِباسُ التَّقْوی ذٰلِکَ خَیْرٌ من لباس البدن بالرغم من ضروره الاهتمام بهذا و ذاک معا.

ذٰلِکَ مِنْ آیاتِ اللّهِ ای هذه حجه من حجج الله،و آیه تدل علی عظمه الله،و هذه الحقیقه یجب أن یستوعبها الناس.

لَعَلَّهُمْ یَذَّکَّرُونَ ان معرفه حاجه البدن الی اللباس قد لا تحتاج الی تعمق بقدر فقه حاجه الروح الیه..

ص:۲۹۵

[۲۷]و مره اخرى يذكر الله البشر بأنهم أبناء آدم الذى فتنه الشيطان و أخرجه من الجنه،و عليهم أن يتحذّروا من فتنه الشيطان.

يَا بَنِى آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّهِ و الشيطان كما نزع لباس أبوينا فانه يسعى لينزع عنا لباس التقوى.

يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا و كذلك حين يفتن البشر يرى الواحد سلبياته و ضعفه و عجزه،فيكون أول من يندم و يوبخ نفسه،و الشيطان يملك وسيله ضد البشر هى المكر و الخداع،فاذا تسلح الإنسان باليقظه و الحذر استطاع ان يقاوم كيد الشيطان.

إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ

بين ولايه الله و سلطان الشيطان:

و لكن ليس للشيطان سلطان على البشر،لأن البشر يملك الاراده و العقل و الضمير، و لكن الكفار يفقدون إرادتهم فى مقاومه الشيطان،فيصبح وليهم بسوء اختيارهم.

إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اما المؤمنون فالله وليهم و هم أحرار من قيود الشيطان قال تعالى:

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ /۱۱محمد ان الذى يتبع شهوه الثروه و يخضع لسلطان الطاغوت،و يستسلم لاراده رئيس العشيره،و يخوض مع تيارات المجتمع حيث خاضت،انه يفقد أرادته و يصبح ذره فى مهب الرياح الشيطانيه.

[۲۸]و علامه فقد الاراده،أن هذه الفئه لا تملك حريه التفكير و تتعرض لأسوإ استعمار و استعباد و هو فقدان الاستقلال الفكرى و الثقافى الذى هو مقدمه لسائر أنواع الاستغلال و الاستثمار.

وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا زاعمين أن ذلك يكفى شرعيه للعمل،و أسوء من هذا أنّهم كانوا يزعمون أن أفكار الآباء تمتلك قداسه سماويه.

وَ اللّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ تلك التى يوافقها الفرد بعقله،و كلما يأمر به الآباء أو الأحبار أو السلاطين، و لكن العقل كان يعارضه فهو بعيد عن القداسه و عن الله.

أَ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ [۲۹]العداله فطره كامنه فى البشر و طموح كبير و إذا لم يهو أحد القيام بالقسط بنفسه فلا ريب أنه يحبه للآخرين و يطالبه منهم،و الله لا يمكن أن يأمر بغير القسط، و العالم كله يشهد له بالعداله فى كل شيء.

قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ و أمر الله بالاّ يعبد الا هو،و حتى فى المواضع التى يعبد من دون الله شركاء، يجب رفض الشركاء و عباده الله الواحد القهار.

وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ أنّى كان ميعاد السجود علينا ان نسجد لله لا للشركاء،رمزا لخلوص عبادتنا

ص:۲۹۷

و وحده اتجاهنا،و دعائنا كذلك يجب أن يكون خالصا للّه.

وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فلا يتجزأ الدين ليؤخذ منه جانب العبادات و تترك المعاملات الاقتصاديه،أو القضايا السياسيه أو ما أشبهن،و ليس هناك تمييز بين أبناء آدم حتى يعبد بعضهم بعضا،أو يترك بعضهم جانبا من الدين إرضاء للبعض الآخر.

كَمٰا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ سواسيه كأسنان المشط.

[۳۰]نعم هناك اختلاف واحد بين أبناء آدم يعترف به الإسلام هو:اختلافهم من حيث الايمان و العمل الصالح(أو بتعبير آخر اختلاف الاراده و السلوك).

فَرِيقاً هَدىٰ اى هداهم اللّه فاستجابوا للهدايه.

وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاٰلَةُ و كتبت عليهم الضلاله بسبب توجههم الى غير اللّه.

إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيٰاطِينَ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ حينما يهبط البشر الى هذا الدرك لا يرجى له الشفاء و يصبح ممن حقت عليه الضلاله،حيث يتخذ الشيطان،الذى هو عدو وليا و قائدا له،و يكفر باللّه خالقه و راحمه،و الانكى من ذلك أنه يحسب نفسه مهتديا،و هو فى الضلال البعيد.

ص:۲۹۸

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۳۱ الی ۳۳]

اشاره

یا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِینَتَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ وَ کُلُوا وَ اِشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاٰ یُحِبُّ اَلْمُسْرِفِینَ (۳۱) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَهَ اَللّٰهِ اَلَّتِی أَخْرَجَ لِعِبٰادِهِ وَ اَلطَّیِّبٰاتِ مِنَ اَلرِّزْقِ قُلْ هِیَ لِلَّذِینَ آمَنُوا فِی اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا خٰالِصَهً یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ کَذٰلِکَ نُفَصِّلُ اَلْآیٰاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (۳۲) قُلْ إِنَّمٰا حَرَّمَ رَبِّیَ اَلْفَوٰاحِشَ مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا وَ مٰا بَطَنَ وَ اَلْإِثْمَ وَ اَلْبَغْیَ بِغَیْرِ اَلْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِکُوا بِاللّٰهِ مٰا لَمْ یُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰاناً وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَی اَللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (۳۳)

اللغه

۳۳[البغی]:الاستطاله علی الناس،وحّده طلب الترؤس بالقهر من غیر حقّ.

ص:۲۹۹

تشریعات الرساله تکامل و واقعیه

هدی من الآیات:

فی الـدرس السابق،أمر القرآن بإخلاص الدین لله،و معناه أن تکون وجهه البشـر نحو الله فی کل جوانب الحیاه،و أن تکون برامج الله سائـده علی کل أبعاد الحیاه، و فی هـذا الـدرس یضـرب القرآن لنا مثلا واقعیا حیث یأمرنا بالتزین عند کل مسجد فالمسـجد عباده،و الزینه حیاه کما یأمرنا بالأکل و الشـرب ضمن حدود التقوی،ثم تساءل القرآن عمن حرم زینه الله،و طیبات رزقه التی هی خـالصه للمؤمنین فی یوم القیـامه؟ثم نهی القرآن عن مجموعه شؤون حیـاتیه کـالفواحش و الإثم و البغی فالفواحش و الإثم مثلا للسلوک الشخصی المنهی عنه و البغی مثلا للسلوک الاجتماعی المنهی عنه.

کمـا نهی مره اخری عن الشـرک.الذی من مظـاهره الخضوع للسـلطان الظـالم، و نهی عن القول بغیر علم مثلا لتوجیه القرآن فی الثقافه،هذا هو الدین و خلوصه یعنی الا یتبع الفرد شریعه و منهاجا من غیر الدین.

ص:۳۰۰

بينات من الآيات:

كيف نعرف طبيعه الديانات..؟

[۳۱]بالنظر الی جانب واحد من مذهب أو دين نستطيع ان نعرف طبيعته معرفه تامه،فاذا نظرت الی مسجد المسلمين فانک تستطيع ان تعرف الصيغه التکامليه للإسلام،فالمسجد محل عباده يعرج منه المؤمنون الی الله،و مقام حرب بين الهوی و العقل،و بين الباطل و الحق،و لکنه فی نفس الوقت مکان للتعارف و التعاون و الاجتماع،و کلما يقرب الإفراد الی بعضهم يستحب أو يجب وجوده فی المسجد کالطهاره و النظافه و الزينه،حيث أمر الله بأن يتخذ المؤمنون أفضل زينتهم الی المساجد،حتی يکون مظهر المجتمع جذابا،و يقرب مظاهر الإفراد بعضهم الی بعض.

يٰا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ و کما أنزل اللّه لبنی آدم لباسا و ريشا،و کما أنعم علی أبوينا باللباس کذلک أمر بالاستفاده من نعمه الزينه،و لکن ليس فی التفاخر و لا فی مجالس اللهو،و إنما للتعارف و للتعاون فی المحافل الدينيه و کما ينبغی الانتفاع باللباس کذلک ينبغی أن يستفيد المؤمن من نعم الأکل و الشرب و لکن فی حدود العداله التی تحافظ علی تعادل المجتمع،کما تحافظ علی سلامه الجسد الذی يفسده الإسراف فی الطعام.

وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لاٰ تُسْرِفُوا إن حرمه الإسراف،و ضروره تنظيم الاکل و الشرب مظهر آخر من مظاهر التکامليه فی الإسلام.

إِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

الإسراف قد يكون بتجاوز حدود الشريعه،فالذى يأكل لحم الخنزير،و يشرب الخمره فهو مسرف لا يحبه اللّه،إذ ما دام الحلال واسعا.فلا حاجه الى الحرام،و قد تتجاوز حدود العرف العام فتبنى بيتا بمليون دينار فى الوقت الذى يكفيك نصفه،و قد تشترى سياره بعشره آلاف دينار بينما تكفيك سياره بألفين،و حدود السرف ترتبط بالظروف الاجتماعيه،بل و حتى الظروف الشخصيه،فالفقير الذى لا يملك سوى بضعه دنانير فيصرفها فى شراء العطور،و يهمل عائلته جائعين يعتبر مسرفا،بينما لو فعل الغنى مثل ذلك لم يكن كذلك،و الدول الفقيره التى تقلد الدول الكبرى فى بناء المطارات الضخمه،أو المبانى الرياضيه الكبيره،أو بناء سفارات فخمه تعتبر مسرفه،بينما قد لا يعتبر مثل ذلك إسرافا للدول الغنيه.

هل حرّم اللّه الزينه؟

[۳۲]لم يحرّم الإسلام الزينه على المؤمنين،بل اعتبرها خالصه لهم يوم القيامه، فكيف يحرّمها اللّه على المؤمنين فى الدنيا؟ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبٰادِهِ وَ الطَّيِّبٰاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا خٰالِصَهً يَوْمَ الْقِيٰامَهِ فالزينه مخلوقه للمؤمنين فى الدنيا و لكنها غير خالصه من شوائب المصائب،أما فى الاخره فهى خالصه لهم..

كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بالعلم و المعرفه يعرف المؤمن ان الاستفاده من نعم اللّه لا ينقص الايمان،و إنما ظلم الناس،أو الخضوع للظلم،أو السكوت على ظلم الظالمين هو الحرام و هو الأصعب مسئوليه و واجبا،و من استطاع ان يحقق هذا الواجب،و يؤدى هذه

المسؤوليه فقد اقتحم العقبه و فاز،و لكن من دونها لا ينتفع له التخشن فى المأكل و ترك الزينه.

تحريم الفواحش جوهر الدين:

[۳۳]ركّز القرآن على حرمه الفواحش و البغى و الشرك و هى جوهر الدين و أثقل مسئوليه،و هذه المحرمات الثلاث تتصل بثلاث أبعاد من حياه الفرد هى:

الأول:العلاقات الجنسيه:حيث حرم ربنا الفواحش،و من أبرز مظاهرها الشذوذ الجنسى الذى يهدم الأسره،و يفسد العلاقات الاجتماعيه،و سيئ التربيه و هكذا،و ليست الفواحش الظاهره كالزنا هى المحرمه فقط،بل الباطنه أيضا منهى عنها مثل:مصادقه النساء،و ربما تشمل الفواحش الباطنه تلك الأسباب التى تؤدى إليها مثل الخلاعه،و وضع العقبات أمام الزواج.

قُلْ إِنَّمٰا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوٰاحِشَ مٰا ظَهَرَ مِنْهٰا وَ مٰا بَطَنَ الثانى:السلوكيات الشخصيه التى حرم ربنا فيها الإثم و هو كل حرام مثل شرب الخمر،و أكل لحم الخنزير،و المحرم من اللحوم خصوصا ما لم يذكر اسم اللّه عليه.

الثالث:ظلم الناس و تجاوز حقوقهم سواء كانت الحقوق الماليه كحرمه السرقه، و الرشوه،و الضرائب المجحفه،و الغش،و أخذ المال من دون عمل مناسب.أو كانت حقوقا اجتماعيه مثل حرمه الغيب و التهمه و النميمه و ما الى ذلك،إن كل ذلك ظلم و حرام..

وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ و ربما يكون كلمه(بغير الحق)تفسير للبغى،و أنّ كل تجاوز للحق يعتبر بغيا

و ظلما حراما.

و بعد هذه المحرمات يأتی دور المحرّم الخطير!؟و هو المرتبط بالسياسه حيث يحرم الخضوع لسلطان غير سلطان الله،أو اتباع شخص أو جهاز لم يأذن به اللّه،و بالتالی يحب التمرد علی هذه الانظمه التی تحكم الشعوب بأسماء غير اسم اللّه،أو تدّعی أنها تمثل سلطان اللّه كذبا و زورا و هذا هو الشرك.

وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللّٰهِ فی سلطانه و سيادته القانونيه و السياسيه.

مٰا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطٰاناً فاذا أنزل اللّه سلطانا بجواز اتباع أحد عبر ادله عقليه واضحه لا يرتاب فيها الشخص،آنئذ فقط يجوز أن يخضع الفرد له و ذلك الشخص مثل الرسول صلی الله عليه و آله و الائمه الهداه عليه السلام ،و العلماء باللّه الأمناء علی حلاله و حرامه.

أما ان يتخذ الفرد شخصا قائده و امامه،أو يتخذ حزبا يقلده و يتبع برامجه بصوره عشوائيه،فذلك امر لا يجوز أبدا.

و إذا كانت الولايه للّه،و لمن أنزل اللّه فيه سلطانا يجب ان تكون الثقافه السائده علی هذا المجتمع ثقافه حقّه،لان الثقافه هی الخلفيه الرصينه لهذه الولايه،و ذلك لا يكون إلاّ بعد سكوت الجاهل،و عدم إشاعه الأفكار الباطله،فاذا سكت من لا يعلم بحث الناس عن العلم الصحيح،و وصلوا اليه عبر قنواته السليمه.

وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ أما إذا شاع الافتراء علی اللّه،فقال كل واحد كلاما و نسبه الی اللّه،فان طريق

ص:۳۰۴

الحق يضيع بين طرق الضلال،و كلمه علم واحده تختلط بألف كلمه جهل،و لا سبيل آنئذ للإنسان للوصول الى الحقيقه.

هـذه هی المحرمـات التی لو واجهت الفرد المسـلم أو المجتمع المسـلم فی تنفيـذها لبقی جزء منها غير مطبق،إلاّ من عصـمه اللّه لأنها صـعبه للغايه،أما إذا تجنب الفرد جانبا من الطيبات،و تصور أنه زاهد،أو اعتبر الدين كله مجرد الابتعاد عن بعض اللذائذ،فان ذلك خداع ذاتی لا أكثر.

ص:۳۰۵

[سوره الأعراف (۷): الآيات ۳۴ الی ۳۹]

اشاره

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (۳۴) يا بَنِي آدَمَ إِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي فَمَنِ اِتَّقى وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۳۵) وَ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اِسْتَكْبَرُوا عَنْها أُولئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۳۶) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَرى عَلَى اَللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ اَلْكِتابِ حَتّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنّا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ (۳۷) قالَ اُدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ فِي اَلنّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتّى إِذَا اِدّارَكُوا فِيها جَمِيعاً قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ اَلنّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ (۳۸) وَ قالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا اَلْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (۳۹)

عاقبه الذين يفترون

اشاره

على اللّه الكذب

هدى من الآيات:

بيانا و توضيحا للدروس السابقه،جاء هذا الدرس ليذكرنا بأن حياه البشر محدوده بأجله،و أن اجله لا يتأخر و لا يتقدم،فليس بامكانه أن يطلب المهله و لو لوقت قصير،و أن الفرصه الوحيده هى الحاضر،حيث جاءت الرسل تقص آيات اللّه،فعلينا أن نتقى اللّه،و نصلح العمل حتى لا تضرّنا العاقبه،بينما التكذيب بآيات اللّه،و الاستكبار عنها ينتهى بالنار الخالده،و لكن لماذا التكذيب؟أو ليس ذلك ظلما يظلم به البشر نفسه و بلا سبب،حيث يكتب عليه القانون ما ينبغى له، و آنئذ لا يجد له ملجأ يلجأ اليه،أما أولئك الشركاء الذين كان يتوعدهم اللّه،فإنهم يغيبون عنه و لا يجد لهم أثرا،و هناك يقول اللّه لهم:ألحقوا بأسلافكم من الكفار، أولئك الذين يستقبلونكم باللعنه،و يقول المتأخرون:يا رب؟عذّب هؤلاء الذين أضلونا عذابا مضاعفا،لأنهم كانوا السبب فى وقوعنا فى العذاب،بيد أن اللّه يقول:

و أنتم بدوركم سينالكم العذاب المضاعف لأنكم فعلتم الذنب،و لأنكم اتبعتم السابقين من دون سلطان،بيد أن للسابقين كلمه أيضا،حيث يقولون للآخرين:

ص:۳۰۸

ماذا انتفعنا باتّباعكم لنا؟!

بينات من الآيات:

بين الأجل و العمل:

[۳۴]ان يعرف البشر أن عقاب أعماله ليست عاجله و لكنها مؤجله لوقت محدد،إن ذاك يعطيه مزيدا من الكبح الذاتی،و ينمی وجدانه الرادع و يربيه، و لكن قد يزعم البشر أنه ما دام العقاب مؤجل فمن الممكن ان نستفيد من تأخير العقاب مره بعد اخری،حتی نتوب أو نعمل صالحا فيرتفع العقاب رأسا،و لكن القرآن يسفه هذا الزعم:بأن لكل أمه أجلا حدده اللّه،و بالرغم من ان هذا الأجل مجهول إلّا أنه معلوم عند اللّه،و إذا بلغ أجله فلن يتبدل،فعلينا إذا انتظار ذلك الأجل فی كل لحظه،و لا مفر منه و لا تأخير فيه،و ليس لدينا قدره علی مقاومته إلا بالعمل الصالح الذی يجعل الأجل فی صالحنا.

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ أی وقت تستنفذ الأمه خلاله كل إمكانات التذكر و الايمان.

فَإِذٰا جٰاءَ أَجَلُهُمْ لاٰ يَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَةً وَ لاٰ يَسْتَقْدِمُونَ و كم يكون خطيرا هذا الأجل إذا جاء دون أن يعمل الإنسان صالحا.

[۳۵]و لذلك فعلينا أن نستعد للأجل المحدد الذی لا يتغير،و الاستعداد لا يتم الا بالاستجابه لرسالات اللّه.

يٰا بَنِي آدَمَ إِمّٰا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيٰاتِي فعليكم الاستجابه لهذه الرساله،التی تفصّل لكم كل شیء تفصيلا.

فَمَنِ اتَّقیٰ وَ أَصْلَحَ فَلاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ لا خوف علیهم بسبب أعمالهم الصالحه،فهم لا یخشون بلوغ الأجل و نهایه الفرصه،کما الطالب المجد لا یخشی الامتحان،و کما البریء لا یخشی المحاکمه، و هم لا یحزنون علی ماضیهم الذی استغلوه بالعمل الصالح.استعدادا لهذا الیوم، و ربما تکون التقوی هی:الجانب النفسی و الإصلاح هو:الجانب العملی.

[۳۶]بید أن الخوف و الحزن من نصیب الکفار الذین یکذبون بالآیات بعد وضوحها،فهی علائم صریحه علی الحقیقه التی لا یصدّقون بها استکبارا،و استجابه لأهوائهم،و عقدهم النفسیه.

وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا وَ اسْتَکْبَرُوا عَنْهٰا إن جزاء هؤلاء هو الاقتران بالنار،و التلاحم مع عذابها دون أن یجدوا خلاصا.

أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ و خلود هؤلاء فی النار یعتبر الجزاء المناسب لعنادهم الذی لا رجاء فی إصلاحه، و لاستکبارهم الذی جعل قلوبهم فی صندوق حدیدی لا ینفذ إلیه النور و الهواء، بالرغم من قوه ضیاء النور أو زیاده دفع الهواء.

[۳۷]إذا کم یکون ظلم البشر لنفسه کبیرا حین یجعل نفسه فی هذا المأزق الخطیر،و یستکبر عن الحقیقه.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَریٰ عَلَی اللّٰهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِآیٰاتِهِ إن البشر حین یستکبر و یتطاول علی الحقیقه یخدع نفسه و الآخرین بصنع بدیل للحقیقه،فهو من جهه یکفر بالحقیقه و الآیات و العلائم الواضحه التی تدل علیها،

و من جهه ثانيه يخلق لنفسه أفكارا و ينسبها الى اللّه كبديله عن الحقائق،و جزاء هؤلاء هو:أن تلك الحقائق التى كفروا بها ستحيط بهم و تنتقم منهم.

أُولٰئِكَ يَنٰالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتٰابِ إن نصيب المؤمنين العاملين بالكتاب هو تحقق المكتسبات الرساليه الحسنه لهم، أما نصيب الكفار الرافضين للكتاب فهو تحقق العقوبات التى ينذر بها الكتاب..

حَتّٰى إِذٰا جٰاءَتْهُمْ رُسُلُنٰا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قٰالُوا أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أى تلك الأفكار،و أولئك الشركاء الذين كانوا يجسدون تلك الأفكار فى الواقع العملى،أين هم الآن؟و قد كنتم تعتمدون عليهم،و تزعمون بأنهم يشكلون البديل المناسب عن الحقيقه،و عن آيات اللّه! قٰالُوا ضَلُّوا عَنّٰا وَ شَهِدُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كٰانُوا كٰافِرِينَ كافرين بالحقيقه،و بالتالى شهدوا على أنفسهم بأنهم يستحقون العذاب.

حوار التابع و المتبوع:

[٣٨]لأن هؤلاء كانوا مستكبرين،لذلك كانوا يفتخرون بأنسابهم و بعشيرتهم،و بالسابقين من آبائهم و كبرائهم،و حين اجتمعوا فى النار ببعضهم، كان بين التابعين و المتبوعين منهم حوار نافع لنا.

قٰالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِي النّٰارِ كُلَّمٰا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهٰا بالرغم من ان الأمم اللاحقه تعتمد على الأمم السابقه فى الدنيا،لكنها فى

الاخره و لوضوح الحقائق عندهم جميعا يلعن بعضهم بعضا..

حَتّٰى إِذَا ادّٰارَكُوا فِيهٰا جَمِيعاً أى اجتمعوا إلى بعضهم،و أدرك بعضهم بعض.

قٰالَتْ أُخْرٰاهُمْ أى تلك الأمم المتأخر.

لِأُولاٰهُمْ،رَبَّنٰا هٰؤُلاٰءِ أَضَلُّونٰا فَآتِهِمْ عَذٰاباً ضِعْفاً مِنَ النّٰارِ لأنهم أضلوا و سنوا سنه سيئه،فسرنا عليها فهم يستحقون ضعفا من العذاب.

قٰالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ لأولئك بسبب أسبقيتهم بالكفر،لأنهم سنّوا تلك العادات السيئه،و روجوا لتلك الأفكار الباطله،و كل من يدعو الى فكره باطله فله عذاب من يعمل بها.

أما أنتم فعليكم ضعف من العذاب،لأنكم اتبعتّم أولئك من دون سلطان من اللّه أنزل عليكم،فالذى يعمل السيئه بسبب شهواته عليه من العذاب بقدرها،أما من يعملها تقليدا لغيره فعليه بالاضافه الى عذابها عذاب التقليد الباطل،لأنه يحرم شرعا أن تتبع أحدا من دون اللّه،فان اتباعك له شرك و ضلاله بذاته،إنه كفران بنعمه الحريه،و تحطيم لكرامه اللّه عليك.

وَ لٰكِنْ لاٰ تَعْلَمُونَ [۳۹]و السابقون أجابوا أتباعهم بأنهم لم يزيدوهم باتّباعهم شيئا،فما الذى انتفع به فرعون من اتباع ملوك مصر له،و ما الذى انتفع به هتلر من اتباع حكام

لبلاد الإسلاميه له و لأساليبه؟ لا شيء.

وَ قَالَتْ أُولاَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ إن العذاب الذی يذوقه الكفار انما هو بسبب ما اكتسبوه من أعمال،لا بسبب هذا الشخص أو ذاك.

ص:۳۱۳

[سوره الأعراف (٧): الآيات ۴٠ الی ۴٣]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اِسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ اَلسَّمَاءِ وَ لاَ يَدْخُلُونَ اَلْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ اَلْجَمَلُ فِي سَمِّ اَلْخِيَاطِ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلْمُجْرِمِينَ (۴٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي اَلظَّالِمِينَ (۴١) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ اَلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (۴٢) وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ اَلْأَنْهَارُ وَ قَالُوا اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لاَ أَنْ هَدَانَا اَللّٰهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ اَلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۴٣)

اللغه

۴٠[سم]:الثقب.

[الخياط]:الإبره.

۴١[مهاد]:الوطاء الذی يفترش.

[غواش]:الغواش جمع غاشيه و هو كلّ ما يغشاك أی يسترك.

۴٢[غل]:الفعل الحقد الذی ينفذ بلطفه الی صميم القلب،و منه الغلول و هو الوصول بالحيله الی دقيق الخيانه.

ص:٣١۴

عاقبه المكذبين و المستكبرين

هدى من الآيات:

فى الـدرس السابق.ذكّرنا القرآن بسفاهه الاستكبار،و فى هـذا الدرس يبيّن لنا جزاء الاستكبار،الذى هو فى الواقع متصل بطبيعه الاستكبار.

التكذيب بالآيات،و الاستكبار عنها معناه الخلود الى الأرض،و الاعتقال فى السجون الماديه،و لذلك لا يعرج المستكبر فى سماء التقرب الى اللّه،و لا ـ يحلّق فى أجواء المعرفه و الكمال،و كـأن أبواب السماء مغلقه فى وجهه،أمـا الجنه فى الآـخره فإنهـا مغلقه دونهم و يستحيل عليهم دخولها،كما يستحيل ولوج الجمل بضخامته فى ثقب المخيط.

إن ذلك جزاء المجرمين بسبب جريمتهم التى ارتكبوها،أما منزل هؤلاء فى جهنم فأرضها من نار،و سقفها من لهيب و دخان،و هذا جزاء من يظلم نفسه.

و فى الطرف الثانى:المؤمنون الذين يعملون الصالحات حسب طاقتهم و وسعهم

ص:۳۱۶

یدخلون الجنه و یخلدون فیها.و أبرز نعمه یسبغها اللّه علیهم هی نعمه الراحه النفسیه، و الصفاء بین بعضهم،حیث ینزع اللّه ما فی صدورهم من غلّ و حسد و نفاق،أما النعمه الثانیه فهی:الأنهار التی تجری من تحتهم،و النعمه الثالثه هی:رضاهم و تحقیق طموحاتهم،و شکرهم لربهم و شکر اللّه لهم،حیث ینادیهم بأن الجنه إنما هی میراث اکتسبوه بأعمالهم.

بینات من الآیات:

کیف یخسر المستکبرون

[۴۰] إِنَّ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا وَ اسْتَکْبَرُوا الذین کذبوا بآیات اللّه زاعمین ان التکذیب.یخدم ذواتهم،و یشبع إحساسهم بالعلوّ و العظمه خسروا مرتین:مره حین سدّوا علی أنفسهم بسبب التکذیب أبواب الرحمه،و آفاق العلم،و رحاب الحیاه،إذ أن التکذیب کان معتقلا حصینا سجنوا أنفسهم بین جدرانه الضخمه المرتفعه،و الشرط الأول للاتصال بالحیاه هو معرفتها،و بعد المعرفه یسهل تسخیر الحیاه لأهداف البشر،و الذی لا یعترف بالمعرفه،و یکذب بآیات الحقیقه،بل لا یعترف بأن هناک واقعا علیه أن یوفق نفسه و اعماله حسبه،کیف یتسنی له تسخیر الحیاه؟!من منا یکفر بالحیاه، و یهدم علی نفسه السلالم التی لا بد أن یتسلقها،و الخساره الثانیه انهم یخسرون مکانهم فی الجنه،و یدخلون النار.

ان التعبیر القرآنی یسمو الی منتهی اللطف و الدقه حیث یقول:

لاٰ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوٰابُ السَّمٰاءِ ثم ان البشر یسمو بمعنویاته و بدعائه و بإیمانه و بإرادته و برؤیته البعیده،و کل

ذلک مسلوب ممن یکذب بآیات اللّه،لأنه لا یعترف باللّه و لا یرید الایمان به.

إن أبواب السماء مفتوحه أمام أعمال المؤمنین و دعواتهم،بعکس الکفار.

و یأتی القرآن لیبیّن الخساره الثانیه فیقول:

وَ لاٰ یَدْخُلُونَ الْجَنَّهَ حَتّٰی یَلِجَ الْجَمَلُ فِی سَمِّ الْخِیٰاطِ و لأنه مستحیل أن یدخل الجمل بضخامته فی ثقب المخیط لصغره،فإن دخول الجنه هو الآخر غیر واقع.

وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُجْرِمِینَ فلیس ذلک فقط بسبب کفرهم و استکبارهم،بل و أیضا بسبب إجرامهم العملی،و بقدره اللّه أیضا و قبل کل شیء.

[۴۱]محل هؤلاء النار،حیث یستقرون فی جهنم و فوقهم ظلل من اللهیب و الدخان،تغشاهم و تسترهم.

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهٰادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوٰاشٍ وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الظّٰالِمِینَ بظلمهم و بقدر ذلک الظلم.

و حسبما یبدو لی:إن الجمل الاعتراضیه فی القرآن کالتی سوف تأتی فی الآیه التالیه و هی(لاٰ نُکَلِّفُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا)إنها و الجمل النهائیه مثل آخر الآیتین الأخیرتین و ما أشبه هی إشارات الی الفطره البشریه التی یهدی إلیها العقل، و یذکّر بها الوحی،و تبنی علیها شرائع السماء جمیعا،فالجریمه و الظلم قبیحان و جزاؤهما یجب أن یکون شدیدا،و المستکبر المکذب بآیات اللّه.مجرم ظالم،و هذه

الإشارات تشكل القيم الأساسيه فى القرآن الحكيم.

عاقبه المؤمنين

[۴۲]تلك كانت عاقبه المكذبين الظالمين،فما هى عاقبه المؤمنين الصالحين؟ أولا:هؤلاء لا يكلفون فوق طاقتهم،فليس الايمان أو الواجبات شيئا شاقا حسبما يوهم الشيطان للبشر،بل هو عمل ميسور.

ثانيا:ان مصير الايمان و الصلاح الجنه و الرضوان،و صاحب الايمان و الصلاح هو صاحب الجنه و الرضوان،ذلك حق لا ريب فيه.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ [۴۳]ثالثا:أن الايمان باللّه هو مثل للخروج من معتقل الذات الى رحاب الحقيقه،و من نتائجه الاوليه الواقعيه فى الرؤيه،و أن يرى الشخص نفسه،و يرى الآخرين معه،فلا تضيق نفسه بما أنعم اللّه عليهم،و لا ينافق معهم، و لا يسلب منهم نعم اللّه أو يحب ذلك و يعلم أن فضل اللّه على أىّ أحد يتناسب و طيبه نفسه،و مقدار عمله،و حكم اللّه فى الحياه،فاذا لماذا الحقد و الحسد؟و لماذا الفسق و التزوير و النفاق؟ هذه الصفه تنعكس فى الآخره على شكل مؤانسه و صفاء بين قلوب المؤمنين.

وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ الرضا من نعم اللّه على المؤمنين فى الجنه،فهم كما رضوا فى الدنيا بما قسم اللّه عليهم و أسلموا لربهم،راضون فى الآخره لأنهم رأوا عاقبه عملهم الصالح.

ص:۳۱۹

وَ قٰالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی هَدٰانٰا لِهٰذٰا وَ مٰا کُنّٰا لِنَهْتَدِیَ لَوْ لاٰ أَنْ هَدٰانَا اللّٰهُ إذا فهی نعمه کبری لا یبلغها الفرد بذاته،بل باللّه سبحانه،و من هنا یستوجب المزید من الشکر،و المزید من الحمد و الرضا.

لَقَدْ جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ کانوا یؤمنون بهذا الحق فی الدنیا إیمانا غیبیا،و ها هم یرونه عین الیقین أمامهم، و کما ان المؤمنین یشکرون ربهم،فان اللّه یشکرهم و یشعرهم بأن أعمالهم الصالحه هی التی أوجبت لهم هذا الفضل العظیم،و بهذا یزدادون إحساسا بالرضا و الاعتزاز،إذ فرق بین أن تحصل علی نعمه صدفه أو تخطط لها و تتعب نفسک،فتصل إلیها بجهدک.

وَ نُودُوا أَنْ تِلْکُمُ الْجَنَّهُ العظیمه الواسعه النعم.

أُورِثْتُمُوهٰا بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فأعمالکم الصالحه هی التی جعلتکم تملکون هذه الجنان إرثا حلالا.

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۴۴ الی ۴۷]

اشاره

وَ نادیٰ أَصْحابُ اَلْجَنَّهِ أَصْحابَ اَلنّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّکُمْ حَقًّا قالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَیْنَهُمْ أَنْ لَعْنَهُ اَللّهِ عَلَی اَلظّالِمِینَ (۴۴) اَلَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اَللّهِ وَ یَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ کافِرُونَ (۴۵) وَ بَیْنَهُما حِجابٌ وَ عَلَی اَلْأَعْرافِ رِجالٌ یَعْرِفُونَ کُلاًّ بِسِیماهُمْ وَ نادَوْا أَصْحابَ اَلْجَنَّهِ أَنْ سَلامٌ عَلَیْکُمْ لَمْ یَدْخُلُوها وَ هُمْ یَطْمَعُونَ (۴۶) وَ إِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ اَلنّارِ قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ اَلْقَوْمِ اَلظّالِمِینَ (۴۷)

اللغه

۴۶[الأعراف]:الأمکنه المرتفعه،و العرفاء من الناس أعلاهم منزله،و العریف الشرطی.

ص:۳۲۱

جزاء الظالمين

اشاره

الذين يصدّون عن سبيل اللّه

هدى من الآيات:

فى صوره حوار يجرى مستقبلا بين أصحاب الجنه و أصحاب النار،يجسد القرآن الحكيم حقائق الحاضر،و أبرزها أن ما يقوله اللّه حق،و أن لعنه اللّه على أولئك الذين يظلمون أنفسهم فلا يستجيبون للحق،بل يصدّون الناس عن سبيل الحق،و يحرفون السبيل ليضلوا الناس و هم يكفرون بالآخره.

بين الجنه و النار مرتفع من الأرض أشبه ما يكون بسور يقف عليه أئمه الصلاح، الذين يعرفون المؤمنين و الكافرين بسيماهم،و ينادون أصحاب الجنه و يسلّمون عليهم.و يأذنون لهم بدخول الجنه،و قد استجيبت كل طلباتهم،فلا يطمعون فى شيء آخر.

بينما لا ينظرون إلى أهل النار،إذا صرفت أبصارهم تلقاء جهنم فزعوا من هول جهنم،و خافوا ان يصبحوا من أهل النار من شده فزعهم،و قالوا: رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ .

إن هذا الدرس يتابع فكره الدروس السابقه التى هى تصوير للحقائق،لعل البشر يخرج من قوقعه ذاته إلى رحاب الحقيقه.

بينات من الآيات:

كيف نتذكر الحقيقه

[۴۴]لكى يتغلب البشر على مشكله النسيان فى ذاته،و يتمكن من تذكر الحقائق التى يهتدى إليها بعقله،و يحيط بها علمه،و بالتالى لكى يشاهد بأحاسيسه و ببصيرته الحقائق القادمه،فعليه أن يتسلح بالتصور،و تجسّد الحقائق امامه يقرّب بالخيال واقعيات المستقبل التى لا يعلم بها إلاّ رمزا.

مثلا:الجندى الذى يتدرب فى المعسكر،و الذى يعلم انه سوف يخوض فى المستقبل معركه المصير،و أنه لو تدرب جيدا فسوف يتغلب فيها و إلا فلا.على هذا الجندى أن يتصور أبدا ساحه المعركه،و مدى المكسب فيها عند الانتصار،و مدى الضرر عند خسارتها،و كذلك الباحث فى مكتبه،و العامل فى مصنعه،و المدير فى دائرته،كل أولئك لو فكروا فى مستقبل أعمالهم، و تذكروا ذلك المستقبل إذا لعملوا أفضل و أفضل.

و القرآن الحكيم يصوّر لنا المستقبل فى صوره حوار بين المؤمنين و الكافرين،و هذا الحوار يتم بشكل مناداه فاذا بالقشور السميكه التى تحيط بقلوبنا تتفتت بفعل هذا الصوت المخترق.

وَ نٰادىٰ أَصْحٰابُ الْجَنَّهِ أَصْحٰابَ النّٰارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنٰا مٰا وَعَدَنٰا رَبُّنٰا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مٰا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قٰالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَهُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰالِمِينَ فما دام كلام اللّه حقا،و وعده صدقا،فلما ذا التكذيب به؟!و لماذا الامتناع عن

ص:۳۲۳

الاستجابه له و فيه منافعه؟!إن ذلک ظلم عظیم،و رحمه اللّه تتمثل فی جنته،و توفیقه بعید عن الظالم..

و سوف نتحدث إنشاء اللّه عن المؤذن الذی نتصور أنه هو صاحب الأعراف الآتی ذکره.

ظلم النفس و المجتمع:

[۴۵]الظالم لا یبقی فی حدود ظلمه لنفسه.بل أنه سوف یظلم الناس أیضا، و سوف یدعو الناس الی منهجه الباطل،و یقف عقبه امام توجّه الناس الی اللّه،بل و لا یدع الناس یعملون الخیر.

اَلَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّهِ وَ یَبْغُونَهٰا عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ کٰافِرُونَ [۴۶] وَ بَیْنَهُمٰا حِجٰابٌ و بین أهل الجنه و النار حجاب،و الحجاب فی الآخره تعبیر عن الحجاب فی الدنیا بین المؤمن و الکافر،ذلک هو الفرق بین فریقی المؤمنین و الکافرین، و اختلاف جبهتیهما،حیث إن المؤمن الذی لا یؤمن بهذا الحجاب یشک فی إیمانه.

و بالرغم من اختلاط الناس ببعضهم فی الدنیا فهم فی الآخره مختلفون جدا، و بین الجنه و النار أعراف،و هو مرتفع من الأرض یفصل بین الموقعین؛و یجلس علیه رجال معیّنون أهم میزه فیهم هی:معرفتهم التامه بالناس.

وَ عَلَی الْأَعْرٰافِ رِجٰالٌ یَعْرِفُونَ کُلاًّ بِسِیمٰاهُمْ و یبدو أن هذه الفئه هم القدوات و الأئمه الذین یمیّزون بین الحق و الباطل، و صفات أهلهما،و بالتالی یعرفون کلا منهما،هذه الفئه هم القاده المؤمنین فی

الـدنيا،و فى الآخره قاده الناس جميعا،فهم يميّزون هناك كما فى الـدنيا بين الطائفتين،و هؤلاء يعطون للمؤمنين الاشاره الخضـراء لدخول الجنه.

وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّهِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ و حين يدخل المؤمنون الجنه،تملأ الجنه كل طموحهم و تطلعهم.

لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ [۴۷]و يبقى هؤلاء الائمه متوجهين فى الأكثر إلى أهل الجنه،و إذا توجهت نظراتهم إلى أهل النار مره واحده أفزعتهم النار بما فيها من أنواع العذاب،و طلبوا من ربهم نجاتهم منها.

وَ إِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ النّارِ قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ

ص:٣٢٥

[سوره الأعراف (۷): الآيات ۴۸ الی ۵۳]

اشاره

وَ نادی أَصْحابُ اَلْأَعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ قالُوا ما أَغْنی عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (۴۸) أَ هٰؤُلاءِ اَلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اَللّٰهُ بِرَحْمَةٍ اُدْخُلُوا اَلْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (۴۹) وَ نادی أَصْحابُ اَلنّارِ أَصْحابَ اَلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ اَلْماءِ أَوْ مِمّا رَزَقَكُمُ اَللّٰهُ قالُوا إِنَّ اَللّٰهَ حَرَّمَهُما عَلَی اَلْكافِرِينَ (۵۰) اَلَّذِينَ اِتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً وَ غَرَّتْهُمُ اَلْحَياةُ اَلدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هٰذا وَ ما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (۵۱) وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلی عِلْمٍ هُدیً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۵۲) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِی تَأْوِيلُهُ يَقُولُ اَلَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ اَلَّذِی كُنّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۵۳)

ص:۳۲۶

هکذا ینسی اللّه

اشاره

الذین اتخذوا دینهم لعبا

هدی من الآیات:

فی جو النداء الصارخ و مع الحوار الساخن یذکّرنا السیاق القرآنی بذات الحقائق التی یذهل عنها الناس و هم یصارعون المشاکل الیومیه،أولئک الناس الذین یعتمدون علی العشیره و الحزب و الزملاء.

و لذلک فهم یستکبرون عن الحقائق و لکن عند اللّه لا یغنی کل ذلک عنهم شیئا،و قد یستصغر البشر المؤمنین لقله عددهم و ضعف عدتهم،و یحلفون باللّه أنهم منبوذون عنده،و لکن اللّه یدخل هؤلاء الجنه،و هناک یطفق أولئک المستکبرون المعتمدون علی کثره العدد و العده بالسؤال من المؤمنین أن یعطوهم الفائض من مائهم،و الفتات من نعم اللّه علیهم و لکن هیهات.

إن الکفار الذین حرّموا علی أنفسهم نعمه الدّین،و اتخذوه أداه للتسلیه، و استهانوا به،و انبهروا بعاجل الدنیا.إنهم حرموا علی أنفسهم بذلک نعم الآخره

ص:۳۲۸

أیضا،إن اللّه ینساهم هناک کما نسوا الآخره،و کما أنکروا آیات اللّه الدّاله علی الحقائق.

و اللّه لم یقصّر فی هدایه الناس حتّی یحتجّوا علیه یوم القیامه،بل جاءهم بکتاب مفصّل و مبین فی کافه حقوق الحیاه،خلفیّته العلم و المعرفه،و هدفه التوجیه و الهدایه،و نهایته السعاده و الرحمه،بینما الکفار ینتظرون تطبیق آیات الکتاب عملیا حتی یؤمنوا به،و آنئذ لا ینفع الایمان.

بینات من الآیات:

التصور أجنحه الحقیقه:

[۴۸]فی یوم القیامه حین ینشغل الجمیع بأنفسهم،یتفرغ أصحاب الأعراف و هم أئمه المتقین لمحاسبه الناس و استرجاع ذکریات الماضی.

وَ نٰادیٰ أَصْحٰابُ الْأَعْرٰافِ رِجٰالاً یَعْرِفُونَهُمْ بِسِیمٰاهُمْ أی ملامحهم التی تتأثر بالعذاب،و تمسخ عن الانسانیه الی صور مفزعه.

قٰالُوا مٰا أَغْنیٰ عَنْکُمْ جَمْعُکُمْ أی ما الذی أفادتکم الجماعه التی اعتمدتم علیها،و زعمتم انها ستنفعکم فی أوقات العسر و الشده فأین هم الآن! وَ مٰا کُنْتُمْ تَسْتَکْبِرُونَ أی أین ذلک الغرور الذی جعلکم تستکبرون به،أین القوه و أین الشباب و أین المال و أین الصحه؟و بالتالی أین تلک المادیات الزائفه التی غرّتکم،و جعلتکم تتطاولون علی الحقیقه،و تحسبون أنفسکم فوق الحق،و أعلی من القیم؟!

إننا إذ نتصور ذلک اليوم،و تلک الساعه التی يخاطب أصحاب الأعراف واحدا منا إذا كان مستكبرا- لا سمح اللّه-لنعود و نرتّب أوراقنـا من جديـد،و نتسـاءل عمـا إذا كنا فی ذلک اليوم غير قادرين على التوبه،أو على العوده إلى الحياه للتوبه، فما دمنا نملک فرصـه الحيـاه إذا دعنـا نتـوب الى ربنـا،و نصـلح أنفسـنا و نتقرب الى أصـحاب الأعراف الـذين مثلهـم بيننـا مثـل الأنبيـاء بين أقوامهم،يعرفون ملامح المؤمنين و ملامح الكفار،و يتضـرعون الى اللّه لإصـلاح الناس بعد صلاح أنفسهم، نتقرب إليهم و نستمع الى نصـائحهم الـتى تشـبه نصائح الطـبيب الـذى يكشـف المرض،و يعرف ملامـح المريض لعـل ذلـک يـؤثر فی مصـيرنا،و مره أخرى،أقول:دعنـا نتصور ذلک الموقف الرهيب،فان التصور أجنحه الحقيقه التی تجعلک تلامس الواقع المسـتقبلى،و ترى الغيب البعيد.

[۴۹]و ينظر أصحاب الأعراف الى أهل الجنه،و يسألون أهل النار.

أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ و حلفتم زورا و كذبا،و تماديا فی غروركم و استكباركم.

لا يَنالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَهٍ هذه رحمه اللّه تغمرهم،ثم يخاطبون المؤمنين:

اُدْخُلُوا الْجَنَّهَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ فعلى الإنسـان ألاّ يزعم أن تأكيـده و حلفه يغيّر الحقيقه،بل يفضـحه أكثر فأكثر، فهناک يستبد به الخوف على مستقبله و الحزن على ماضيه.

[۵۰]و يكون مصير الكافر بالحقيقه الاستجداء من المؤمنين،الذين كان إيمانهم

بها سببا لحصولهم على الجنه،و تسخيرهم إياه لنعمه.

وَ نٰادىٰ أَصْحٰابُ النّٰارِ أَصْحٰابَ الْجَنَّهِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنٰا مِنَ الْمٰاءِ أَوْ مِمّٰا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ قٰالُوا إِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَهُمٰا عَلَى الْكٰافِرِينَ

[۵۱]الكافرون لم يتحركوا عبر المنهج المرسوم بل و استهزءوا به أيضا،فبدل أن يزرعوا أحرقوا و بدل أن يبنوا هدموا و بدل أن يسيروا على الطريق أحرقوا معالمه كل ذلك جعلهم يعضون أناملهم حين الحصاد،و يفترشون الأرض و يلتحفون السماء و يضلون الطريق.

الدين منهج حياه:

[۵۲]الدين منهج حياه يهديك الى العمل الصالح فى الدنيا الذى يتجسد فى الآخره نعيما مقيما،إنه أرض خصبه تزرعها و تأخذ نتاجها حين حصادها،و معالم على الدرب تعمل على هداها حتى تبلغ غايتك.

و من الناس من يتخذ الدين لهوا يعمل به دون هدف،أو حتى لعبا يضعه حسب مشتهياته،فانه آنئذ لا ينتفع بالدين،و هو بالتالى لا يحصد نتائجه.

اَلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً أما قياده هؤلاء فهى بيد أهل الدنيا،لأن الدنيا قد استعبدتهم.

وَ غَرَّتْهُمُ الْحَيٰاهُ الدُّنْيٰا إن هؤلاء ينسون مستقبلهم و يختصرون حياتهم فى حدود الحاضر.

فَالْيَوْمَ نَنْسٰاهُمْ كَمٰا نَسُوا لِقٰاءَ يَوْمِهِمْ هٰذٰا

ص:۳۳۱

من ينسى يوم الحصاد ينساه الناس فى ذلك اليوم، لأنه قبلئذ كلما قالوا له:ازرع لم يسمع،و جحد بآيات اللّه.

وَ مٰا كٰانُوا بِآيٰاتِنٰا يَجْحَدُونَ

قيمه العقل:

[۵۳]قيمه العقل الاساسيه انه يرشدك الى الحقائق المستقبليه،و يجعلك تتجنب المشكلات و الصعوبات قبل وقوعها،و الرشيد حقا هو:الذى يتنبأ بالمستقبل،بينما الغبى حقّا هو:الذى لا يعترف إلا بالواقع الحاضر،فاذا قيل:إن هذا الجدار يريد أن ينقض،اتكأ عليه و قال:اننى لم أهدم الجدار،و حين ينهدم الجدار سأقوم عنه، و لكن إذا أنهدم الجدار هل يبقى له اختيار؟كلا..

كذلك المؤمنون و الكفار،أولئك يعقلون المستقبل و يتنبئون به،و يعملون وفق الرشاد الذى يهديهم اليه العقل،بينما هؤلاء ينتظرون وقوع الحقائق و حضورها عندهم،و هذا ما يسميه القرآن بالتأويل،أى عاقبه الأمر و ما يؤول اليه،و بعد التأويل و حضور المستقبل لا ينفع العلم به شيئا،إذ آنئذ حتى الحمار يراه!! هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّٰ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنٰا مِنْ شُفَعٰاءَ فَيَشْفَعُوا لَنٰا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنّٰا نَعْمَلُ إن انتظار الشفيع،أو العوده الى الماضى هو نوع من الغباء أيضا،إذ كيف يبنى اللّه الحكيم الجزاء على أساس عمل الآخرين،و ليس على أساس عمل الشخص ذاته مباشره أو غير مباشره؟!و كيف يعود الماضى؟! إن للإنسان فرصه واحده فقط هى مده عمره،فاذا انقضى أجله،و لم يستفد من الفرصه ضاعت عليه نفسه و الى الأبد.

قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ إن نفسك مقسّمه على ساعات عمرک،فکلما ضیعت ساعه أکل الندم جزء من نفسک.

أما الباطل الذی لا یستمد وجوده و شرعیته من الحق و الواقع،فانه یضل کما السراب فی الصحراء،إن تصوراتک تعتمد علی وجودک فاذا خسرت نفسک فهل تنفع تصوراتک و خیالاتک؟فالسعی مردود،و الجهد خائب،و هذا و ذاک فی ضلال مبین.

وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَفْتَرُونَ

ص:۳۳۳

[سوره الأعراف (۷): الآيات ۵۴ الی ۵۶]

اشاره

إِنَّ رَبَّكُمُ اَللّٰهُ اَلَّذِی خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیّٰامٍ ثُمَّ اِسْتَویٰ عَلَی اَلْعَرْشِ یُغْشِی اَللَّیْلَ اَلنَّهٰارَ یَطْلُبُهُ حَثِیثاً وَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ وَ اَلنُّجُومَ مُسَخَّرٰاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاٰ لَهُ اَلْخَلْقُ وَ اَلْأَمْرُ تَبٰارَكَ اَللّٰهُ رَبُّ اَلْعٰالَمِینَ (۵۴) اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْیَةً إِنَّهُ لاٰ یُحِبُّ اَلْمُعْتَدِینَ (۵۵) وَ لاٰ تُفْسِدُوا فِی اَلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاٰحِهٰا وَ اُدْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اَللّٰهِ قَرِیبٌ مِنَ اَلْمُحْسِنِینَ (۵۶)

اللغه

۵۴[حثیثا]:الحثیث السیر السریع.

۵۵[تضرعا و خفیه]:التضرع التذلل و هو إظهار الذل،و الخفیه الإخفاء.

ص:۳۳۴

بالدعاء

اشاره

يستنزل المحسنون بركات اللّه

هدى من الآيات:

فی الـدروس السابقه تـذكره بمصـير المؤمنين و الكافرين،و حان الآن وقت توجيه القلوب الى اللّه الـذى لو عرفه البشـر لصـلحت سريرته و علانيته،و معرفه اللّه تتم بآياته المنتشره فی السماء و الأرض،فهو الذى أبدع السماوات و الأرض،و كلما توسع العلم فی السـماء أو تعمق فی الأـرض،كلما ازداد معرفه باللّه و بعظمته،لقـد خلق اللّه الخلق فی سـته أيام علامه لقـدرته و سـيطرته التامه و المسـتمره على الخلق،و الدليل على ذلك:ان اللّه يدبر أمور الكون،و هو الذى يجعل الليل يغشـى النهار و يلاحقه باسـتمرار،و هو الـذى يسـخّر الشـمس و القمر و النجـوم فيأمرهـا و يجبرهـا على الطـاعه، ذلـك لأـنه خلق الخلق فی البـدء و أجرى أموره بصـفه مستمره،لذلك فهو واسع المقدره، مبارك تنمو خلائقه و هو رب العالمين.

و على العباد ان يتوجهوا إلى ربهم بالـدعاء و التذلل بروح متواضـعه،ذلك لأن اللّه يحب المتذللين له،و لا يحب المعتدين الذين بسبب تكبرهم على ربهم،و عدم تربيه

أنفسهم بالدعاء يعتدون على الناس.

و بسبب معرفه اللّه،و التذلل له تنمو عند البشر روح الإصلاح،و من دونهما تفسد سريرته و تجنح نحو الإفساد،و اللّه أصلح الكون بخلقه الصالح و بهداه،و إذا التزم الإنسان الدعاء،و خشى غضب اللّه،و طمع فى رحمته كان صالحا و محسنا.

بينات من الآيات:

من هو الرب و ما هو دور الزمن؟

[۵۴]من هو رب البشر الذى يتوكل عليه و يستلهم منه هداه و منهجه؟أنه ليست هذه الأصنام الحجريه،و لا تلك الأصنام البشريه،الذى خلق السماوات و الأرض،و كانت خلقته متدرجه للخلائق،لذلك فهو ربّ يربّى الأشياء كما يربّى الأشخاص.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّهِ أَيّٰامٍ ربما تكون الأيام السته رمزا لسته مراحل مرت بها الخليقه،أو اشاره الى فتره من الزمن ممتده و متدرجه،و بالتالى إشاره الى دخول عنصر الزمن فى ذات الأشياء،أو تكون توجيها الى نقص الأشياء أو تطورها نحو الكمال وفق سنه اللّه سبحانه و بأمره، إلاّ أنّ الفكره التى نستوحيها من الأيام السته فى الخليقه هى:أنها بحاجه الى تربيه اللّه و حسن توجيهه،و الذى ربى الخلائق أحرى به بأن يتّخذ ربا للبشر.

ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ فبعد ان خلق الخلق لم ينته اشرافه على الكون،كما يصنع أحدنا الساعه و يكوّنها فتتحرك من دون أشراف له عليها،كلا..إن ربنا استوى على عرش السلطان و التدبير،و أخذ يجرى تلك السنن التى وضعها فى الخلائق بعلمه و قدرته.

يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهٰارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً فالليل لا يغشى النهار بصوره طبيعيه،بل اللّه هو الذى يجعله يغشى النهار و يلاحقه بإصرار.

وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرٰاتٍ بِأَمْرِهِ ذلك الأمر المتجسد كل يوم و كل ساعه و لحظه.

أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ الخلق الأول و الأمر المتجسد.

تَبٰارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ اللّه مبارك لأن رحمته مستمره و متناميه،و مبارك لأن خلقه فى تكامل،و مبارك لأنه رب العالمين،فهو الذى يعطيه القدره و التطور و الرحمه.

الدعاء مصنع الإنسان:

[۵۵]و لكن أىّ رب ندعو؟اللّه أم الأصنام؟ اُدْعُوا رَبَّكُمْ انه ربكم غير تلك الآيات المخلوقه،و ليكن دعاؤكم من أجل خروجكم من غلظه الأنانيّه الى رقّه الضراعه،و من فقر الاستكبار و ذل المعصيه الى غنى العباده و عزّ الطاعه.

إن الإنسان يولد-كما زبر الحديد-فيحتاج الى صقل،و الدعاء هو:ذلك

المبرد الذی یصـقل النفس الانسانیه،لأن الدعاء یولّد فی القلب إحساسا بالنقص، و ثقه بإمکان التغلب علیه،و الدعاء یعرّف الفرد بمواطن ضـعفه و ضـروره جبرانها، و الدعاء یجعلک واقعیا تعترف بجدواک،لذلک فهو أفضل وسـیله لکبح شـهوه الاعتداء علی الآخرین و البطش بهم.

تَضَـرُّعاً وَ خُفْیَهً التضرع لکی یکون الدعاء واقعیا،و لاصلاح الذات،و لعلاج داء الاستکبار و مرض الفخر و العزه بالإثم،اما الخفیه فلأجل ألا یصبح الدعاء ریاء،و بالتالی تکریسا لمرض التکبر و الفخر.

إِنَّهُ لاٰ یُحِبُّ الْمُعْتَـدِینَ الـذین بسـبب عـدم تضـرعهم للّه و خضوعهم لعظمته یجنحون نحو الاعتداء علی الآخرین،و بدل إصـلاح أنفسـهم بـالطریقه السـلیمه فهم یحـاولن تعـویض نواقصـهم عن طریـق الظلم و اغتصـاب حقـوق الآـخرین،أو یحـاولون تعـویض شعورهم بالنقص بالاستکبار علی هذا أو ذاک.

إِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِیبٌ مِنَ الْمُحْسِنِینَ :

[۵۶]الاحساس بالمحبه للحیاه،و بضروره إصلاحها هو الشعور المنبعث من الخضوع للّه،و الدعاء الیه تضرعا و خفیه، و بالتالی فانه انعکاس ایجابی للایمان بربوبیه اللّه سبحانه،و محاوله تقلید هذه العلاقه(علاقه الربوبیه)فیما یتصل بتعامل البشر مع الحیاه،فکما ان اللّه یرحم العباد،و یخلق الأشـیاء و یسـخرها، و یتسلط علیها من أجل اجراء السنن الاخیره علیها،و من أجل تکمیلها و إنزال برکته علیها،کذلک علیه ان یتقمص صفه الخلق و البناء و الإصلاح لا صفه

الاستهلاك و الهدم و الإفساد.

وَ لاٰ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاٰحِهٰا و السؤال هو:كيف ننمّى فى أنفسنا صفه الإصلاح؟ الجواب:عن طريق دعاء اللّه،و المزيد من التقرب الى اللّه.

وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً خوفا من عذابه و سلب نعمه،و طمعا فى المزيد.

إِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الذين دأبهم ليس فقط إصلاح الحياه،بل إصلاح الناس أيضا،و العطاء من أنفسهم لهم،إن الخوف و الطمع من اللّه يخلق فى البشر صفه الإحسان الى بعضهم أكثر فأكثر.

ص:٣٣٩

[سوره الأعراف (۷): الآيات ۵۷ الی ۶۴]

اشاره

وَ هُوَ اَلَّذِی یُرْسِلُ اَلرِّیٰاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ حَتّٰی إِذٰا أَقَلَّتْ سَحٰاباً ثِقٰالاً سُقْنٰاهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنٰا بِهِ اَلْمٰاءَ فَأَخْرَجْنٰا بِهِ مِنْ کُلِّ اَلثَّمَرٰاتِ کَذٰلِکَ نُخْرِجُ اَلْمَوْتیٰ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ (۵۷) وَ اَلْبَلَدُ اَلطَّیِّبُ یَخْرُجُ نَبٰاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ اَلَّذِی خَبُثَ لاٰ یَخْرُجُ إِلاّٰ نَکِداً کَذٰلِکَ نُصَرِّفُ اَلْآیٰاتِ لِقَوْمٍ یَشْکُرُونَ (۵۸) لَقَدْ أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلیٰ قَوْمِهِ فَقٰالَ یٰا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ مٰا لَکُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَیْرُهُ إِنِّی أَخٰافُ عَلَیْکُمْ عَذٰابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ (۵۹) قٰالَ اَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنّٰا لَنَرٰاکَ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ (۶۰) قٰالَ یٰا قَوْمِ لَیْسَ بِی ضَلاٰلَةٌ وَ لٰکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۶۱) أُبَلِّغُکُمْ رِسٰالاٰتِ رَبِّی وَ أَنْصَحُ لَکُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اَللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (۶۲) أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جٰاءَکُمْ ذِکْرٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَلیٰ رَجُلٍ مِنْکُمْ لِیُنْذِرَکُمْ وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ (۶۳) فَکَذَّبُوهُ فَأَنْجَیْنٰاهُ وَ اَلَّذِینَ مَعَهُ فِی اَلْفُلْکِ وَ أَغْرَقْنَا اَلَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا إِنَّهُمْ کٰانُوا قَوْماً عَمِینَ (۶۴)

اللغه

۵۷[أقلت]:الإقلال حمل الشیء بأسره حتی یقل فی طاقه الحامل له بقوه جسمه.

۵۸[نکدا]:النکد العسیر الممتنع من إعطاء الخیر علی وجه البخل.

ص:۳۴۰

الإنسان بين سنن الطبيعه

اشاره

و بصائر التاريخ

هدى من الآيات:

لكى نفهم علاقه الربوبيه التى تسود بيننا و بين خالقنا، تلك العلاقه التى تعنى ان اللّه يتابع نعمه علينا،و يبارك لنا،و يكمّل حياتنا،لكى نفهم تلك العلاقه و نستفيد منها علميا و عمليا لا بدّ أن نلقى نظره على الطبيعه،و نظره الى التاريخ، فمن الطبيعه نستوحى التطور المادى الذى يباركه اللّه،و فى التاريخ نتبصر آثار التكامل الاجتماعى و المعنوى.

للنظر الى المطر،كيف يرسل اللّه الرياح مبشرات بالربيع و الرخاء،و لتحمل السحاب المليئه بالماء و تساق من قبل اللّه الى بلد ميت،فاذا بالماء يحيى الأرض و يخرج نبات كل شىء،و هكذا كما فى الربيع عند ما يحيى اللّه الأرض و يبعث فيها الحياه،كذلك فى يوم القيامه يخرج اللّه الموتى،و القضيه بحاجه الى تذكر و تفهم.

بيد أن إنزال المطر لا يعنى الحياه،بل يجب أن تكون الأرض مستعده لتقبل

النعمه و الاستجابه لها،فالأرض الطيبه تخرج نباتها بإذن اللّه،أما الأرض الخبيثه فان نباتها يخرج نكدا،كذلك آيات اللّه التى أنزلت على الرسل بحاجه الى أرضيه مناسبه لدى الإنسان حتى يستفيد منها،تلك الارضيه هى أرضيه الشكر و الاستجابه،و إلاّ فلا تنفع و هذا أعظم درس نستفيده،من النظر الى التاريخ،فلقد أرسل اللّه نوحا الى قومه،حيث دعاهم الى عباده اللّه،و حذّرهم من عذابه العظيم، بيد أن قومه اتهموه بالضلاله،فنفى عن نفسه الضلاله و بيّن لهم أنه رسول من ربّ السماوات و الأرض،و أنه جاء لينصحهم لأنه يعرف من دونهم تعاليم السماء، و كيفيّه الاستفاده منها،ثم بيّن لهم أنه لا عجب فى أن يرحم اللّه عباده،لأنه ربّهم الذى ينزل عليهم بركاته دائما،و يزيد لهم التكامل و التطور،و أن رساله اللّه تهدف الاستفاده من الإنذار لكل البشر معنويا بالتقوى،و ماديا بالرحمه.

بيد أن تكذيب الناس لنوح و رسالته سبّب غضب اللّه لهم،لأنهم كانوا قوما عمين عموا عن الحق و ضلوا فأضلوا.

بينات من الآيات:

الاداره الحكيمه و القدره المهيمنه:

[۵۷]القرآن الحكيم يلفت نظر البشر الى الطبيعه الزاخره بالحيويّه و الجيشان، و انطلاقا من الحقائق الظاهره المشهوره يبلغوا الحقائق الغيبيه المعقوله.

الحقيقه المشهوره هى أن الرياح التى تبشر بالمواسم الخيره و تحمل السحاب الثقال،فيسوقها اللّه الى البلد الميت لينزل منها الماء و يخرج به الثمرات،هذه الحقيقه المشهوره تكشف لنا أمرين:

الأول:أن وراء الطبيعه إراده حكيمه تسيرها.

ص:۳۴۳

الثانی:أن تلک القدره المهیمنه علی الکون هی التی تخرج الموتی من الأرض و تبعثهم للحساب.

وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ فالریاح لا تأتی عفویا،بل یرسلها اللّه إرسالا،و الدلیل هو هدفیه الظواهر، فالریاح تهدف البشاره برحمه قادمه،و البشاره هدف لا یمکن تحقیقه عبثا،و من دون خطه حکیمه و فعل منظم.

حَتّی إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ إن کل ذلک یتم بإراده اللّه و حسن تدبیره،و لولا ذلک لم تکن الصدفه قادره علی تحقیق هذه الأهداف،إذ أن الهدف هو البشاره بالرحمه،و إحیاء البلد المیت، و إخراج الثمرات،و لا یمکن تحقیق ذلک بمجرد تحرک السحاب،بل بمجموعه عوامل متفاعله و متزامنه کأن تکون الأرض مستعده،و الطقس مناسبا،و الأمن مستتبا، و أن یکون مقدار المطر کافیا،غیر ناقص و لا زائد عن الحد،و هکذا حتی یحیی الأرض و یخرج النبات،و ذلک یدلّ علی أن هناک هدفا وراء السحاب یجریه اللّه سبحانه بعلمه و قدرته.

و إذا تبصرنا قدره اللّه فی الطبیعه آمنا بأن هذه القدره المطلقه الحکیمه هی التی تخرج الموتی للحساب،فلا تبقی عقبه فی طریق إیماننا بالبعث و النشور.

کَذٰلِکَ نُخْرِجُ الْمَوْتیٰ و لکن لا یمکننا أن نفهم حقائق الکون من دون تذکر و تبصر و ربط للحقائق ببعضها.

ص:۳۴۴

لَعَلَّكَمْ تَذَكَّرُونَ فالتذكر يربط الحقائق،و يستنتج من خلاله المعلومات،و يلقى بالمسؤوليات و الواجبات.

بين البصيره و الاستنباط:

[۵۸]حين يزود الإنسان بسلاح البصيره النافذه و يتذكر يستنبط الحقائق المختلفه،أو بالأحرى الأبعاد المختلفه من الظاهره الواحده،فمن ظاهره السحاب و المطر و إحياء الأرض يتوصل إلى أن نبات الأرض مختلف بالرغم من أن الماء الذى ينزله اللّه على الأرض واحد،مما يدل على أن استجابه الأرض للماء شرط أساسى لحياه الأرض،كذلك استجابه البشر لرساله اللّه شرط لانتفاعه بها.

وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبٰاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِى خَبُثَ لاٰ يَخْرُجُ إِلاّٰ نَكِداً أى عسيرا و بخيلا.

كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ فالذين لا يشكرون النعمه و لا يقدرونها حق قدرها لا ينتفعون بالآيات،كما أن الأرض الخبيثه لا تنتفع بالمواسم الخيره،و فى القصص التاليه عبر كافيه لهذه الحقيقه.

لماذا نوح بالذات؟

[۵۹]لأن اللّه رب العالمين و رب الإنسان الذى يحب للبشريه التكامل و الرقى، فقد أرسل نوحا الى قومه و لم يرسل غيره،لأنه منهم و أثره فى تطورهم أبلغ،و لم يدع نوح قومه الى نفسه بل الى ربهم اللّه الذى لا إله غيره.

لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ [۶۰]أما الملأ الذین کانوا یستثمرون الجماهیر و یتسلطون قهرا علیهم فقد قاوموا رساله اللّه.

قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنّا لَنَراکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ إنهم وقفوا عقبه إمام انتشار نور الهدایه بین الناس،فاتهموا نوحا بالضلاله، و زعموا أنهم یرون ذلک رؤیه ظاهره.

[۶۱]و نفی نوح وجود أیّ نوع من الضلاله عنده،و بیّن لهم انه رسول أرسل إلیهم من قبل الرب الذی ینزل برکاته علی العالمین.

قالَ یا قَوْمِ لَیْسَ بِی ضَلالَهٌ وَ لکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ [۶۲]و ینبغی أن یستجیب الجمیع لنوح لعده أسباب:

أولا:لأنه مبلغ لرسالات الرب،و من الطبیعی أن تکون تلک الرسالات ذات محتوی تکاملی للبشر،لأنها صادره من ربهم الذی یطوّرهم الی الأفضل.

ثانیا:لأنه ناصح یعمل فی سبیل رشدهم.

ثالثا و أخیرا:لأنه أعلم منهم،و علمه مستلهم من اللّه،و یرتبط بتعالیم اللّه و شرائعه.

أُبَلِّغُکُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنْصَحُ لَکُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ [۶۳]و لیس بعیدا أن یبعث اللّه رسولا لعده أسباب هی:

أولا:لان اللّه رب الناس الذی ینزل برکاته المادیه المشهوده علیهم فی کل لحظه.

ثانیا:لأن البشر بحاجه الی تذکره حتی یهتدوا و یکتملوا،و الرب یوفر کلما یحتاج البشر إلیه.

ثالثا:لأن اللّه لا یعذب الناس حتی یبعث سلفا رسولا إلیهم،فینذرهم،و یوفر لهم فرصه التقوی و الحذر من العذاب،و لکی یوفر لهم بالتالی فرصه الرحمه و الرخاء و الحیاه السعیده.

أَ وَ عَجِبْتُمْ و لا عجب مما تقتضیه سنن الحیاه و فطره البشر،و من ذلک..

أَنْ جٰاءَکُمْ ذِکْرٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَلیٰ رَجُلٍ مِنْکُمْ لِیُنْذِرَکُمْ وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ [۶۴]و لکن مع کل ذلک البیان کذب قوم نوح برساله اللّه،و جاءت العاقبه المناسبه للمؤمنین حیث أنجاهم اللّه،و الکافرین أغرقهم اللّه لأنهم لم یستفیدوا من نعمه البصیره.

فَکَذَّبُوهُ فَأَنْجَیْنٰاهُ وَ الَّذِینَ مَعَهُ فِی الْفُلْکِ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا إِنَّهُمْ کٰانُوا قَوْماً عَمِینَ هکذا تتجلی صفه الربوبیه فی قصه نوح و قومه،إن اللّه یبعث رسالته رحمه بالناس و تکمیلا لنواقصهم،بید انهم یرفضون الانتفاع بها،کما الأرض الخبیثه لا تستجیب للسماء حین تبعث إلیها السحاب الثقال.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ۶۵ الی ۷۲]

اشاره

وَ إِلىٰ عٰادٍ أَخٰاهُمْ هُوداً قٰالَ يٰا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَ فَلاٰ تَتَّقُونَ (۶۵) قٰالَ اَلْمَلَأُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنّٰا لَنَرٰاكَ فِي سَفٰاهَةٍ وَ إِنّٰا لَنَظُنُّكَ مِنَ اَلْكٰاذِبِينَ (۶۶) قٰالَ يٰا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفٰاهَةٌ وَ لٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۶۷) أُبَلِّغُكُمْ رِسٰالاٰتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ نٰاصِحٌ أَمِينٌ (۶۸) أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جٰاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ اُذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زٰادَكُمْ فِي اَلْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاٰءَ اَللّٰهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۶۹) قٰالُوا أَ جِئْتَنٰا لِنَعْبُدَ اَللّٰهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ مٰا كٰانَ يَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا فَأْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصّٰادِقِينَ (۷۰) قٰالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ أَ تُجٰادِلُونَنِي فِي أَسْمٰاءٍ سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمْ مٰا نَزَّلَ اَللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ اَلْمُنْتَظِرِينَ (۷۱) فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ اَلَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنّٰا وَ قَطَعْنٰا دٰابِرَ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا وَ مٰا كٰانُوا مُؤْمِنِينَ (۷۲)

اللغه

۶۶[سفاهه]:السفاهه خفه الحلم،و ثوب سفيه إذا كان خفيفا.

۶۹[آلاء]الآلاء النعم.

ص:۳۴۸

۷۱[رجس]:الرجس العذاب.

ص:۳۴۹

الإنسان بين رسالات الرب

اشاره

و الأسماء التافهه

هدى من الآيات:

تتكرر قصه نوح بين هود رسول اللّه و قومه عـاد،حيث أمرهم بتقوى اللّه،و لكنهم اتهموه بالسـفاهه،و كـادوا يكـذّبونه،فنفى هود عن نفسه السـفاهه،و قـال:إنه رسول من اللّه الـذى ينزل بركـاته على العالمين،و بيّن أنّ ذلك لم يكن بعيـدا عن سـنن اللّه، و عن حكمه العقول،إذ ان اللّه أنزل بركاته الماديه على عاد،و جعلهم الوارثين للأرض بعـد قوم نوح و زادهم من نعمه،فكان عليهم أن يعترفوا بنعم اللّه و يتذكروا أن الرب الرحيم الذى أنعم بها عليها هو الذى أرسل رسالته المباركه بواسطته.

لكن عادا كـذبوا هودا و تحـدّوه و نازلوه و اسـتعجلوا العـذاب،بيد أن هودا كان يرى فى تكذيبهم رجسا و غضـبا،لأنهم خضـعوا لمجموعه أصـنام لا رصـيد لها من الواقع،بل هى حروف بلا معانى و بلا سـلطان من اللّه عليها،ثم اسـتجاب هود لتحديهم و طلب منهم الانتظار.

و قد أنجاه اللّه و الذين معه برحمه منه و أنهى مدينه عاد و من بها ممن يكذب بآيات

اللّه لأنهم كفروا باللّه.

و هذا مثل آخر لنعم اللّه التى تتجلّى بها صفه الربوبيه،فلو استجاب لها البشر لانتفع بها،و إلاّ فانها سوف تتبدل الى نقمه عليهم.

بينات من الآيات:

افتراءات الملأ:

[۶۵]أرسل اللّه الى عاد واحدا منهم و هو أخوهم هود الذى دعاهم الى اللّه الذى لا ملجأ لهم إلاّ اليه،و أمرهم أن يحذروا منه و يتقوه.

وَ إِلىٰ عٰادٍ أَخٰاهُمْ هُوداً قٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَ فَلاٰ تَتَّقُونَ [۶۶]و هنا وقف جماعه من قومه يعارضوه،و هؤلاء هم الملأ الذين اختاروا الكفر بوعى و إصرار،و اتهموا هودا بالسفاهه لأنه تحدى حضارتهم،و واجه قوتهم التى كانوا مغرورين بها،زاعمين أن منهجهم فى الحياه منهج سليم،بدليل أنهم قد بلغوا عن طريقه الى هذه الحضاره،و هذه القوه الكبيره،بل إنهم كادوا يتهمونه بالكذب، و الفرق بين السفاهه و الكذب إنما هو فى النيه،فالسفاهه هى الإصرار على الخطأ بنيه صالحه و ذلك لقله العقل،بينما الكذب هو تعمد الخطأ مع العلم به و ذلك للوصول الى هدف باطل،و قوم عاد كانوا يرون فى هود الصلاح و الزهد،لذلك لم يكونوا يجرءون على اتهامه بالكذب لذلك قٰالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنّٰا لَنَرٰاكَ فِي سَفٰاهَةٍ وَ إِنّٰا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكٰاذِبِينَ [۶۷]و حين يصر صاحب الفكره على فكرته برغم تحذير الآخرين له،فانه يدل

على انه عارف بفكرته واع لأبعادها،و لذلك فهو ليس سفيها غير عارف بطبيعه فكرته.

و هود نفى عن نفسه السفاهه،و أصرّ مره اخرى على أنه رسول.

قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَ لٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللّه الـذى اسـتوى على عرش السـماوات و الأرض يـدبر أمورهما،و يكمل خلقهما،إنه هو الذى أرسل هودا إلى عاد ليكمل عليهم نعمه،و يكمل حياتهم.

نزاهه الرسول دليل صدقه:

[۶۸]لم يكن هودا داعيا الى نفسه بل الى ربه،فلم تكن لـديه مصـلحه ذاتيه فى دعوته،و كانت دعوته الى كلّ خير و حق،فلـذلك فهى فى مصلحه الناس و عليهم أن يهرعوا إليها.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاٰتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ و أمانه الإنسان حقيقه ظاهره،لا يمكن أن يفرضـها و يتكلف فى التظاهر بها،بل هى كما سائر الصـفات النفسيه الحسنه و السيئه،تظهر على أفعال الفرد و أقواله،شاء أم أبى،لذلك كان الأنبياء(عليهم السلام)يستدلون بهذه الصفه الموجوده فى أنفسهم على صدق رسالاتهم دون أن يكذبهم أحد،لأنها كانت صفه ظاهره.

[۶۹]و يصدق البشر بالحقائق المألوفه بسهوله،بينما الحقائق التى لا تقع إلاّ عبر فترات متباعده لا يسهل التصديق بها،مثلا:التصديق بالثورات و التحوّلات الاجتماعيه الكبيره ليس بسـهوله و كـذلك التصـديق بموت أحـد عزيز،بالرغم من أن هـذه و تلك حقائق واقعه و سنن فطريه،و من هنا كان أحد العقبات الرئيسيه فى

طريق إيمان الناس برسالات اللّه هى انها لم تكن وقائع مألوفه،فكان الأنبياء يـذكرون الناس بأنها حقائق فطريه يصدق بها وجدان البشر،و هى من السنن التى تقع بين فتره و فتره.

أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جٰاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ و لا عجب فى ذلك لأن الرب الـذى يـدبّر أمور عباده،و ينزّل عليهم بركـاته جـدير بـأن يهـدى الإنسـان،و يـذكره بالحقـائق،ثم ان من رحمه اللّه انّه انزل ذكره على واحـد منهم لأن هـدفه هو إنذارهم،و الإنذار سيكون أبلغ لو كان عن طريق واحد منهم.

و لان قـوم عـاد كـانوا مغروريـن بقـوتهم و بطشـهم،لـذلك ذكّرهـم أخـوهم هـود بـان هـذه القـوه نعمـه مـن اللّه و ليسـت من أنفسـهم،بـدليل أنها كانت قبلئـذ عند قوم نوح فأخذها اللّه منهم و أعطاهم إياها،فالقوه هذه يجب أن تكون مدعاه لقبول الرساله شكرا لنعمه اللّه.

وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زٰادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاٰءَ اللّٰهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الفلاح و السـعاده يأتيان نتيجه معرفه أسباب النعمه،و عوامل الحضاره،و اليقظه فى المحافظه عليها،لتستمر و تزداد،لذلك حين يتذكر البشـر أن النعم من عند اللّه سيكون واعيا لاستمرارها.

مواقف المجتمع المتخلف:

[۷۰]و حيـن أفحم هـود قـومه،و أثـار فيهم دفـائن عقـولهم،و اسـتوضح لهم فطرتهم و وجـدانهم،لم يبـق لهم سـوى الاتكـاء على ماضيهم فقالوا:إننا لا نغير واقعنا و لا نريد لأنفسنا التطور الى الأفضل لأن آباءنا كانوا هكذا،فسوف نبقى نحن الأبناء

على سنه آبائنا،و قال لهم هود:إذا لا رجاء فى إصلاحكم.

قٰالُوا أَ جِئْتَنٰا لِنَعْبُدَ اللّٰهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ مٰا كٰانَ يَعْبُدُ آبٰاؤُنٰا فَأْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ لقد بلغ فيهم الجمود حدّا يستعجلون معه العذاب و لا يرضون بالتغيير،و حالهم حال كل الأمم المتخلفه و المغروره،أنهم يقبلون بالأمر الواقع حتى مع علمهم بفساده و خطورته عليهم،و كلما يدعوهم المصلحون بضروره تغيير الواقع لا يسمعون لقولهم، لتشبّثهم بالواقع القائم و خوفهم من أىّ تغيير.

[۷۱]و قال هود و هو الذى يسعى لهدايتهم بكل وسيله:أن الواقع الذى تعتزون به واقع فاسد،و هو رجس و غضب،رجس فيه كلّ ضلاله و انحراف،و غضب فيه كل سوء و دمار.

قٰالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ و ربما تقدم الرجس لفظيا على الغضب لأنه سابق له واقعيا،حين يبدأ الانحراف،ثم يظهر فى صوره عذاب.

أَ تُجٰادِلُونَنِي فِي أَسْمٰاءٍ سَمَّيْتُمُوهٰا أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمْ تلك القيم الزائفه التى تحجبكم عن رؤيه الحقائق ليست سوى ألفاظ منمّقه و أسماء بلا معانى.

مٰا نَزَّلَ اللّٰهُ بِهٰا مِنْ سُلْطٰانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ [۷۲]و انتهت قصه قوم عاد بنجاه هود و المؤمنين من قومه،و دمار الكفار لأنهم كذبوا بآيات اللّه و معالم الحقيقه،و لأنهم كفروا باللّه و برسالته.

فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنّٰا أیّ برحمه مشهوده و واضحه.

وَ قَطَعْنٰا دٰابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا وَ مٰا كٰانُوا مُؤْمِنِينَ

ص:۳۵۵

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۷۳ الی ۷۹]

اشاره

وَ إِلیٰ ثَمُودَ أَخٰاهُمْ صٰالِحاً قٰالَ یٰا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ مٰا لَکُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَیْرُهُ قَدْ جٰاءَتْکُمْ بَیِّنَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ هٰذِهِ نٰاقَةُ اَللّٰهِ لَکُمْ آیَةً فَذَرُوهٰا تَأْکُلْ فِی أَرْضِ اَللّٰهِ وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَیَأْخُذَکُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۷۳) وَ اُذْکُرُوا إِذْ جَعَلَکُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ عٰادٍ وَ بَوَّأَکُمْ فِی اَلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهٰا قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ اَلْجِبٰالَ بُیُوتاً فَاذْکُرُوا آلاٰءَ اَللّٰهِ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی اَلْأَرْضِ مُفْسِدِینَ (۷۴) قٰالَ اَلْمَلَأُ اَلَّذِینَ اِسْتَکْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِینَ اُسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صٰالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قٰالُوا إِنّٰا بِمٰا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (۷۵) قٰالَ اَلَّذِینَ اِسْتَکْبَرُوا إِنّٰا بِالَّذِی آمَنْتُمْ بِهِ کٰافِرُونَ (۷۶) فَعَقَرُوا اَلنّٰاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قٰالُوا یٰا صٰالِحُ اِئْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا إِنْ کُنْتَ مِنَ اَلْمُرْسَلِینَ (۷۷) فَأَخَذَتْهُمُ اَلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دٰارِهِمْ جٰاثِمِینَ (۷۸) فَتَوَلّٰی عَنْهُمْ وَ قٰالَ یٰا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُکُمْ رِسٰالَةَ رَبِّی وَ نَصَحْتُ لَکُمْ وَ لٰکِنْ لاٰ تُحِبُّونَ اَلنّٰاصِحِینَ (۷۹)

اللغه

۷۴[بوّاکم]:التّبوئه التمکین.

[تعثوا]:العثی الفساد.

ص:۳۵۶

۷۷[عتوّا]:العتو تجاوز الحد فى الفساد.

۷۸[الرجفه]:الرجف الاضطراب يقال رجاف بهم السقف يرجف رجوفا ۲ ذا اضطرب من تحتهم.

[جاثمين]:الجثوم البروك على الركبه.

ص:۳۵۷

اشاره

تبير سلطه المستكبرين

هدى من الآيات:

و باختلاف بسيط فى التفاصيل و لكن ضمن خط رسالى واحد يأتى(صالح) رسول اللّه الى قومه ثمود ليقول لهم: اُعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ .

ثم أوضح لهم أن هذه آيه بينه واضحه،قد جاءتهم من اللّه ربهم الذى لا زالت نعمه تترى عليهم،فهذه ناقه اللّه اتركوها فى أرض اللّه و لا تمسوها بسوء،فان ذلك سوف يسبب لكم العذاب.

ثم بين لهم ان العلاقه التى تربطهم باللّه هى علاقه الربوبيه و العطاء،حيث أورثهم الأرض من بعد قوم عاد حتى تمكنوا فى الأرض و بنوا القصور و البيوت، و أمرهم بأن تكون علاقتهم بالأشياء و الأشخاص علاقه إيجابيه،فلا يسعوا فى سبيل الفساد بل فى طريق الإصلاح و التربيه،بيد أن صالحا كما اخوته فى الرساله لم يجد الاستجابه المطلوبه،حيث وقف المستكبرون عقبه فى طريق انتشار الرساله،و حاولوا تضليل المستضعفين المؤمنين عن الرساله،و عقروا الناقه التى كانت آيه إلهيه،تحدّيا

للرساله و إفسادا فى الأرض.

و جاءت العاقبه حيث زلزلت الأرض من تحتهم فأصبحوا جاثمين فى دورهم، و أنقذ اللّه صالحا الذى لم يذرف الدمع عليهم،لأنه نصحهم نصيحه بليغه فلم يسمعوا له،و هذه قصه جديده لكنها تتكرر كل يوم لتعطينا عبره جديده،لعلنا نهتدى بها الى الحقيقه.

بينات من الآيات:

رسالات اللّه منطلق التحضّر:

[۷۳]يبدو أن ثمودا كما قوم عاد و قوم نوح،بدأت حياتهم الاجتماعيه بفهم سنن اللّه فى الحياه و منها ضروره الإصلاح،و تسخير امكانات الطبيعه من أجل الأهداف النبيله،إلاّ انهم بعد نموّ مدنيّتهم،و تواتر نعم اللّه عليهم فسدوا و أفسدوا، فجاءت رساله اللّه تحذرهم من عاقبه الإفساد،و تذكرهم بأن هذه النعم التى يرونها ليست ذاتيه لهم و لا هى أبديه،و إنما هى آلاء اللّه،كانت عند قوم فأهلكوا بسبب فسادهم و افسادهم و أورثها اللّه لهم،فاذا فسدوا و أفسدوا يهلكم اللّه أيضا،و ربما تكون الناقه التى أخرجها اللّه لثمود من بطن الجبل آيه كبيره،ربما تكون رمزا لتلك النعم،فلو اهتموا بها و لم يمسوها بسوء،و لم يتعرضوا لها بقتل لانتفعوا بها،و لكن عذبهم اللّه.

وَ إِلىٰ ثَمُودَ أَخٰاهُمْ صٰالِحاً قٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جٰاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نٰاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهٰا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللّٰهِ وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ [۷۴] وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ عٰادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِى الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ

ص:۳۵۹

مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ لقد كانت تلك حضارتهم،حيث استقروا فى الأرض من دون خوف من الطبيعه أن تقسو عليهم،و ذلك بسبب توفر وسائل الحياه فى تلك الأرض،حتى كانت لديهم القدره على نحت الجبل ليتخذوا منه بيوتا،أو حتى رفع الأبنيه فوق السهل قصورا،و لكن كانت ثمود تتجه نحو الفساد شأنها شأن الحضارات التى تغتر بمدى قدرتها فتتآكل و تتداعى و تنهار،لذلك وقف رسول اللّه إليهم صالح(عليه السلام)محذرا و قال:

وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ و الفساد ضد الإصلاح،و ليس بين الفساد و الإصلاح عمل آخر و صبغه اخرى، ذلك لان علاقتك بالأشياء قد تكون علاقه التربيه و السعى للتغيير نحو الأفضل،و أن تضيف إليها من نفسك شيئا جديدا كأن تبنى الأرض،و تنشأ الحقل،و تربّى الطفل،و تصنع من الحديد آله مفيده،و هذا كلّه إصلاح،أو تكون علاقتك هى الانتفاع بالأشياء فقط،فتملك البيت دون أن تبنيه أو ترممه،و تأكل من الحقل دون أن تنشأ بديله أو تسقيه،و تترك ابنك لتربيه الشوارع و الأزقه،و تستهلك الآلات و المكائن دون أن تصنع بديلها أو تقوم بصيانتها،و تلك كلها علاقه الفساد، و المجتمعات قد تكون متجهه بصفه عامه نحو الإصلاح و البناء و التصنيع و تغيير الأشياء الى الأفضل،فتكون آنئذ متجهه نحو الحضاره و المدنيه،أو متجهه نحو الاستهلاك و الانتفاع و التغيير نحو الأسوأ،فتهدم حضارتها و تهوى نحو التخلف، و رسالات اللّه تأمرنا بالإصلاح الذى يبنى الحضاره و تسوق الأمه نحو التقدم.

صفات المستكبرين(الملأ):

[۷۵]إن حاله الإسراف و التبذير،و صبغه الفساد و الاستهلاك من دون

الإصلاح و الانتاج لا ـ تنتشر مره واحده فی المجتمع،بل تتجلّی أولا ـ فی الملأ منهم الذین یشکلون طبقه المستکبرین،و ابرز صفاتهم هی:

استهلاک المزید من النعم،و خلق تیار معارض للإصلاح،و لأنهم یریدون أن یأکلوا أکثر مما ینتجون،فإنهم یسرقون انتاج الآخرین بشتی الوسائل و الحیل و یستضعفونهم،و یتسارع المستضعفون نحو الرساله الجدیده التی تبشر المجتمع بالإصلاح و العداله،فیبدأ الصراع المریر بینهم و بین أولئک المستکبرین،و ینتهی الصراع بهلاک المستکبرین و نجاه المستضعفین بإذن اللّه.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ إن المستکبرین یحاولون إفساد الطبیعه و الإنسان معا،فلذلک تراهم یفسدون آراء المستضعفین و یجرونهم نحو التیه و الضلاله لکی یستمروا فی استغلالهم،و استهلاک المزید من انتاجهم،بید ان طائفه من المستضعفین یسارعون الی الایمان،و یقوم الصراع بینهم و بین المستکبرین.

[۷۶]و لذلک تجد المستکبرین یکفرون بالرساله لیس بمجرد أنها رساله،و انما لأنها مبدأ یؤمن به المستضعفون و یتخذون منه أداه لصراعهم ضدهم،و هذا یبدو جلیا من أقوالهم حیث قَالَ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِی آمَنْتُمْ بِهِ کَافِرُونَ المستکبرون یریدون دینا یؤیدهم فی استغلالهم للناس و تسلطهم علیهم،و لا یؤمنون بدین یؤمن به المستضعفون،و یتخذون منه وسیله لنجاتهم،و خشبه خلاص لهم من ظلمهم.

[۷۷]و لکی یتحدی المستکبرون دین المستضعفین،و یجردوهم من تلک الوسیله التی تنقذهم من أیدیهم،عمدوا الی الناقه-رمز الرساله الالهیه عند ثمود- فقتلوها ظنا منهم ان إعدام الناقه یضع حدّا لتحرک المؤمنین،لأنها رمز وحدتهم، و عنوان نشاطهم الاجتماعی،و لکنهم أخطئوا حیث ان عقر الناقه و ما تبعه من أعمال تخریب و إفساد عرضهم لغضب اللّه سبحانه و عجّل فی نهایتهم.

فَعَقَرُوا النّٰاقَهَ و من المعروف ان واحدا منهم فقط هو الذی عقر الناقه،و لکن البقیه رضوا بعمله فکانوا کما لو أن الجمیع اشترکوا فی عقرها.

وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ حیث تجاوزوا الحد فی الفساد برغم أمر اللّه لهم بالإصلاح.

وَ قٰالُوا یٰا صٰالِحُ ائْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا إِنْ کُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ

النهایه الحتم:

[۷۸]و کما نهایه ثمود کذلک نهایه کل الطغاه المستکبرین کلما بالغوا فی الفساد،و انما یفعلون ذلک بعد تنامی حدّه الصراع بینهم و بین أصحاب الرساله إذ أنهم یضطّرون آنئذ الی مقاومه الرساله بالمزید من عملیات التخریب و الفساد، و هکذا أنزل الله علی ثمود العذاب حیث ارتجت بهم الأرض و تزلزلت من تحتهم، و تهدمت مدنیّتهم،و ماتوا و هم جالسون دون ان یمهلوا حتی یمدوا أرجلهم استعدادا للموت.

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دٰارِهِمْ جٰاثِمِینَ [۷۹]إن البشر یهرع لمساعده نظرائه و اخوته،و لکن المستکبرین لم یحزن

ص:۳۶۲

لهلاكهم أحد،و هذا منتهى الخزى و العار الذى قد يلحق بأحد.

فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَ قٰالَ يٰا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسٰالَةَ رَبِّى وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لٰكِنْ لاٰ تُحِبُّونَ النّٰاصِحِينَ إن قصه ثمود عبره لكل واحد منّا كى يبادر لقبول النصح،و يتّجه نحو التربيه و الإصلاح،و يكون همّنا الانتاج و الإنشاء لا الاستهلاك و الإفساد.

[سوره الأعراف (٧): الآیات ٨٠ الی ٨۴]

اشاره

وَ لُوطاً إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ اَلْفٰاحِشَةَ مٰا سَبَقَكُمْ بِهٰا مِنْ أَحَدٍ مِنَ اَلْعٰالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ اَلرِّجٰالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ اَلنِّسٰاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَ مٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنٰاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ اِمْرَأَتَهُ كٰانَتْ مِنَ اَلْغٰابِرِينَ (٨٣) وَ أَمْطَرْنٰا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلْمُجْرِمِينَ (٨۴)

اللغه

٨٣[الغابرین]:الباقین فی قومه المتخلفین حتی هلکت.

ص:۳۶۴

قوم لوط عاقبه الجريمه الخلقيه

هدى من الآيات:

و تكررت ذات الحقائق التى شهدناها عند عاد و ثمود فى قصه لوط،حيث بارك اللّه لهم فى نعمه فطغوا بها،و شذّوا عن الصراط القويم فى الانتفاع بها،فاذا بهم يتخذون الفاحشه سبيلا لارضاء شهواتهم الجنسيه،انهم يأتون الرجال بدلا من النساء،و يسرفون فى الشهوات.

إنها مرحله الغرور فى قوم أنعم اللّه عليهم بالاستقرار و الأمن و النّعم،و تأتى صرخه السماء الهادره تنذرهم عاقبه الفجور،و لكن قوم لوط يحاولون إخراج لوط من قريتهم بتهمه التطهر،و المجتمع الذى يصبح التقوى و التطهر جريمه فيه لا يرجى له الخير أبدا.

و تحين ساعه العقاب حيث ينجّى اللّه لوطا و أهله المؤمنين بالرساله،و يهلك الآخرين و فيما بينهم امرأته التى أصبحت من الهالكين بسبب اتباعها لهم،و طريقه العقاب هى أن اللّه أنزل عليهم من السماء مطر السوء كما أنزل عليهم بركاته من

قبل.

و هکـذا تری رسالاـت اللّه تحـذّر البشـر من عاقبه أفعالهم السـیئه و سـلوکهم الشاذ، و لکن أکثر الناس لا یشـکرون نعمه الرساله فیهلکون.

بینات من الآیات:

قوم لوط من الألف الی الیاء:

[۸۰]أرسل اللّه لوطا الی قومه،و یبدو لی-مره اخری-أن قوم لوط کانوا فی البدایه مسـتقیمین یسعون من أجل بناء حضارتهم،لأن الخط العام لحرکتهم کان سلیما،و کان مجمل سلوکهم سلیما،بید أنّهم حین بلغوا مرحله من التحضر أصیبوا بالإسراف،و جاء فی بعض الأحادیث أنهم أصـیبوا کذلک ببخل و إسراف و هاتان صفتان نابعتان من جذر واحد هو:عباده الماده،و الابتعاد عن القیم المعنویه.

و إذا کان قوم عاد قـد أصـیبوا بصـفه الغرور و البطش و الظلم،و أصـیبت ثمود بالفساد و الاسـتکبار و الطبقیه،فان ترف قوم لوط دفعهم الی الشذوذ الجنسـی،فکانوا یأتون الرجال شـهوه من دون النساء،و قد یکون سـبب هذا الشذوذ هو البخل،حیث ان الشاب الذی تلتهب شـهوته و لا یجد امرأه یتزوجها إلّا بمهر عظیم و بشـروط قاسـیه، شأنها فی ذلک شأن المرأه فی المجتمعات المرفهه التی تبحث عن الکمالیات قبل ضـرورات العیش،إن هـذا الشاب الـذی لا یملک ذلک النشاط الذی یدفعه الی العمل و الانتاج و الحصول علی المال،یفضل الجنوح نحو الجریمه و اختیار الشذوذ الجنسی الرخیص علی العلاقه الشریفه.

بیـد ان السـبب الخطر للشـذوذ هو الإسـراف،ذلـک لاـن المجتمع الـذی لاـ یتطلع نحو بناء المسـتقبل الأفضل،و لا یبحث عن قیم التضحیه و الفداء،و یملک قدرا کبیرا

من فائض النعم و الوقت و المال،يبالغ فی الشهوات و يسرف فيها و يشذّ عن سبلها السليمه،فيشتری عذاب اللّه. لذلک أرسل اللّه لوطا الی قومه فی تلک المرحله من حضارتهم،حيث قعدوا عن الطموحات الكبيره و تركوا قيمهم الفاضله،أرسله ليحذرهم عاقبه الشذوذ.

وَ لُوطاً إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفٰاحِشَةَ مٰا سَبَقَكُمْ بِهٰا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعٰالَمِينَ [٨١] إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجٰالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسٰاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ [٨٢]أعوذ باللّه من حاله الانزلاق فی وادی الشهوات،خصوصا لو شاع ذلک فی المجتمع،حيث يتواصی أبناء هذا المجتمع الفاسد بالجريمه و الشذوذ كما يتواصی المتقون بالصلاح،و لقد أصبحت الجريمه و الشذوذ قيمه اجتماعيه عند قوم لوط و لذلک لم يستمعوا الی نصيحته،بل اتهموه بالطهر و التقوی،و أمروا بإخراجه.

وَ مٰا كٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنٰاسٌ يَتَطَهَّرُونَ [٨٣]و اللّه سبحانه أنجی لوطا من تلک القريه فهاجر منها بأمره سبحانه، و كذلک يهاجر المؤمنون من كل مجتمع يشيع فيه الفساد و لا يقدرون علی إصلاحه.

فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كٰانَتْ مِنَ الْغٰابِرِينَ و لم تكن امرأه لوط من أهله،كما لم يكن ابن نوح من أهله،لأنهما كانا علی غير ملتهما.

[٨۴]و جاءت أخيرا العاقبه السوء حيث دمر اللّه قری لوط بعذاب بئيس يفصّله القرآن فی سور أخری.

ص:٣۶٧

وَ أَمْطَرْنٰا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ للنظر الى عاقبتهم،و نعتبر من قصصهم لكى لا نصبح مثلهم-لا سمح اللّه-.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٨۵ الی ٨٧]

اشاره

وَ إِلىٰ مَدْيَنَ أَخٰاهُمْ شُعَيْباً قٰالَ يٰا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جٰاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا اَلْكَيْلَ وَ اَلْمِيزٰانَ وَ لاٰ تَبْخَسُوا اَلنّٰاسَ أَشْيٰاءَهُمْ وَ لاٰ تُفْسِدُوا فِي اَلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاٰحِهٰا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨۵) وَ لاٰ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرٰاطٍ تُوعِدُونَ وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ تَبْغُونَهٰا عِوَجاً وَ اُذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَ اُنْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ اَلْمُفْسِدِينَ (٨۶) وَ إِنْ كٰانَ طٰائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طٰائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتّٰى يَحْكُمَ اَللّٰهُ بَيْنَنٰا وَ هُوَ خَيْرُ اَلْحٰاكِمِينَ (٨٧)

اللغه

٨۵[مدين]:قبيله سميت باسم جدهم«مدين»حفيد إبراهيم عليه السلام .

[أخاهم شعيب]:و هو من أحفاد إبراهيم عليه السلام ،فهو أخ القبيله.

[و لا تبخسوا]:البخس النقص عن الحد الذى يوجبه الحق.

ص:٣۶٩

اشاره

وسیله الإصلاح الاقتصادی

هدی من الآیات:

و أهل مـدین کما ثمود و قوم لوط،انهارت مـدنیّتهم علی رؤوسـهم بسـبب فسادهم،و أبرز مظاهر الفساد عندهم کان البخس فی المیزان،و إفساد الأرض زرعا و ضرعا،و قطع طرق الخیر علی عابریها،و الصدّ عن سبیل اللّه،و تحریف الدین.

لقد جاءت رساله اللّه علی لسان شـعیب لتنهاهم عن الفساد بعد الإصـلاح، و التخلف بعد التقدم،و التدهور بعد النشاط،فانقسـموا علی أنفسهم فریقین،فمنهم من آمن و منهم من کفر،و اللّه سوف یحکم بین الفریقین،و الزمن شاهد علی صدق النبوءه.

و احتدم الصـراع و بدأ الکفار بمنع الناس عن الایمان بالرساله و اعتبار ذلک خساره،و انتهت قصـتهم بعذاب أنزله اللّه علیهم فی صوره رجفه قضت علیهم،و شـهد التاریـخ ان الخاسـرین إنمـا کـانوا هم الـذین کـذّبوا بشـعیب لا المؤمنین به،و تلک النعم التی اغتروا بها لم تنفعهم فی ساعه العذاب.

أما شعيب فلم يحفل بمصيرهم لأنه نصحهم و أبلغهم رسالات ربهم،فكفروا بها،فلم يأسف لمصيرهم،و يبدو لى:أن أهل مدين كما أصحاب الحضارات السابقه كانت علاقتهم بالأشياء و الأشخاص علاقه العطاء و التربيه و الإصلاح فبنوا تلك المدينه،و لكنهم بدّلوا تلك العلاقه و أصبحت علاقتهم علاقه الإسراف و الاستهلاك و الإفساد فدمرت حضارتهم.

بينات من الآيات:

التمثيليه التاريخيه:

[۸۵]و تتكرر مشاهد فى التاريخ حتى ليكاد المرء يتصور أنها جميعا مشهد واحد لا يتغير سوى الممثلين فيه،و ان كانت هناك اختلافات فانما هى فى المظاهر الخارجيه للأحداث،فكل الجرائم و الانحرافات التى يبتلى بها المجتمع تنشأ من عدم التسليم للّه و عدم اتباع مناهجه كاملا،و الشرك به عن طريق طاعه غيره من الطواغيت و الأصنام الحجريه أو البشريه،أو التشبث بالقشور و الأسماء التى لا يوجد وراءها شيء،لذلك تجد رسالات السماء تؤكد أولا و قبل كل شيء على الوصيه بعباده اللّه، ففى القصص السابقه بدأ كل نبى حديثه مع قومه بهذه الكلمه:اعبدوا اللّه.

وَ إِلىٰ مَدْيَنَ أَخٰاهُمْ شُعَيْباً قٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ

ماذا تعنى عباده اللّه؟

عباده اللّه لا تعنى مجرد التسليم النفسى له،بل و يجب التعبير عن صدق هذا التسليم عمليا فى صوره الكفر بالطاغوت و التمرد ضد النظام السلطوى الذى يتّخذ من القوه أداه للسيطره و القهر، و بالتالى الثوره ضد كل حكم لا شرعى.

إن أنبياء اللّه(عليهم السلام)كانوا يهدفون تغيير النظام السياسى فى المجتمع،

من نظام شركى قائم على أساس الحاكم و المحكوم،إلى نظام توحيدى يقوم على أساس رفض الحاكميات جميعا سوى حاكميه اللّه الحى القيوم،و لذلك تجد الآيات السابقه التى تحدثت عن رسالات اللّه أكّدت قبل كل شىء ضروره رفض الآلهه التى تعبد من دون اللّه،و الذى يعنى:رفض الحاكميات البشريه و التسليم لحاكميه اللّه و عبادته سبحانه.

و رفض أىّ نظام سياسى باطل لا يعنى الفوضويه بل إقامه كيان سياسى صحيح مكانه،ذلك هو كيان التوحيد القائم على رساله بينه ينتفع بها المجتمع، يؤمنون بها و يخضعون لها.

قَدْ جٰاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فعليكم باتباعها،تلك البينه هى رساله اللّه و رسوله المطاع باذنه.

و بعد تثبيت دعائم السلطه السياسيه السليمه،أمر شعيب قومه بتصحيح مسيره الاقتصاد،و إصلاحه من اقتصاد قائم على أساس الاستغلال و الاستثمار الى اقتصاد قائم على أساس الوفاء بالحقوق،و إعطاء كلّ ذى حق حقه بالكامل.

فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزٰانَ وَ لاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ أَشْيٰاءَهُمْ حين يكون المجتمع رشيدا من الناحيه الاقتصاديه فانه لا ينهب و لا يغش،بل و لا يفحش فى الربح أيضا أو يسعى كل طرف للحصول على المنفعه الأكبر،و هذا هو التطلع الأرفع الذى يجب أن يهدفه المصلحون فى حقل الاقتصاد. أن يرى كل طرف منفعه الآخرين بمثل ما يرى منفعته فلا يبخس أحدا شيئا.

و بعد النظام الاقتصادى،يأتى دور الإصلاح فى مجمل سلوك البشريه تجاه الأشياء و الأشخاص،ذلك الذى أكدت عليه رسالات السماء،حيث أمرت

بضروره إيجاد علاقه الإصلاح بين الناس و الطبيعه،و بين الناس بعضهم مع بعض،فلا يكون هدف المجتمع الانتفاع بالحياه فقط بل يكون هدفه:

أولا:تفجير طاقات الطبيعه لمصلحه الانسانيه،و تنميه هذه الطاقات، و تطويرها الى الأفضل،مثلا:زراعه الأرض،و صناعه المعادن،و تعبيد الطرق، و بناء الجسور،و عماره المدن،و المحافظه على البيئه بكل أبعادها،كالمحافظه على نقاء الهواء و الطيور و أنواع الوحوش و الدواب،و أنواع الأسماء،و بالتالى كل ما يصلح الأرض لا ما يفسدها.

ثانيا:تنميه طاقات البشر و مواهبه،و المجتمع الراشد يسعى من أجل دفع المستوى الخلقى لأبنائه و المستوى التعليمى،و يربّى المزيد من الكوادر المتقدمه فى كافه الحقول،إنه مجتمع يربى القاده و المفكرين و المخترعين و الأبطال،و لا يكتفى بذلك بل و يسعى من أجل تعميم الحضاره على كل المجتمعات القريبه فيما يخص أبناءه،و مساعدتهم على التقدم و النمو،لذلك قال ربنا على لسان شعيب:

وَ لاٰ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاٰحِهٰا و قد تكررت هذه الكلمه فى الآيات السابقه أيضا،و يتساءل المرء لماذا جاءت هذه الكلمه فى صوره النهى،أو لم يكن الأفضل أن يقول ربنا سبحانه:و أصلحوا فى الأرض؟ أ تصور أن هذه القصص بالذات تعكس وضع الحضارات فى ظروف شيخوختها،و تنامى نقاط الضعف فيها، و أفول نجمها حيث إن الحضاره تنشأ و تتنامى فيها نقاط القوه،و لكن الغرور و الإرهاب و الاستكبار كل ذلك يبدل نقاط القوه فيها الى نقاط ضعف حتى تقضى عليها،و رسالات السماء تسعى من أجل إيقاف تدهور الحضارات و دمار العمران بتوعيه الناس بأسباب قوتهم السابقه،

و عوامل الانقراض و منها بل و من أبرزها هی:الفساد بعد الإصلاح.أیّ تحول تلک العلاقه الانتاجیه و العمرانیه و الإبداعیه التی کانت حاکمه سابقا بین أبناء المجتمع بعضهم مع بعض أو مع الطبیعه الی علاقه استهلاک و استغلال و ترف.

إن حاله الاستهلاک القائمه الیوم فی بلادنا الاسلامیه،و صفه الترف و التوسع فی الحاجیات الکمالیه،و الرغبه عن الأعمال الانشائیه مثل العمران و التصنیع إنها جمیعا تشکل أخطر عوامل التخلف عندنا،و یا لیتنا نتدبر فی هذه القصص لنکشف فیها سر تخلفنا،و أسباب النهوض ببلادنا بعد الرکود و التخلف.

ذٰلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ

الهدم أصعب:

یزعم البعض ان الإسراف خیر من الاقتصاد فی المعیشه لأنه یمتعک باللذائذ أکثر و بجهد أقل،أو یزعم ان استغلال جهود الآخرین و استهلاک ما ینتجونه خیر من الاجتهاد و الانتاج لأنه تجاوز للتعب و الارهاق،و إشباع للغرائز بأقل قدر من العمل، و بالتالی یزعم أکثر الناس أن الهدم خیر وسیله للدفاع،و أفضل وسیله لاداره الصراع بنجاح،و لکن ما أبعد الحقیقه عن هذه المزاعم.

إنک حین تسرف فی النعم فانک تهلک انسجه بدنک بقدر ما تستهلک من المواد، و تفسد عاداتک و نفسیتک بقدر ما تفسد الطبیعه.

إنک حین تنتج فانک ترتفع الی مستوی الانتاج و تتکامل قدراتک و تنصقل مواهبک بذات النسبه و البلد الذی ینتج الفانتوم یختلف عن الذی یشتریها اختلاف الأم التی تنجب طفلا عن تلک التی تتبنی طفلا.

إن هذا البلد تتکامل قدراته و ترتفع الی مستوی انتاج الفانتوم،إنه یصنع بدائل

لها و هكـذا، كذلك المزارع الذى يحرث الأرض و يسـقى الحقل حتى يجنى الثمرات، ليس أبدا مثل ذلك الذى يلتهم الفاكهه دون أن يعرف قيمتها الحقيقيه،إن المزارع يتفاعل مع الثّمار و يتكامل بها لأنه ينتجها،بينما الـذى يأكل الفاكهه يسـتهلك بقدر ما يستهلك.

و من قال ان الهدم أفضل وسيله للدفاع،و خير أداه فى الصراع؟ إنك حين تقتبل جنديا عدوا تزداد قوتكم بقدر جندى واحد،أما حين تضيف جنديا الى جنودك من أعدائك فان باستطاعه هذا الجندى أن يستقطب إليك جنودا كثيرين.

و حين تهدم مصـنعا للعدو تزعم بأن قدرتك الاقتصاديه ازدادت بقدر مصـنع واحد،و لكن هل هو واقع أم خيال؟بينما لو أضفت مصـنعا الى مصانعك فان هـذا المصـنع يكمل حلقات مصانعك و يرفع النقص الموجود فيها،و بالتالى يعطيك قـدره على تنامى مصانعك.

و فرق بين أن تحرق مزرعه للعدو أو تنشـئ مزرعه،إن المزرعه التى تنشأها لا تضـيف قوه اقتصاديه الى اقتصاد بلدك فحسب،بل و تزيدك قوه إنتاجيه،بمعنى ان الحبوب المنتجه من المزرعه تصـلح ان تزرع فى أرض اخرى،و ان اليد العامله فى المزرعه تقدر على أن تزرع اخرى،و النظام المشجع على إنشاء مزرعه ينشئ مزارع عديده و هكذا..

و هكـذا يصـبح البناء أفضل وسـيله لهدم كيان العدو،و الإصـلاح أفضل وسـيله لتصـفيه دعاه الفساد و دعائمه،و صدق اللّه العلى العظيم حين يقول:

ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

ص:۳۷۵

مراحل الانحطاط:

یتدرج المجتمع فی الانحطاط عبر عده مراحل،ففی البدایه تفسد السلطه السیاسیه،ثم تفسد طریقه التعامل،ثم أسالیب الانتاج،ثم فساد القیم و هو أخطر مراحل الفساد،لذلک نجد شعیبا(علیه السّلام)بدأ حدیثه الناصح بالتحذیر من الفساد السیاسی و الاقتصادی،و من ثم الفساد الثقافی و القیمی.

فحذّر من النهی عن المعروف و الصّد عن سبیله،و محاوله تضلیل الناس عن سبیله الأقوم فی الحیاه،و محاوله توجیههم الی السبل المنحرفه،و أمرهم بتذکر الماضی حیث إنهم کانوا أقلّاء فکثرهم اللّه بالسبل القویمه،کما نصحهم بالاعتبار بما أصاب المفسدین السابقین،و أمر شعیب المؤمنین من قومه بالصبر حتی یحکم اللّه، و تبین العاقبه.

[۸۶]قد یفسد البشر عملیا،بینما یبقی من الناحیه النظریه مؤمنا بالقیم و معترفا بخطئه حین لا یعمل بها،و یرجی لمثل هذا الشخص الفلاح بالتوبه،و لکن إذا بقی علی ضلالته العملیه قد ینحدر شیئا فشیئا الی الکفر بتلک القیم رأسا،أو لا أقل من تفسیرها تفسیرا خاطئا یتوافق مع سلوکه الباطل،و هذا الشخص یصعب إصلاحه.

لأنه لیس فقط یعمل الأخطاء بعمد و إصرار،بل و یدعو الناس إلیها،و قد یجرّ الآخرین الی اتباع منهجه،و قوم شعیب بلغوا هذا الدرک الأسفل فنهاهم رسولهم (علیه السّلام)عن ذلک و قال:

وَ لاٰ تَقْعُدُوا بِکُلِّ صِرٰاطٍ تُوعِدُونَ أیّ تهددون السالکین فیه من الذین یبتغون الوصول الی اللّه و الحق و العمل

الصالح.

وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ أىّ لا تسمحون للمؤمنين باللّه أن يسلكوا السبيل الموصل اليه سبحانه.

وَ تَبْغُونَها عِوَجاً أىّ تحرّفون نصوص الدين،و تزعمون أن السبل الملتويه هى الطرق البالغه.

الثقافه التبريريه نسيج التخلف:

إن الأمم المتخلفه تصنع لنفسها نسيجا من الأفكار الباطله،و الثقافات التبريريه التى تكرس واقعها الفاسد،و لكى تتجاوز الأمه هذه الثقافه التبريريه الكسوله عليها أن تصلح نظرتها الى الحياه،و لا تزعم أن النعم الموجوده فيها مستمره و ذاتيه،بل تتذكر ماضيها الحافل بالمشاكل و العقبات،و كيف تحدتها،و بفضل أىّ نوع من القيم و الأفكار،ثم تدرس حياه المجتمعات الأخرى التى فسدت خزائنها،كيف و بسبب أىّ نوع من السلوك زالت تلك المجتمعات؟لذلك ذكّر شعيب قومه بماضيهم و بماضى المجتمعات الزائله و قال:

وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِينَ [۸۷]و كانت نصيحه شعيب للكفار المناهضين لرسالته هى الكف عن مقاومتهم لنور الرساله،أما وصيته لأنصاره المؤمنين فهى الصبر و الاستقامه حتى يحكم اللّه بينهم و بين الكفار فقال:

وَ إِنْ كانَ طائِفَهٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طائِفَهٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنا وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۸۸ الی ۹۳]

اشاره

قٰالَ اَلْمَلَأُ اَلَّذِینَ اِسْتَکْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّکَ یٰا شُعَیْبُ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا مَعَکَ مِنْ قَرْیَتِنٰا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِی مِلَّتِنٰا قٰالَ أَ وَ لَوْ کُنّٰا کٰارِهِینَ (۸۸) قَدِ اِفْتَرَیْنٰا عَلَی اَللّٰهِ کَذِباً إِنْ عُدْنٰا فِی مِلَّتِکُمْ بَعْدَ إِذْ نَجّٰانَا اَللّٰهُ مِنْهٰا وَ مٰا یَکُونُ لَنٰا أَنْ نَعُودَ فِیهٰا إِلاّٰ أَنْ یَشٰاءَ اَللّٰهُ رَبُّنٰا وَسِعَ رَبُّنٰا کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً عَلَی اَللّٰهِ تَوَکَّلْنٰا رَبَّنَا اِفْتَحْ بَیْنَنٰا وَ بَیْنَ قَوْمِنٰا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَیْرُ اَلْفٰاتِحِینَ (۸۹) وَ قٰالَ اَلْمَلَأُ اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اِتَّبَعْتُمْ شُعَیْباً إِنَّکُمْ إِذاً لَخٰاسِرُونَ (۹۰) فَأَخَذَتْهُمُ اَلرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دٰارِهِمْ جٰاثِمِینَ (۹۱) اَلَّذِینَ کَذَّبُوا شُعَیْباً کَأَنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیهَا اَلَّذِینَ کَذَّبُوا شُعَیْباً کٰانُوا هُمُ اَلْخٰاسِرِینَ (۹۲) فَتَوَلّٰی عَنْهُمْ وَ قٰالَ یٰا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُکُمْ رِسٰالاٰتِ رَبِّی وَ نَصَحْتُ لَکُمْ فَکَیْفَ آسیٰ عَلیٰ قَوْمٍ کٰافِرِینَ (۹۳)

اللغه

۹۲[یغنوا]:غنی بالمکان،یغنی غناء و غنیانا أقام به کأنه استغنی بذلک المکان عن غیره و المعانی المنازل و أصل الباب الغنی.

ص:۳۷۸

[آسی]:الأسی شده الحزن.

ص:۳۷۹

المكذبون برسالات الرب

اشاره

هم الخاسرون

هدى من الآيات:

كانت رساله شعيب التى نصح بها القوم ذات قيم فطريه،يهتدى إليها العقل و تعارضها الشهوات العاجله،و قد تحدى الملأ شعيبا،و الملأ هم كبار القوم الذين استكبروا فى الأرض و جعلوا فيها الناس ضعفاء،لقد تحدوا هذه الرساله ليس بالحجه و إنما بالقوه،حيث هددوه(عليه السلام)بالإخراج من قريتهم أو العوده الى دينهم الفاسد،و تساءل شعيب:كيف تسمحون لأنفسكم إجبارنا على العوده الى ملتكم الفاسده كرها،أ و ليس فى ذلك شهاده على أن ملتكم فاسده،و أن منطق القوه و ليس القناعه هو السائد عليها؟ و إذا كانت القوه حاكمه فقوه اللّه أعظم من قوتكم،فلا نرضى بالتسليم لكم، و الافتراء على اللّه كذبا،و الكفر بنعمه الهدايه التى أسبغها اللّه علينا فأنجانا بها من المله الفاسده.

و هل يستطيع البشر أن يتجاوز إراده اللّه؟كلا..لذلك لا يستطيع أحد أن

یکره أحدا علی فکره الباطل،لان اللّه ربهما و المطلع علی شؤونهما.لا یسمح بذبح حریه أحد إلّا بمشیئه،أو تقصیر الإنسان نفسه،فاذا توکل البشر علی ربه،و اعتمد علی قوته،فانه خیر من یفتح بینه و بین عدوه بالحق،إذا فحری بالبشر الاعتماد علی اللّه فی مقاومه تهدید أهل الباطل،و عدم الخشیه من تمکنهم منه.

بینات من الآیات:

المستکبرون العائق الأکبر:

[۸۸]الناس العادیون یستقبلون رسالات اللّه بفطرتهم النقیه،لولا أن المستکبرین الذین یستغلون جهود الضعفاء یفرضون علیهم نهجا فکریا معیّنا بالقهر، و هؤلاء هم الذین یشکلون حینا السلطه السیاسیه،و حینا السلطه الاقتصادیه،و حینا السلطه المسمّاه بالدینیه،بید أنها جمیعا سلطه قهریه تسرق إراده الإنسان،و هذا نموذج من قهرهم،أنهم هدّدوا شعیبا(علیه السلام)بالإخراج من القریه لو عارض نهجهم السیاسی.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ اسْتَکْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّکَ یٰا شُعَیْبُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَکَ مِنْ قَرْیَتِنٰا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِی مِلَّتِنٰا قٰالَ أَ وَ لَوْ کُنّٰا کٰارِهِینَ و الکلمه الأخیره تدل علی صفه الجبر و القهر فی السلطه القائمه فی مجتمع مدین، و بالتالی علی نظام الطاغوت الذی یعتمد علی الملأ من الناحیه الطبقیه،و علی الاستکبار من الناحیه الاجتماعیه و الثقافیه،و علی الإرهاب من الناحیه السیاسیه.

الصمود شاهد صدق:

[۸۹]الذی یحمل رساله اللّه الی الناس حقا لا یتنازل عنها تحت ضغط الظروف،و تلک شهاده بیّنه علی صدقه،أما الذین یفترون علی اللّه الکذب و یدّعون

أنهم رسل اللّه باطلا،فإنهم يتركون الرساله حين يتعرضون للضغط،من هنا قال المؤمنون من قوم شعيب:

قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجّانَا اللّهُ مِنْها و حيث إن اللّه أنجاهم من ضلاله الطاغوت بالرساله،فالعوده الى ملتهم السابقه إنما تكون بعد وعى كاف ببطلانها،فيكون ذلک تکذیبا متعمدا للحق، و جحودا سافرا بآيات اللّه،و العذاب سوف يكون عليهم مضاعفا.

و من جهه أخرى العوده الى المله الباطله التى أنقذهم اللّه منها لا تكون ممكنه بالقهر و الإكراه،لان اللّه قد ضمن للبشر حريته و كرامته،و لن تكون القوى الشيطانيه قادره على إلحاق أىّ نوع من الأذى،أو إيجاد أىّ قدر من التأثير على أحد من دون مشيئه اللّه و اذنه سبحانه ذلک لان قوى الطاغوت لا تعصى اللّه عن غلبه -سبحانه-أو بتجاوز ملكوته..كلا،و إنما لأن اللّه أمهلهم و أعطاهم فرصه الاختيار الحر لفتره محدوده لهذا فان الطاغوت لا يقدر على جبر المؤمنين على الكفر لأن اللّه لا يسمح له بذلک.

وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً و كما ان قدره اللّه مهيمنه على الكون فلا يقدر الكفار على تجاوزها،كذلک علمه النافذ فى كلّ شىء،و لكى يقاوم المؤمنون قوى الطاغوت الماديه يلتجئون أكثر فأكثر الى قوه اللّه المعنويه و يقولون:

عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ المؤمنون لا يسعون نحو تحقيق الانتصار على عدوهم بالباطل؛أى دون أن يكون لديهم مؤهلات النصر،أو دون أن يكونوا أفضل من عدوهم،بل إنما يريدون الفتح

بالحق.

وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ

الخساره العظمى:

و اقتربت النهـايه لقوم شـعيب،حيث انهم اعتمـدوا على القوه المـاديه زاعمين أنهـا كـلّ شـيء،و إن من يخسـرها فـانه يخسـر كل شيء،لذلك قالوا للمؤمنين:انكم لخاسرون،يزعمون أن الثروه و السلطه و الجاه التي يملكونها و التي يحرمون المؤمنين منها تعتبر خساره،بينما المؤمنون يعرفون ان القيم الباطله التى يقوم عليها بناء مجتمع الطغيان و الفساد تنسف كل تلك الماديات الظاهره.

و من هنا أخذت قوم شـعيب الرجفه فاذا بهم جاثمون،و إذا بالخساره الحقيقه هى من نصـيبهم هم،أمّا شعيب فلم يأسف لهم لأنه قد أبلغ رسالات ربه،و قدم النصيحه لقومه،و لكنهم كفروا بها فكيف ييأس عليهم.

[۹۰]ان النظره الماديه الضـيقه التي يرى بها الكفار الأمور تجعلهم محـدودين جدا،لا يفهمون حقائق الحياه،و هؤلاء يرمون الناس بالسـفه و بالجنون،و يزعمون أن الذى لا يعمل للربح المادى العاجل خاسر لحياته،لذلك تجد الملأ من أهل مدين يعتبرون اتّباع شعيب خساره كبيره لهم.

وَ قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُـعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ و منتهى ما يستطيع الملأ المستكبرون ان يلحقوه من الأذى بـالمؤمنين هو:منع بعض النعم الماديه عنهم،و هـذا ما كان و لا يزال الطغاه يهـددون الثوريين به،و لكن من الـذين تكون له عاقبه الدار؟! [۹۱]إن اللّه سبحانه يعطى فرصه محدوده للبشر ليمتحن إرادتهم فيها،و مدى

قدرتهم على مقاومه إغراء الشهوات،و قد منح هذه الفرصه لقوم شعيب،و ها هم الآن استنفذوا فرصتهم و اقتربت ساعه المصير.

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دارِهِمْ جاثِمِینَ و كانت الرجفه قويه الى درجه أن اللّه لم يمهلهم حتى يتخذوا حاله الاستلقاء استعدادا للموت،بل وقعوا على وجوههم ذله و هوانا.

معيار الخساره:

[۹۲]و هنالك تبيّن ذلك الواقع الذى حذر منه شعيب،و آمن به القوم المؤمنون و هو:أن الخساره و الربح إنما هما بالقيم لا بالمصالح العاجله.

اَلَّذِینَ كَذَّبُوا شُعَیْباً كَأَنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیهَا انتهت فرصتهم،و تداعى كيانهم،و زالت مكاسبهم،حتى يخيل للإنسان انه لم يكن شيئا موجودا.

اَلَّذِینَ كَذَّبُوا شُعَیْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرِینَ [۹۳]أما شعيب فقد ترك قومه الهالكين و هم صرعى دون أن يذرف عليهم قطره دمع.

فَتَوَلّی عَنْهُمْ وَ قالَ یا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَیْفَ آسی عَلی قَوْمٍ كافِرِینَ

ص:۳۸۴

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٩۴ الی ١٠٢]

اشاره

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا فِی قَرْیَهٍ مِنْ نَبِیٍّ إِلاّٰ أَخَذْنٰا أَهْلَهٰا بِالْبَأْسٰاءِ وَ اَلضَّرّٰاءِ لَعَلَّهُمْ یَضَّرَّعُونَ (٩۴) ثُمَّ بَدَّلْنٰا مَکٰانَ اَلسَّیِّئَهِ اَلْحَسَنَهَ حَتّٰی عَفَوْا وَ قٰالُوا قَدْ مَسَّ آبٰاءَنَا اَلضَّرّٰاءُ وَ اَلسَّرّٰاءُ فَأَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَهً وَ هُمْ لاٰ یَشْعُرُونَ (٩۵) وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ اَلْقُریٰ آمَنُوا وَ اِتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَیْهِمْ بَرَکٰاتٍ مِنَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لٰکِنْ کَذَّبُوا فَأَخَذْنٰاهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ (٩۶) أَ فَأَمِنَ أَهْلُ اَلْقُریٰ أَنْ یَأْتِیَهُمْ بَأْسُنٰا بَیٰاتاً وَ هُمْ نٰائِمُونَ (٩٧) أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ اَلْقُریٰ أَنْ یَأْتِیَهُمْ بَأْسُنٰا ضُحًی وَ هُمْ یَلْعَبُونَ (٩٨) أَ فَأَمِنُوا مَکْرَ اَللّٰهِ فَلاٰ یَأْمَنُ مَکْرَ اَللّٰهِ إِلاَّ اَلْقَوْمُ اَلْخٰاسِرُونَ (٩٩) أَ وَ لَمْ یَهْدِ لِلَّذِینَ یَرِثُونَ اَلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهٰا أَنْ لَوْ نَشٰاءُ أَصَبْنٰاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ نَطْبَعُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ یَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْکَ اَلْقُریٰ نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْبٰائِهٰا وَ لَقَدْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّنٰاتِ فَمٰا کٰانُوا لِیُؤْمِنُوا بِمٰا کَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ کَذٰلِکَ یَطْبَعُ اَللّٰهُ عَلیٰ قُلُوبِ اَلْکٰافِرِینَ (١٠١) وَ مٰا وَجَدْنٰا لِأَکْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنٰا أَکْثَرَهُمْ لَفٰاسِقِینَ (١٠٢)

اللغه

٩۵[عفوا]:أصل العفو الترک،و عفوا ترکوا.

[بغته]:البغته الفجأه،و هی الأخذ علی غرّه من غیر تقدمه تؤذن بالنازله.

٩٧[بأسنا]:البأس العذاب،و البؤس الفقر.

ص:٣٨۵

أسباب الحضاره

اشاره

و مراحل حياه الأمم

هدى من الآيات:

بعد أن ذكّرنا القرآن الحكيم بقصص الأولين من الرسل و قومهم،عاد ليبين لنا عبرا من التاريخ و أبرزها:

/۱أن الأمم تسير عبر مراحل ثلاث:مرحله الشده و الضنک،ثم مرحله الرفاه و الرخاء،ثم مرحله الفساد و الهلاک،و رسالات السماء حاضره فی هذه المراحل، و إراده اللّه مهيمنه عليها.

/۲هلاک الأمم ليس قدرا محتوما عليها،إنما هو بسبب كفرهم و عدم التزامهم بالأوامر و التوجيهات،فاذا آمنوا و اتقوا اللّه فتح اللّه عليهم بركات السماء.

وراء الرخاء الظاهر قد يكمن مكر اللّه الخفىّ الذی ينبغی ألاّ يؤمن و الذی يأتی ليلا فی حاله النوم،أو نهارا فی حاله اللعب و الغفله،و إنما يخسر البشر حين يأمن مكر اللّه و ما تخبؤه الأيام من شده و مكروه.

ص:۳۸۷

/۴توارث الأمم هذه الأرض،و لا بد من ان يتعص اللاحقون بمصير السابقين، و ليعرفوا هذه الحقيقه:أن الذنوب تحيط بالإنسان،و تأخذه فی حین غفله،ذلک لأن الذنب یسبب عمی القلب أیضا.

/۵بالرغم من أن اللّه یبعث رسله الی الأمم حین تتدهور،لکن کفرهم السابق و ذنوبهم التی أعمت قلوبهم لا تدعهم یؤمنون برسالات اللّه،کما لا تدعهم یفون بعهد اللّه علیهم،لذلک کانت الأمم هذه لا عهد لها و لا دین و بذلک هلکت.

بینات من الآیات:

المصاعب امتحان و تربیه:

[۹۴]فی هذه الآیه نجد حکمه الصعوبات التی تعصر البشر و الهدف التربوی منها،الذی لو عرفه الإنسان و سعی الیه فلیس فقط لا یتضرر منه،و إنما یستفید منها کثیرا یقول اللّه:

وَ مٰا أَرْسَلْنٰا فِی قَرْیَهٍ مِنْ نَبِیٍّ إِلاّٰ أَخَذْنٰا أَهْلَهٰا بِالْبَأْسٰاءِ وَ الضَّرّٰاءِ لَعَلَّهُمْ یَضَّرَّعُونَ فالضراعه هی هدف البأساء و الضراء فی الحیاه،و البأساء حسبما یبدو لی:کل سوء یصیب البشر بأیدیهم کالحروب،و الفقر الناشئ من وضع اجتماعی سیء، و الظلم و الإرهاب،بینما الضراء هی:الخسارات التی تصیب البشر بالطبیعه کالامراض و الضغط و ما أشبه.

و الضراعه هی:العوده الی واقع الذات و ما فیه من نقص و عجز و انحراف،بعیدا عن أیّ غرور أو استکبار،أو عزه بالإثم،و الضراعه الی اللّه تعطینا الثقه بقدرتنا علی تجاوز کل ذلک بعون اللّه.

ص:۳۸۸

و ربما تكون هذه الآيه توضيحا لبدايه انطلاقه المجتمعات و شروطها الواقعيه، و هی ظروف قاسیه یمر بها المجتمع فيتحداها بالضراعه،و هی وعی الذات و ما فيه من نواقص یجب تكميلها،و امكانیات یجب تفجيرها.

[۹۵]و بعد الضراعه و تكميل النواقص بالتوكل على اللّه،و بالاعتماد على قيمه الساميه،تأتی مرحله الرفاه حيث تتبدل الصعوبات الى يسر و سلامه،و من بعدها تأتی مرحله الرخاء حيث تفيض النعم عن الحاجه،و هناك يفسد المجتمع بسبب الطغيان و الترف و البطش فيصيبه الدمار،بيد أن الدمار لا يصيب المجتمعات شيئا فشيئا بل يصيبهم فجأه و من دون شعورهم به.

ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَهِ الْحَسَنَهَ حَتّی عَفَوْا أی حتی کثرت النعم و أصبحت عفوا و زیاده تترک.

وَ قالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرّاءُ وَ السَّرّاءُ فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَهً وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ

لا حتميّات بل حقائق:

[۹۶]إن هذه المسيره الدوريه فی المجتمعات ليست ضروره حتميه،أو سنه إلهيه،بل حقائق تاريخيه باستطاعه البشر تغييرها عن طريق الايمان و التقوى،فان الايمان ضمانه ايديولوجيه و ثقافيه و اجتماعيه لبقاء عوامل الحضاره،و التقوى ضمانه تشريعيه سياسيه و اقتصاديه و سلوكيه لبقاء إطارات الحضاره.

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ ربما تكون البركات هی كلّ ما يكمل حياه البشر و يطورها للأفضل.

ص:٣٨٩

وَ لٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنٰاهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ إذ أن الظروف القاسيه التی تصيب البشر تأتی بسبب تكذيبه للحقائق، و اكتسابه للمنكرات من هنا نستطيع أن نستنبط فكره جديده فی فلسفه التاريخ، و فلسفه الحضارات بين الفكرتين المتطرفتين و هما:

الفكره الأولی:التی تقول ان للحضارات دوره حياتيه حتميه مثل مراحل الحياه للشخص،من الطفوله الی الشباب الی الشيخوخه فالموت.

و الفكره الثانيه:التی تقول أن الحضارات انما هی نتيجه فكره حضاريه تنمو حولها و بها امكانيات المجتمع حتی تصبح حضاره.

و الفكره الثالثه:التی يمكن استنباطها من هذه الآيات-لو صح التفسير الذی فسرناه بها-هی:

أن هناك سببين للحضاره،سبب طبيعی هو تحدی الصعوبات الفاسده من ظروف قاسيه أو من صراعات اجتماعيه،إذ ينشأ من هذا التحدی الضراعه فإصلاح النواقص فالرخاء و الرفاه،و هذا السبب الطبيعی يتحرك وفق سنن طبيعيه تقريبا كسائر القوانين الاجتماعيه.

و السبب الثانی هو:الايمان بفكره رساليه و الالتزام بمناهجها(الايمان و التقوی) و لهذا السبب سنّته الذاتيه،بمعنی أن الحضاره تبقی مع الايمان و التقوی.

[۹۷]و لان هلاك المجتمعات الفاسده يكون فجائيا بعد تراكم السيئات، و إحاطتها بالذين يكتسبونها،فان علينا أن نترقب بأس ربنا فی كل لحظه،ليلا و نهارا،فی حاله النوم أو فی حاله الغفله!!

أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَ هُمْ نائِمُونَ [۹۸] أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَ هُمْ يَلْعَبُونَ [۹۹] أَ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ من هم الخاسرون؟الخاسرون هم الذين يحسبون ان تراكم المكاسب الظاهريه، و بناء العمارات الشامخه،و الشوارع المعبده و المضاءه،و المصانع الكبيره،و الملاعب الواسعه،و الجيوش المسلحه بأحدث الأسلحه،إن كلّ ذلک يکفى فى بناء الحضاره و تحقيق طموحات البشر..کلا،ان ذلک ما کان ليتم لولا القيم السليمه، و التطلعات المشروعه،و المناهج الصائبه،و لولا ذلک لحملت الحضاره نقيضها فى ذاتها،حيث يلتف عليهم العذاب من حيث لا يشعرون فيقضى عليهم،ذلک هو مکر اللّه،إن المدنيه القائمه على الظلم أو الطغيان،و المجتمع القائم على الاستغلال و الطبقيه،و الثقافه القائمه على المصالح الذاتيه کلّ ذلک مهدد بالزوال فى کلّ لحظه و بصوره مفاجئه.

إذ أن المظلومين المستغلّين،و المستضعفين المقهورين سوف ينتفضون بعد أن يطفح بهم کيل الغضب،فلا يهابون الموت فيدمرون کلّ شىء فى لحظه،و اللّه سبحانه ينزل عليهم صاعقه من عذابه بعد أن تنتهى الفرصه الممنوحه لهم،و الأجل المحدود لاختبارهم،فيقضى عليهم،انه مکر اللّه و لا يأمن مکره أحد.

ان المکر هو:الالتفاف حول شىء و أن يأتيه الأمر من حيث لا يحتسب الفرد، و الذى لا يحسب لمکر اللّه حسابا يخسر،لأنه يبنى دون أن يملک ضمانه لاستمرار بنائه،و هو أشبه بجيش لا يسد على نفسه الثغرات الخلفيه،و ينظر فقط من جهه واحده،حيث أن العدو يأتيه من الخلف فيقضى عليه،إن على البشر أن يلاحظ

خلفيات الأمور،و عوامل الهدم و الدمار،و قيم التقدم و الاستمرار.

[۱۰۰]لكى تكون لديك بصيره نافذه،تعرف بها عوامل الدمار التى لا ترى ظاهرا،عليك أن تعتبر من التاريخ،و تدرس حال الأمم التى بادت و أورثك اللّه الأرض من بعدهم،أولئك الذين أحاطت بهم ذنوبهم،و أغلقت قلوبهم فلم تسمع الحقيقه،و أنت أيضا مع مجتمعك يمكن أن يصيبكما اللّه بذنوبكما،فتغلق قلوبكما و تندحر حضارتكما.

أَ وَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهٰا أو لم يكن ذلك الاستخلاف و التوارث هدايه كافيه لهم ليعرفوا.

أَنْ لَوْ نَشٰاءُ أَصَبْنٰاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ كما أصاب اللّه أولئك بها الذين من قبلهم ليكونوا هم الوارثين.

وَ نَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ

آثار الذنوب:

إن الذنوب تعكس خطين من الآثار السلبيه فى حياه البشر الخط الأول:فى الواقع الخارجى،فالظلم و الإرهاب و الجريمه كل ذلك يخلف الخراب و الغضب و التحدى فى واقع الطبقيه و المجتمع.

الخط الثانى:فى الإنسان العامل بالذنب،فالظلم يغشى القلب،و يضعف الاراده،و يقتل الوجدان،و يحجب العقل،و كذلك الإرهاب و الجريمه،و القرآن يشير الى أن هلاك الأمم كان يتم بسبب تراكم آثار الذنوب على كلا الخطين،فمن

جهه كـان اللّه يصـيبهم بـذنوبهم و تراكمـات آثار الخطين فى الواقع الخارجى،و من جهه ثانيه كان اللّه يطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون بسبب تراكمات الآثار النفسيه،و لا يقدرون على الاستجابه لمغيرات الحياه أو الانتباه الى أجراس الخطر التى كانت تدق على مسـامعهم،بـل حتى أنهم كانوا يكـذّبون بآيات العـذاب و هى قادمه إليهم،فمثلا كان بعض الهالكين من الأمم السابقه يرون سحـابه العـذاب فيزعمـون أنهـا سـحابه رحمـه ممطره،فتمطر عليهم العـذاب بـدل الرحمه،كـذلك بعض الأـنظمه اليـوم تزعم أن الانتفاضات الجماهيريه انما هى من خارج أراضيها،بينما هى من الفساد فى ذات النظام.

[۱۰۱]و من علائم طبع القلب و انغلاقه عن الاستجابه للمتغيرات،أو فهم إشـارات الخطر:أن الرسـل كانوا يأتون إليهم بالبينات و الآيات الواضحه و لكنهم يكذبون بها،حتى يدمر اللّه عليهم قريتهم.

تِلْكَ الْقُرىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبٰائِهٰا وَ لَقَدْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ فَمٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمٰا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ إنهم كذبوا بالقيم أول ما انحرفوا،فجاءت الرسل تنذرهم بالخطر من بعد أن تراكمت ذنوبهم و أحاطت بهم فلم يعبأوا بذلك.

كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِ الْكٰافِرِينَ حين يكفر المرء يؤثر الكفر فى قلبه فينغلق دون التوجيه السليم،ذلك لأن الكفر يأتى نتيجه الاستكبار عن الحق،و الغرور بالذات،و حين يستجيب المرء للكفر يزداد تكبرا و غرورا،و هكذا حتى تنسدّ منافذ قلبه جميعا،حيث إن الاستكبار عدو الفهم السليم.

[۱۰۲]و اللّه سبحانه حين أهلك الأمم السابقه لم يهلكهم إلاّ بعد أن توافرت فيهم أسباب الهلاك و منها:نقض العهد،و الفسق،أما نقض العهد فهو حاله نفسيه تنعكس فى تعامل الإنسان مع القيم و التزامات البشر،فالكذب و الغيبه،و التهمه و إخلاف المواعيد،و الغش و التدليس،و النفاق كل ذلك من مظاهر نقض العهد، حيث يتظاهر الفرد بشىء،و يتعهد به ظاهرا و لكنه ينقضه،و كذلك عدم الدفاع عن الوطن،و عدم التعاون فى مقاومه الظلم أو مواجهه مشكلات طبيعيه.

أما الفسق فهو تجاوز الحد فى السلوك الشخصى مثل:أكل الحرام،و التهاون فى الحقوق.

وَ مٰا وَجَدْنٰا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنٰا أَكْثَرَهُمْ لَفٰاسِقِينَ

[سوره الأعراف (۷): الآيات ۱۰۳ الی ۱۰۸]

اشاره

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسیٰ بِآیاتِنا إِلیٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ اَلْمُفْسِدِینَ (۱۰۳) وَ قالَ مُوسیٰ یا فِرْعَوْنُ إِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ اَلْعالَمِینَ (۱۰۴) حَقِیقٌ عَلیٰ أَنْ لا أَقُولَ عَلَی اَللّهِ إِلاَّ اَلْحَقَّ قَدْ جِئْتُکُمْ بِبَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ فَأَرْسِلْ مَعِیَ بَنِی إِسْرائِیلَ (۱۰۵) قالَ إِنْ کُنْتَ جِئْتَ بِآیَهٍ فَأْتِ بِها إِنْ کُنْتَ مِنَ اَلصّادِقِینَ (۱۰۶) فَأَلْقیٰ عَصاهُ فَإِذا هِیَ ثُعْبانٌ مُبِینٌ (۱۰۷) وَ نَزَعَ یَدَهُ فَإِذا هِیَ بَیْضاءُ لِلنّاظِرِینَ (۱۰۸)

اللغه

۱۰۵[حقیق]:جدیر و خلیق.

۱۰۸[مزع]:النزع ازاله الشیء عن مکانه الملابس له المتمکن فیه کنزع الرداء عن الإنسان،و النزع و القلع و الجذب نظائر،و فلان ینازع إذا أرادت روحه أن تفارق جسده.

ص:۳۹۵

الظلم بآيات اللّه

اشاره

و عاقبه المفسدين

هدى من الآيات:

بعـد الحـديث عن تلك المجتمعات التى بادت و هلكت بسـبب فسادها،جاء الحـديث يبيّن لنا عاقبه مجتمع آخر أعرق حضاره و أشـد جـاهليه و أطـول صـراعا،ذلـك هـو مجتمـع فرعـون و ملائه،و يطول الحـديث القرآنى حول هـذا المجتمع هنـا و فى سور أخرى،ربما لأنه أقرب صوره للمجتمع الذى سوف يتكون بالإسلام.

موسـى(عليه السـلام)يبعثه اللّه بالآيـات البينـات الى فرعون و ملائه من المسـتكبرين حوله،و لكنهم يظلمون الآيـات،فاعتبر بعاقبه هؤلاء المفسدين،تلك العاقبه المشتركه فى الجذور و السـنن بالرغم من الاختلاف فى التفاصـيل المشتركه بين قوم موسـى و قوم نوح و هود و صالح و لوط و شعيب،تلك العاقبه التى لو استخلص المرء عبرها لاستطاع أن يتجنبها.

و جاء موسى(عليه السلام)الى فرعون ليعرّف نفسه بأنه رسول رب العالمين،

و أنه يجب ألاّ يقول على اللّه إلاّ الحق،و انه جاء ببينه من اللّه و برساله هى إنقاذ بنى إسرائيل المستضعفين.

و تحدى فرعون موسى(عليه السلام)و طالب بالآيات إن كان صادقا، و استجاب موسى(عليه السلام)لتحديه فَأَلْقىٰ عَصٰاهُ فَإِذٰا هِيَ ثُعْبٰانٌ مُبِينٌ، وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذٰا هِيَ بَيْضٰاءُ لِلنّٰاظِرِينَ .

و هكذا بدأ الصراع بين فرعون و رسول اللّه الذى يحدثنا السياق عنه عبر دروس عديده.

بينات من الآيات:

ظلم الحقائق:

[۱۰۳]الظلم قد يقع على البشر و قد يقع على فكره أو حقيقه،و البشر المظلوم لا بدّ أن يأخذ حقه عاجلا أم آجلا،كذلك الحقيقه المظلومه التى ترك الظالم العمل بها أو حتى الاعتراف بها،و حين تظلم الحقيقه يعم الفساد،و عاقبه الفساد هى الهلاك، و هكذا كانت قصه موسى مع قومه.

ثُمَّ بَعَثْنٰا مِنْ بَعْدِهِمْ أىّ من بعد تلك الرسالات و أولئك الرسل.

مُوسىٰ بِآيٰاتِنٰا إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلاَئِهِ كما فى المجتمعات السابقه كذلك فى مجتمع فرعون،كان الناس منقسمين الى الملأ و هم كبار القوم و العامه.

ص:۳۹۷

فَظَلَمُوا بِهَا أیّ بتلک الآیات، و الآیات هی العلامات التی تدل علی الحقیقه،و الظلم بها یعنی ظلم الحقیقه أو بالأحری ظلم الإنسان لنفسه عن طریق ظلم الحقیقه و کفره بآیاتها.

فَانْظُرْ کَیْفَ کٰانَ عٰاقِبَهُ الْمُفْسِدِینَ أو لم یهلکوا بخزی و عار،إن الفساد هو کل حرکه مخالفه لسنن اللّه فی الحیاه، و مخالفه لآیات الحقیقه،و إذا تدبرنا فی هذه المجموعه من الآیات ابتداء من الآیه (۵۶)من هذه السوره حیث تقول: (وَ لاٰ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاٰحِهٰا) و حتی آخر القصص التی تحکی عن صراع الأنبیاء مع مجتمعاتهم الجاهلیه یتبین لنا هذا المعنی العام للفساد و هو مخالفه سنن اللّه و آیات الحقیقه.

[۱۰۴]و اللّه سبحانه یصلح العالم،و ینزل علیه برکاته،و یکمل وجوده و یطوره نحو الأفضل،فهو رب العالمین،و لذلک فهو یبعث رسولا من لدنه الی البشر لذات الغایه التی من أجلها سخر الشمس و القمر و النجوم،و لذات الهدف الذی یرسل الریاح بشرا بین یدی رحمته.

وَ قٰالَ مُوسیٰ یٰا فِرْعَوْنُ إِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعٰالَمِینَ

بین التکذیب و التصدیق:

[۱۰۵]کان الرسل(علیهم السلام)یؤکدون فی دعوتهم علی هذه الحقیقه و هی:أن الکذب علی اللّه جریمه کبیره و ذنب عظیم،و هذا التأکید یکشف للناس أنهم(علیهم الصلاه و السلام)لا بدّ أن یکونوا واحدا من نوعین من الرجال:فاما أن یکونوا مجرمین من الدرجه الاولی-حاشاهم-و سیرتهم حافله بالأمانه

و الصدق و الفداء و هذه الصفات تكشف للناس غير ذلك،و إما أن يكونوا صادقين، و لولا هذا التأكيد المكرر على أن الافتراء على اللّه ضلاله كبرى و جريمه نكراء،لكنا نحتمل أن يكون النبى كاذبا لمصلحه الناس مثلا دون أن يعرف أهميّه الكذب أو مدى قبحه،و موسى(عليه السلام)بدأ حديثه مع فرعون بهذه الكلمه.

حَقِيقٌ عَلىٰ أَنْ لاٰ أَقُولَ عَلَى اللّٰهِ إِلاَّ الْحَقَّ أىّ يجب الا أقول على اللّه إلا الحقيقه،و هذا الوجوب أعرفه جيدا و اعترف به، فانى بعيد عن الكذب على اللّه بسبب اعتبار ذلك جريمه،و أكثر من هذا انى أملك بينه واضحه على ذلك.

قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرٰائِيلَ لقد كانت رساله اللّه على موسى ذات صفه اجتماعيه واضحه،حيث طالب موسى فرعون بكف الظلم عن بنى إسرائيل الذين استضعفهم فرعون،و من المعلوم ان موسى(عليه السلام)كان يهدف أيضا نجاه فرعون و قومه من ضلالتهم،لكن بدأ رسالته من حيث كان الانحراف الكبير أو الفساد العظيم،و هكذا ينبغى ألا تكون دعوه المصلحين فى الفراغ،بل متجهه الى أكبر انحرافات المجتمع لكشفها و إصلاحها.

[۱۰۶]أما فرعون رأس هرم المجتمع الفاسد،و قائد الملأ الكاذب فانه تحدى موسى(عليه السلام)،و طالبه بالآيه التى جاء بها.

قٰالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهٰا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ [۱۰۷]و استجاب موسى(عليه السلام)للتحدى فورا.

فَأَلْقیٰ عَصٰاهُ فَإِذٰا هِیَ ثُعْبٰانٌ مُبِینٌ [۱۰۸] وَ نَزَعَ یَدَهُ فَإِذٰا هِیَ بَیْضٰاءُ لِلنّٰاظِرِینَ کانت یده(علیه السلام)التی تشع بالبیاض.آیه واضحه علی صدق رسالته.

[سوره الأعراف (۷): الآيات ۱۰۹ الی ۱۱۶]

اشاره

قَالَ اَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (۱۰۹) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ (۱۱۰) قَالُوا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ وَ أَرْسِلْ فِي اَلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (۱۱۱) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (۱۱۲) وَ جَاءَ اَلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ اَلْغَالِبِينَ (۱۱۳) قَالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ اَلْمُقَرَّبِينَ (۱۱۴) قَالُوا يَا مُوسىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ اَلْمُلْقِينَ (۱۱۵) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ اَلنَّاسِ وَ اِسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جَاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (۱۱۶)

اللغه

۱۱۱[أرجه]:أخّر أمر عقوبتهما.

[حاشرين]:جامعين للسحره.

۱۱۶[و استرهبوهم]:خوّفوهم تخويفا شديدا.

ص:۴۰۱

تضلیل الملأ ضد رسالات اللّه

هدی من الآیات:

کانت تلک الرساله رساله اللّه ببیناتها و دلائلها،فلننظر الی ذلک الطرف لنری ما هو جواب المستکبرین من قوم فرعون؟ انهم اعتمدوا علی عده وسائل لمقاومه رساله اللّه،و لم یکن بینها بالطبع الاهتداء بها أو مواجهتها الحجّه بالحجه.

فأولا:قالوا لموسی انه ساحر علیم لیضللوا الناس عن رسالته.

ثانیا:استثاروا حب الأمن لدی الناس،و اتهموا موسی بتعکیر الأمن علیهم.

ثالثا:توسلوا الی القوه و اعتقلوا موسی و أخاه.

رابعا:جمعوا المشعوذین من سحره البلاط،و هکذا جاء السحره لفرعون و لکن لم یکن لهم رساله اجتماعیه أو اصلاحیه بل جاؤوا الیه طلبا للمال و الجاه،فوعدهم

ص:۴۰۲

فرعون أن يجعلهم من المقربين إليه،فسألوا موسى(عليه السلام)أن يلقى ما لديه أولا،فتحداهم موسى و طالبهم بالمبادره،فلما ألقوا سحرهم سحروا أعين الناس و استرهبهم سحرهم و قد كان سحرا عظيما.

و هكذا جمع الطاغوت كل قواه الماديه لمقاومه الرساله، و لكن ترى هل يقدر على ذلك؟ هذا ما يتحدث عنه القرآن الحكيم فى الدروس القادمه إنشاء اللّه.

بينات من الآيات:

التهم الرخيصه:

[۱۰۹]فى الاجابه على تلك الأدله الفطريه الواضحه قال الاشراف و المستكبرون من قوم فرعون:إن موسى ساحر عليم،فى محاوله لتضليل الجماهير المستضعفه.

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ و الناس كانوا يعرفون السحره آنئذ،و يعرفون انهم يستخدمون ما عندهم من علم و فن ليس فى خدمه الناس و انما فى خدمه السلاطين أو خدمه أغراضهم الدنيئه، و دائما يحاول أعوان الطاغوت ألقاء شبهه معينه بين الناس من النوع الذى يعرف الناس أمثاله،فمثلا:لو قام مفكر أصيل بنشر ثقافه ثوريه عاليه بين الناس اتهمه أولياء الطاغوت بأنه صحفى عميل،أو كاتب مأجور،لان الناس يعرفون كثيرا من الصحفيين العملاء و الكتاب المأجورين،حتى أنهم يشتبهون فعلا فى المفكر الأصيل،أو إذا قام عالم دين تقدّمى صالح لقياده ثوره الجماهير قالوا:انه رجل دين رجعى،لأنه كثيرا ما رأى الناس مثل ذلك.

[۱۱۰]ثم توسل أشراف قوم فرعون بما يتوسل إليه عاده كل الطغاه من اتهام الثوار بمحاوله تعكير صفو الأمن على الجماهير فقالوا:

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمٰاذٰا تَأْمُرُونَ و ثالث أسلوب استخدمه الملأ من قوم فرعون لمقاومه رساله اللّه كان الاعتقال، باعتباره حاجزا بين صاحب الرساله و بين الجماهير،و أما الأسلوب الرابع فكان حشد كل الذين يرضون ببيع علمهم و فنهم لقاء أجر محدود لمصلحه السلطات الطاغوتيه لذلك.

[۱۱۱] قٰالُوا أَرْجِهْ وَ أَخٰاهُ وَ أَرْسِلْ فِي الْمَدٰائِنِ حٰاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سٰاحِرٍ عَلِيمٍ أى اسجنه هو و أخاه،و أرسل الشرطه ليحشدوا السحره.

[۱۱۲]و يبقى السؤال:ما هو السحر؟ إن أساس السحر هو:التأثير فى الخيال فى الطرف الثانى لكى يزعم شيئا معينا غير الحقيقه،و السحر قد يكون عن طريق غسيل الدماغ الذى يستخدمه العلم الحديث،أو عن طريق الدعايات الباطله،و قد يكون عن طريق بعض أنواع الشعوذه،مثل ما فعله سحره فرعون حيث وضعوا الزئبق فى أجسام لينه تشبه العصى ثم ألقوها فتحركت بفعل تحرك الزئبق بحراره الشمس،و على العموم ليس السحر سوى استخدام الوسائل الطبيعيه الغير معروفه للناس فى سبيل إقناع الآخرين بغير الحقيقه.

[۱۱۳]و السحره أولئك المأجورون الذين لم تكن لديهم رساله فى الحياه إلاّ إشباع شهواتهم العاجله و قد سألوا فرعون قبل كل شيء عن الأجر.

وَ جٰاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قٰالُوا إِنَّ لَنٰا لَأَجْراً إِنْ كُنّٰا نَحْنُ الْغٰالِبِينَ و يبدو ان السحره كانوا يخشون الهزيمه بسبب معرفتهم ببطلان سحرهم،و أنهم لا يقولون الحق،كما يبدو أنهم قد اجهدوا أنفسهم فى الحصول على كل وسيله ممكنه من وسائل السحر،و لهذا سألوا فرعون الأجر.

[۱۱۴]أما فرعون الطاغوت الذى رأى أن كيانه يتداعى تحت ضربات عصى موسى المعجزه،فانه كان كريما فى إعطاء الوعود.

قٰالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ حيث عرف فرعون أن طائفه السحره يجب أن تكون على مقربه منه لمواجهه الظروف الطارئه،كما أن الملوك و الرؤساء و طغاه اليوم يصطحبون معهم رتلا من الصحفيين المأجورين،و المستشارين العملاء الذين باعوا ما لديهم من فكر و علم و أدب من أجل تدعيم نظام الظلم و القهر.

التحدى الرسالى:

[۱۱۵]و حشدت الجماهير،و وقف موسى يتحدى كلّ ذلك الكيان الطاغوتى، فرعون و جنوده و سحرته،يتحداهم وحده بالتوكل على اللّه،و الثقه المطلقه بوعده الصادق بنصره،لذلك.

قٰالُوا يٰا مُوسىٰ إِمّٰا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمّٰا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ [۱۱۶]قٰالَ أَلْقُوا فَلَمّٰا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النّٰاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جٰاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ

ان موسى(عليه السلام)واثق من النصر لأنه على حق،و لأنه يعتمد على ركن شديد هو اللّه سبحانه،لذلك أمرهم بأن يخرجوا ما لديهم من مكر و سحر،كما أمر نوح(عليه السلام)قومه بأن يجمعوا أمرهم و ان يأتوا اليه من دون نظره و مهل.

و هكذا كل الدعاه الى اللّه سبحانه يتحدون الأنظمه الطاغوتيه دون خوف، و ينازلونهم فى ميدان المواجهه الشامله،و هذا بذاته دليل صدقهم و اعتمادهم فقط على اللّه،و على الحق الذى يحملون رسالته.

ص:۴۰۶

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١١٧ الى ١٢۶]

اشاره

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنالِكَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ (١١٩) وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (١٢٠) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (١٢٢) قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢۴) قالُوا إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (١٢۵) وَ ما تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ (١٢۶)

ص:۴٠٧

الرساله تتحدی التضلیل و الإرهاب

هدی من الآیات:

و جاءت مرحله الحسم،و أوحی اللّه سبحانه الی موسی بإلقاء عصاه،فاذا بها تتحول الی ثعبان عظیم یبتلع سحر قوم فرعون،و إذا بالحق الذی کان یبشر به موسی أصبح واقعا،و الباطل الذی کان یحذّر منه تبین بطلانه للجمیع.

و انهزم فرعون و قومه و ذلوا،و کان أول من عرف عظمه المعجزه سحره فرعون أنفسهم حیث وقعوا ساجدین للّه،و هتفوا بأنهم آمنوا برب العالمین رب موسی و هارون،و ارتاع فرعون،و عرف أنه لا یجدیه السحر و المکر شیئا،و أن علیه أن یستخدم آخر الأسلحه و هو سلاح الإرهاب،فقهر سحرته و قال لهم:أ تؤمنون بموسی قبل أن یصدر الاذن منی و اقرر نهایه المعرکه لصالح موسی باعتباری ملکا،ثم اتهمهم بما یتهم کل طاغوت من یخرج علیه،اتهمهم بأنهم یهدفون إشاعه الفوضی و المؤامره علی أمن البلد،و یریدون إخراج الناس،و هددهم بأنه سوف یصلّبهم أجمعین.

أما المؤمنين فإنهم تقبلوا التهديد بكل رحابه صدر و قالوا:إن الموت هو جسر العبور للعوده الى اللّه تعالى،و قالوا له:ان تهمك باطله،و انما تريد أن تعذبنا لأننا آمنا بآيات ربنا،و علامات الحقيقه حيث جاءتنا،و طلبوا من اللّه سبحانه ان يمدهم بالصبر،و أن يختم عاقبتهم بالخير.

و هكذا اسدل الستار على مشهد آخر من مشاهد صراع الحق و الباطل.

بينات من الآيات:

التوكل على اللّه سرّ العظمه:

[١١٧]موسى الذى تحدى كلّ ذلك الطغيان الجاهلى العظيم بسحره و جبروته و ارهابه لم يفعل ذلك بقدرته الذاتيه،بل بالقدره المعنويه-بالتوكل على اللّه- و هذا هو سر العظمه،إذ لو كان موسى يملك سحرا أقوى ثم يتحدى سحر السحره،أو كان يملك جيشا أكبر ثم يتحدى الطاغوت فرعون،أو يملك جماهير أكثر إذن ما كان له هذا الفخر و هذه العظمه،انما كان يتحدى الجاهليه بعصاته التى يخشى منها حين يلقيها،لأنه لا يعرف كيف تتحول الى ثعبان،و حين وقف موسى أمام السحره و رأى سحرهم العظيم،و أنهم استرهبوا الجماهير،و كادوا يضللونهم أوجس فى نفسه خيفه،لأنه يخاف من غلبه الجهال و دول الضلال كما جاء فى الحديث،و لكن يشاء ربه امتحان الناس بهذا السحر،و امتحان استقامته،و حين ينتصر موسى بعصاه حينذاك تكون عظمه موسى،لأنه يعتمد على الايمان،و يضحى بنفسه فى هذا المجال،لذلك يؤكد ربنا على الوحى فى مواجهه الجاهليه و يقول:

وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ مُوسىٰ أَنْ أَلْقِ عَصٰاكَ فَإِذٰا هِيَ تَلْقَفُ مٰا يَأْفِكُونَ أىّ تبتلع إفكهم و انحرافهم و كذبهم.

ص:۴۰۹

[۱۱۸]و حین یصبح الحق واقعا عینیا یؤمن به الجمیع،و لکن قبل ذلک لا یؤمن به سوی أصحاب البصائر النافذه و الرؤی الصادقه.

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ إنهم عملوا الباطل و أرادوا تکریسه،و لکن الحق و هو سنه اللّه و فطرته و قانونه فی الحیاه هو الذی انتصر أخیرا،فالظلام فی اللیل یزیله بصیص نور شمعه،و کما ان هذه الشمعه قطعت الظلام کذلک النور فی النهار،و کذلک العداله الاجتماعیه و کذلک فی المقابل سقوط الظلم و انهیار الفساد.

[۱۱۹]أما قوم فرعون فلحقهم الخزی و الهزیمه.

فَغُلِبُوا هُنٰالِکَ وَ انْقَلَبُوا صٰاغِرِینَ [۱۲۰]و المفاجئه کانت حین ألقی السحره ساجدین،تلک کانت الاصابه فی مقتل النظام الماکر.

وَ أُلْقِیَ السَّحَرَهُ سٰاجِدِینَ [۱۲۱]قٰالُوا آمَنّٰا بِرَبِّ الْعٰالَمِینَ [۱۲۲] رَبِّ مُوسیٰ وَ هٰارُونَ

فلسفه الاستبداد:

[۱۲۳]للاستبداد و الدکتاتوریه فلسفه یعتمد علیها و یشیعها الطاغوت بین الناس،هذه الفلسفه هی قاعده کل تشریعاتها،و منطلق کل تصرفاتها،و هی:

المحافظه علی الأمن ضد العدو الخارجی أو الداخلی،حتی ان الطواغیت یصطنعون

عـاده أعـداء و همين،أو يستزيـدون عـداء الشـعوب فيختلقون الحروب لكى يعتمـدوا عليهـا فى ترسـيخ كيـانهم الباطـل،و فرعون كـذلك عـاد الى تلـك الفلسـفه البـاطله لكى يخرج من ورطته المخزيه،حيث أنهار عمود من أعمـده حكمه و هو السـحر،و وقع السحره ساجدين للّه لذلك.

قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إن فرعون انطلق من فكره خاطئه هى:أن ملكه و نظامه هو أساس امن البلـد، لـذلك فانكم حين آمنتم بموسى قبل ان تستصدروا الاذن منى فانكم خالفتم هذا الأساس،لذلك قال فرعون:

إِنَّ هٰذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِى الْمَدِينَهِ أو بالتعبير الشائع اليوم انها مؤامره قمتم بها فى البلد.

لِتُخْرِجُوا مِنْهٰا أَهْلَهٰا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [۱۲۴]و عاد الى السـلاح الأخير و هو الإرهاب،ذلك السـلاح الذى تعتمد عليه الديكتاتوريه قبل كل شـىء،بالرغم من أنها لا تصـرح به،و من أهم نتائج الصراعات الرساليه مع الديكتاتوريه هو:فضح اعتمادها على الإرهاب ليعرف الجميع أن الادعاءات الاخرى إن هى إلّا غطاء لهذا السلاح.

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاٰفٍ أىّ تقطيع الرجل من طرف و اليد من طرف آخر.

ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ و ذلك للجمع بين النوعين من أنواع الاعدام،الاعدام بنزف الدم من اليد

ص:۴۱۱

و الرجل المقطوعتين من اليمين و اليسار،و الاعدام بالصلب فى جذوع النخل،و ذلک بشد الفرد على الجذوع حتى يقضى عليه تنكيلا به،و ليشهد موته كل الناس فيكون رادعا لهم عن الايمان بالرساله.

[۱۲۵] قَالُوا إِنَّا إِلىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ [۱۲۶] وَ مَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ و هكذا استعد السحره التائبون لمواجهه مكر فرعون و كيده،تضليله و إرهابه،فمن جهه قالوا له:إنّ غضبک علينا ليس إلاّ لأننا عدنا الى حريتنا و استقلالنا و آمنا بالحق من دون إذنک،و من جهه ثانيه تضرعوا الى اللّه ليرزقهم الصبر الشامل، و الاستقامه حتى الموت،و ذلک لمواجهه إرهاب فرعون و بذلک أتمّ اللّه حجته على سائر الملأ من قوم فرعون الذين ظلّوا على جهالتهم خشيه فرعون و بطشه،حيث ان السحره أيضا تعرضوا لمثل ذلک و لكنهم صبروا و استقاموا بالتوكل على ربهم،و أتمّ اللّه حجته على بطانه المستكبرين عبر التاريخ انهم قادرون على التوبه الى اللّه إن شاؤوا،كما فعل سحره فرعون التائبون،و أتم حجته على الناس ليعلموا ان إيمان المؤمنين لم يكن بدافع مصلحى أبدا.

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۲۷ الی ۱۲۹]

اشاره

وَ قالَ اَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي اَلْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَ إِنّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ (۱۲۷) قالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اِسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ وَ اِصْبِرُوا إِنَّ اَلْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ اَلْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۱۲۸) قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي اَلْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (۱۲۹)

ص:۴۱۳

حکمه حیاه البشر تجربه إرادته

هدی من الآیات:

و انتهت الجوله الاولی من المعرکه بین موسی و فرعون و ملائه بانتصار الرساله، و استعاده موسی حریته،و اتبعته الجماهیر المستضعفه من قومه،و جاء المستکبرون یخبرون فرعون بأن موسی و قومه یفسدون علیه الأمر،و یهدمون نظامه الطاغوتی، و یتمردون علیه و علی نظامه السیاسی و الدینی،فخطط فرعون لمرحله جدیده من الإرهاب و قال:سنقتّل أبناء بنی إسرائیل و نبقی علی نسائهم أحیاء و نستخدم القوه القهریه علیهم،و قال موسی لقومه و هو یحثّهم علی مقاومه الضغوط استعینوا باللّه -بالایمان به،و بالثقه بوعده،و بالمناهج الثوریه التی وضعتها لکم القیاده الحکیمه-و أمرهم بالصبر و بیّن لهم أن الأرض لیست ملکا لفرعون و قومه حتی یستحیل انتزاعها منهم،بل هی ملک للّه یعطیها من یشاء من عباده،و العاقبه للمتقین.

أما قوم موسی فقد فرغ صبرهم و قالوا له:إننا تحملنا الأذی قبل و بعد مجیئک

ص:۴۱۴

إلینا،و لکن موسی طمأنهم و قال: عَسیٰ رَبُّکُمْ أَنْ یُهْلِکَ عَدُوَّکُمْ وَ یَسْتَخْلِفَکُمْ فِی الْأَرْضِ بالانتصار علیهم،و الهدف من استخلافکم هو:اختیارکم،و امتحان عملکم بعد الانتصار.

بینات من الآیات:

بعد العسر یأذن اللّه بالنصر:

[۱۲۷]و ینصر اللّه سبحانه الرسالیین فی أوقات الأزمات الشدیده کما نصر موسی عند ما أراد فرعون سحق رسالته بالسحر،بید أن من واجب الرسالیین آنئذ ألاّ یدعو لحظه واحده لا یستفیدوا منها فی توعیه الجماهیر و تنظیمهم،و ترسیخ دعائم الثوره،و هدم أسس النظام الفاسد،و ذلک استعدادا لجوله جدیده من المعرکه الساخنه مع النظام الطاغوتی،فهذا موسی(علیه السلام)بعد ان انتصر علی فرعون، و استعاد منه حریته،جمع حوله الأنصار،و أخذ یفسد نظام فرعون الطاغوتی من کل جهه ممکنه،و یهدم أساس کیانه و هو الاعتماد علی السلطه السیاسیه الطاغوتیه التی یمثلها فرعون رأس النظام ذاته،و أیضا السلطه الدینیه و الثقافیه الفاسده التی کان یمثلها:الکهنه و الأحبار لذلک جاء کبار رجال فرعون و مستشاروه الیه یخبرونه بالأمر،و یحذرونه منه.

وَ قٰالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسیٰ وَ قَوْمَهُ لِیُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ یَذَرَکَ وَ آلِهَتَکَ یبدو لی:أن مرادهم بالفساد فی الأرض هو هدم الانظمه التفصیلیه،و الکیانات و المؤسسات المختلفه للدوله،بینما المراد من ترک فرعون هو ترک سلطانه السیاسی، و المراد من ترک الآلهه ترک خلفیه هذا النظام السیاسی و الثقافی.

ص:۴۱۵

[۱۲۸]و حین استخدم فرعون سلاحه الأخیر،و أراد تصفیه المستضعفین جسدیا، أمر موسی قومه بالاستعانه باللّه،و یتساءل المرء:ما هی الاستعانه باللّه؟ و نعرف الاجابه إذا تذکّرنا بأن للّه الأسماء الحسنی،و حین یؤمن العبد بربه یسعی لتجسید ما استطاع من تلک الأسماء فی ذاته،فالعزه للّه و لرسوله و للمؤمنین، و حین یتصل العبد باللّه تتجلی فیه صفه العزه الالهیه،کما تتجلی فیه صفه القدره، و عدم الخضوع لضغوط الشهوات،أو الاستسلام للمتغیرات الآنیه العاجله،و بقدر ذلک تتجلی فیه صفه الرحمه و الشده و الحکمه و العلم و..و..

و کلما زادت الأسماء الالهیه الحسنی فی المؤمن تجلیا و ظهورا کلما أصبح أقدر علی مواجهه المصاعب و تسخیر الحیاه،و اللّه سبحانه خلق لعباده وسائل للتقرب الیه، و للاتصال بینابیع قدرته و عظمته،و الأخذ بتلک الوسائل هو الاستعانه باللّه،فکلما تمسک المؤمن بتلک الوسائل کلما أصبح أشد قدره و أکبر عظمه،و التقوی هی جماع تلک الوسائل،أما تفاصیلها فهی تلک المناهج التشریعیه المعروفه فی الإسلام و فی سائر الرسالات.

و من أبرز تلک الوسائل هی:الولایه الالهیه التی تتجلی فی القیاده الرسالیه النابعه من المبدأ،حیث ان الاستعانه باللّه تعنی بالضروره المزید من التمسک بهذه القیاده،و توحید الجهود تحت رایتها،لذلک فحین أمر موسی(علیه السلام)قومه بالاستعانه باللّه کان یعنی کل ذلک،و لکن مع ذلک رکّز موسی(علیه السلام)علی صفتین أساسیتین هما:الصبر و التقوی،الصبر لرؤیه المستقبل و الاستقامه علی مشاکل الحاضر،و التقوی للالتزام بکل المناهج المفصله التی تضمن تفجیر الطاقات، و استغلال المواهب،و تربیه الشخصیه الرسالیه العامله،و بالتالی توفیر کافه عوامل النصر فی الفرد و المجتمع الرسالی من عوامل مادیه أو معنویه..من هنا:

قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهٰا مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ الْعٰاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ و معرفه هذه الحقيقه و هى:أن السلطه الحاكمه ليست أبديه،و إنما هى نتيجه عوامل و معادلات سياسيه اجتماعيه،و انه لو غيرنا المعادله و العوامل سقطت السلطه، و جاء بديلها السلطه الأكثر قوه و كفاءه،و هى حكومه المتقين،معرفه هذه الحقيقه تفجر طاقات الجماهير المستضعفه و تعطيها الأمل و الصمود.

[۱۲۹]و أما قوم موسى فقد طفح كيلهم،و كاد اليأس يحيط بقلوبهم حيث:

قٰالُوا أُوذِينٰا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنٰا وَ مِنْ بَعْدِ مٰا جِئْتَنٰا و لكن حين تفقد الامه قدره الاحتمال من شده الضر الذى يصيبها،و حين تتضرع الى اللّه و ينقطع أملها من النجاه بالوسائل الاصلاحيه المتدرجه،و تعرف أن تغييرا جذريا فى شخصيتها و فى علاقاتها مع بعضها و مع الطبيعه أنه الكفيل بنجاتها، و هذا لا يمكن إلاّ عن طريق الايمان باللّه و برسالاته،حينذاك فقط تنزل عليها رحمه اللّه سبحانه لذلك ذكرهم موسى و..

قٰالَ عَسىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ و الانتصار إنما هو بهدف الامتحان،و على الأمه ألاّ تفكر فى ذلك الانتصار الرخيص الذى هدفه استعلاء طائفه،و استكبار فريق مكان فريق آخر، بل تفكر سلفا أن الانتصار لا يحصل لفريق أو لحزب أو لطائفه بل للمبدأ،و تعمل الأمه فى هذا المجال حتى تنجح بإذن اللّه.

لذلك فان الحركات الحزبيه التى همها انتصارها هى لا انتصار الأمه،تفشل فى الأكثر،لأن اللّه لا ينصر أمه إلاّ بعد أن تتضرع إليه،و يكون هدفها رساليا خالصا.

ص:۴۱۷

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۳۰ الی ۱۳۷]

اشاره

وَ لَقَدْ أَخَذْنٰا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِینَ وَ نَقْصٍ مِنَ اَلثَّمَرٰاتِ لَعَلَّهُمْ یَذَّکَّرُونَ (۱۳۰) فَإِذٰا جٰاءَتْهُمُ اَلْحَسَنَهُ قٰالُوا لَنٰا هٰذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَیِّئَهٌ یَطَّیَّرُوا بِمُوسیٰ وَ مَنْ مَعَهُ أَلاٰ إِنَّمٰا طٰائِرُهُمْ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (۱۳۱) وَ قٰالُوا مَهْمٰا تَأْتِنٰا بِهِ مِنْ آیَهٍ لِتَسْحَرَنٰا بِهٰا فَمٰا نَحْنُ لَکَ بِمُؤْمِنِینَ (۱۳۲) فَأَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمُ اَلطُّوفٰانَ وَ اَلْجَرٰادَ وَ اَلْقُمَّلَ وَ اَلضَّفٰادِعَ وَ اَلدَّمَ آیٰاتٍ مُفَصَّلاٰتٍ فَاسْتَکْبَرُوا وَ کٰانُوا قَوْماً مُجْرِمِینَ (۱۳۳) وَ لَمّٰا وَقَعَ عَلَیْهِمُ اَلرِّجْزُ قٰالُوا یٰا مُوسَی اُدْعُ لَنٰا رَبَّکَ بِمٰا عَهِدَ عِنْدَکَ لَئِنْ کَشَفْتَ عَنَّا اَلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَکَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَکَ بَنِی إِسْرٰائِیلَ (۱۳۴) فَلَمّٰا کَشَفْنٰا عَنْهُمُ اَلرِّجْزَ إِلیٰ أَجَلٍ هُمْ بٰالِغُوهُ إِذٰا هُمْ یَنْکُثُونَ (۱۳۵) فَانْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنٰاهُمْ فِی اَلْیَمِّ بِأَنَّهُمْ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا وَ کٰانُوا عَنْهٰا غٰافِلِینَ (۱۳۶) وَ أَوْرَثْنَا اَلْقَوْمَ اَلَّذِینَ کٰانُوا یُسْتَضْعَفُونَ مَشٰارِقَ اَلْأَرْضِ وَ مَغٰارِبَهَا اَلَّتِی بٰارَکْنٰا فِیهٰا وَ تَمَّتْ کَلِمَتُ رَبِّکَ اَلْحُسْنیٰ عَلیٰ بَنِی إِسْرٰائِیلَ بِمٰا صَبَرُوا وَ دَمَّرْنٰا مٰا کٰانَ یَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ مٰا کٰانُوا یَعْرِشُونَ (۱۳۷)

اللغه

۱۳۵[ینکثون]:انکث نقض العهد الذی یلزم الوفاء به.

ص:۴۱۸

۱۳۷[یعرشون]:یبنون،یقال عرش مکه أی بناؤها.

۱۳۹[متبّر]:مهلک مدمر.

ص:۴۱۹

و هكذا نصر اللّه عباده بالغيب

هدى من الآيات:

و هذا مشهد آخر من مشاهد الصراع بين الرساله و الرجعيه الجاهليه،حيث إن اللّه أراد أن يهدى آل فرعون عن طريق كسر غرورهم،و تذليل نفوسهم المستكبره بالمصائب و المشكلات،و لكنهم استكبروا و كانوا يزعمون أن الخير و الرفاه هو الأصل فى حياتهم و هو منهم،و أما الشر و المصائب فهى من نحس موسى(حاشاه)و لم يكونوا يشعرون بأن كل خير أو شر انما هو من عند اللّه ينزله بسبب أعمال العباد.

و حين لم تنفع هذه الوسيله فى هدايتهم،بل صرحوا بأن الآيات هذه(سواء العصى و اليد البيضاء أو المصائب و المشكلات كالجدب و نقص الثمرات)لا تجديهم نفعا،و أنهم لن يؤمنوا بالرساله مهما كان،آنئذ أخذهم بالعذاب.

و لقد أرسل اللّه عليهم الطوفان،و انتشر فيهم الجراد و القمّل و الضفادع و الدم بأمر منه سبحانه و كانت هذه الآيات مفصله و واضحه،لكنهم استكبروا عنها و كانوا قوما مجرمين،فاذا كانوا فاسدين فكريا و عمليا.

ص:۴۲۰

إنهم كانوا يتوسلون بموسى كلما يقع عليهم الرجز،و يصيبهم العذاب، و يتعهدون له بالايمان لو كشف اللّه عنهم الرجز،و لكنهم كانوا ينكثون كلما كشف اللّه عنهم العذاب لأجل محدّد.

و كانت تلك المصاعب و المصائب تستهدف هدايتهم،و لكن حيث كفروا و استكبروا حان وقت الانتقام و العذاب،فأغرقهم اللّه فى البحر بسبب تكذيبهم و غفلتهم عن آيات اللّه،و عواقب التكذيب بها.

بينات من الآيات:

الغرور سبب الكفر:

[۱۳۰]سبب كفر الإنسان و تكذيبه بآيات اللّه هو استكباره و غروره،و كلما كانت حضاره الإنسان و مدنيته و غناه أكثر كلما كان غروره أكبر.

و لكى يكسر اللّه غرور البشر،فيرتفع عنهم هذا الحجاب الكثيف فيرون الحقيقه،فانه يبعث إليهم رسولا ينذرهم و يحذرهم،و يعمل بكل طاقته فى سبيل إثاره فطرتهم،و تنوير قلوبهم،و إيقاظهم من السبات،و لكن إذا ظل أولئك كافرين و مستكبرين عن الحقيقه فهنا يتخذ ربنا سبيلا أخر لهدايتهم هو:ابتلاؤهم فى أموالهم أو فى نفوسهم ببعض البلاء العام،فاذا لم ينتفعوا بها أيضا أخذهم اللّه بالعذاب الشديد،لذلك أخبر اللّه عن آل فرعون و قال:

وَ لَقَدْ أَخَذْنٰا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ایّ بالقحط و الجدب،و كانوا قبل ذلك مغرورين بالأنهار التى تجرى من تحتهم، و بالنيل الذى فجر اللّه به خيرات الأرض لهم.

وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَرٰاتِ كـان المطر يملأ مراعيهم خضـره،و يملأ نيلهم مـاء فيسـقى البسـاتين فتزداد الثمرات،و لكن حين قلّ المطر أصبحت الصحارى جفافا و البساتين يابسه.

لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فيعرفون أن هذه المدنيه ليست من ذاتهم بل من اللّه سبحانه.

[۱۳۱]البشـر قـد يغفل و قـد ينام و قـد يغمى عليه،و لكنه بالمعالجه يتـذكر و يستيقظ و يحس،أمّا الـذى فسـدت رؤيته و انحرفت ثقافته فانه لا تنفع معه المعالجه، فمثلا:البشـر العادى حين تراه قد استغنى و لا يحتاج الى أحد يستبد به الغرور و الاستكبار،و لكن إذا فقد سبب غروره و افتقر عادت نفسه الى حالته الأوليه و تقبّل الهدايه.

أما البشـر المعقـد الـذى تحضّـر و اسـتبدت به ثقافه خاطئه،و فقـد فطرته الأوليه،فان تلك الثقافه تبقى معه حتى بعـد رحيل النعم عنه،و عودته الى الحـاله الطبيعيه،فلا يزال مغرورا بـذاته و بمنجزات آبائه و بمكاسـبهم،لـذلك لا يصـدق نفسه حتى أن نزل عليه البلاء،بل و يزعم ان هـذا البلاء انما سـببه بعض الطوارئ الخارجه عن إرادته، و انه اسـتثناء،إذ يزعم أن الحضاره جزء من ذاته،و معلوله عن عنصره،و عن بلده و عن أفكاره،لذلک ترى قوم فرعون ينسبون الحسنه الى أنفسهم و السيئه الى موسى(عليه السلام).

فَإِذٰا جٰاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قٰالُوا لَنٰا هٰذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسىٰ وَ مَنْ مَعَهُ يقولون ان السيئه انما هى بسبب موسى،كما تنسب الأنظمه الفاسده اليوم المشاكل كلها الى الحركات الثوريه،حيث تزعم انها-دون فساد أنظمتهم-

ص:۴۲۲

سبب التخلف الاقتصادى و التبعيه و الإرهاب و ما أشبه.

أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ المشاكل ليست بسبب هذه الحركه أو تلك الفكره،و إنما بسبب النظام ذاته و بسبب فساد الأعمال،و اللّه هو الذى يقدر الخير و الشر،و الحسنه و السيئه حسب قوانين دقيقه و ثابته عند اللّه سبحانه،يجريها ربنا بحكمته البالغه و بعلمه النافذ، و معرفه هذه الحقيقه تعطى البشر قدره على التحكم فى الحياه.

التطرّف فى الكفر:

[۱۳۲]و بلغ الكفر و الجحود بآل فرعون حدّا بنوا بينهم و بين الحقيقه سدّا منيعا من الجحود،و تشبثوا بسلسله من الأفكار المخدره التى تفسر كلّ آيات الحقيقه و معالمها ببعض التفسيرات الباطله.

وَ قالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَهٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَکَ بِمُؤْمِنِينَ فموسى(عليه السلام)لا يزال عندهم ذلك الساحر العليم الذى يعرف كل و سائل السحر،و هدفه ليس هدايه البشر بل تسخير الناس لأهدافه الخاصّه،لذلك فهم مصرّون على الكفر به،و بآياته أنى كانت واضحه.

و هذه المرحله السحيقه من الكفر هى أخطر دركات السقوط،حيث يصنع الفرد لنفسه تابوتا من المسلمات الفكريه و يصمم على الاحتفاظ بها أنّى كان الثمن،إنه عين الضلاله و قمه التعصب الأحمق.

على الإنسان أن يبقى أبدا مفتوح العين،يقظ الضمير،نابه الروح،و لا يقتل وجدانه تحت مطرقه شهواته،و لا يعمى عينه بمسامير بغضه و حقده،و لا يميت ضميره

ص:۴۲۳

بحب أو بغض.

إن كثيرا منا يزعم انه إذا فتح عينه مره واحده،و اتّخذ طريقا لنفسه يستطيع أن يبقى على ذات الطريق الى الأبد،و يستغنى عن عينه،و لكن كلا.. إن عقل الفرد يتكامل،و روحه تكبر حتى تتسع لمزيد من الحقائق،و فكره ينمو،و العالم يتغير، و آيات الحقيقه تترى..و لذلك فعلى الإنسان أن يبقى أبدا على يقظه و انتباه، و يستغل كلما لديه من وسائل اكتشاف الحقيقه من عقل و ضمير.

[۱۳۳]و لأن آل فرعون افقدوا أنفسهم نعمه البصيره،و اختاروا التفسير الخاطئ لكل الحوادث،فان الآيات المختلفه التى توالت عليهم لم تزدهم إلاّ رسوخا فى الكفر،و توغلا فى الجحود،لذلك أرسل اللّه عليهم الطوفان ففاضت أوديتهم حتى دخل الماء بيوتهم،فنصبوا الخيام فى الصحراء،ثم أرسل اللّه عليهم الجراد فأكلت محاصيلهم الزراعيه،و انتشر فيهم القمّل،و الحشرات،و الضفادع التى توالدت بسرعه فى برك الماء المكونه من الفيضانات،و ابتلوا بالدم ربما بسبب الرعاف أو بعض الأمراض الآتيه بسبب بعض الجراثيم(كما قال بعض المفسرين) و لكن كل ذلك لم ينفعهم علما و هدى.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَ الْجَرَادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفَادِعَ وَ الدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا و تعالوا عن الحقيقه،و زعموا أن ذواتهم هى أعلى من الحقيقه،و أرادوا تغيير قوانين الكون حسب أهوائهم،لا تزكيه ذواتهم حسب أنظمه الكون.

وَ كَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ حيث انهم ظلموا أنفسهم باستكبارهم عن الحقيقه،إن تقدم البشر فى أى حقل

ص:۴۲۴

من حقول الحياه انما هو رهن بمعرفه أنظمه الكون،و استغلال هذه المعرفه من أجل تسخير الحياه،و تبدأ مسيره البشر القهقرى حين يستهين بهذه الأنظمه،و يتعالى عنها فيظلم نفسه بذلك.

كذب و استكبار:

[۱۳۴]و لقد أتمّ اللّه حجّته على آل فرعون بتلك المصائب التى توالت عليهم، إذ ان البلاء يكشف الحجب الكثيفه التى يجعلها الفرد على عينيه مثل:التعصب، و الحقد،و الحب المفرط،و لكن إذا انكشف البلاء عادت الحجب،و عادت مشكله الجحود.

وَ لَمّٰا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ و هو العذاب الآتى بسبب الانحراف،و الشذوذ فى الطبيعه أو فى السلوك.

قٰالُوا يٰا مُوسَى ادْعُ لَنٰا رَبَّكَ بِمٰا عَهِدَ عِنْدَكَ إن نظرتهم الماديه الضيقه لم تزل لاصقه بأذهانهم،إذ انهم لا يزالون يزعمون أن الهدف من بعثه موسى هو الانتفاع من وجوده فى كشف الضر عنهم،و لم يفقهوا دور المعنويات فى حياه البشر،و أن رسالات اللّه تنفع البشر فى رفع معنوياتهم، و وضع برامج صائبه لهم،و ليس فقط فى دفع البلاء الذى يصيبهم بسوء أعمالهم،أما آل فرعون فقد كانت نظرتهم الى الدين و الى حاملى رسالته كنظره كثير منا حيث نريد الدين لمصالحنا الذاتيه لذلك قالوا:

لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ و الرجز يكشفه اللّه بالتوبه و العمل الصالح،و لكنهم نسبوا الأمر الى موسى (عليه السلام)لقصر نظرهم.

ص:۴۲۵

لَنُؤْمِنَنَّ لَکَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَکَ بَنِی إِسْرٰائِیلَ [۱۳۵]و لکن هل کانوا یصدقون؟کلا..

فَلَمّٰا کَشَفْنٰا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلیٰ أَجَلٍ هُمْ بٰالِغُوهُ إِذٰا هُمْ یَنْکُثُونَ عهدهم و یعودون الی سابق کفرهم و جحودهم،و عند ذاک تکتمل حجه اللّه علیهم،إذ لا یمکنهم فی یوم الانتقام التعلل بأنهم إنما کفروا غفله أو جهلا،فقد عرفوا الحقیقه و لجؤوا إلیها،و تعهدوا بالوفاء لها عند ما أحاط بهم البلاء،و الآن ینقضون العهد،و هذه التجربه یمر بها کل فرد و کل مجتمع،حیث إن اللّه سبحانه یأخذ البشر بالبأساء و الضراء لکی یرفع عن أنفسهم حجب الغفله و النسیان،و لکی یحتج علیهم لو عادوا الی الکفر بعد الایمان فی أوقات العسره.

سوء المصیر:

[۱۳۶]و حان میعاد الانتقام،و أغرق اللّه آل فرعون فی البحر بسبب تکذیبهم بآیات اللّه،و بالتالی بالحقائق التی وراءها،و بسبب غفلتهم عنها و عن دورها فی سعادتهم و خلافتهم.

فَانْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنٰاهُمْ فِی الْیَمِّ بِأَنَّهُمْ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا وَ کٰانُوا عَنْهٰا غٰافِلِینَ [۱۳۷]و کما انتقم اللّه من آل فرعون لتکذیبهم بآیات اللّه،أنعم اللّه علی بنی إسرائیل لتصدیقهم بها،و أورثهم الأرض المبارکه ذات الخیرات الوفیره.

وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِینَ کٰانُوا یُسْتَضْعَفُونَ و یقهرون من قبل فرعون و قومه،و هم بنو إسرائیل،أورثهم اللّه.

مَشٰارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغٰارِبَهَا الَّتِی بٰارَکْنٰا فِیهٰا وَ تَمَّتْ کَلِمَتُ رَبِّکَ الْحُسْنیٰ عَلیٰ

بَنِی إِسْرٰائِیلَ کل ذلک بسبب تصدیقهم بالحقیقه تصدیقا نظریا و عملیا،و الشاهد علی تصدیق بنی إسرائیل بالحقیقه هو صبرهم و استقامتهم.

بِمٰا صَبَرُوا وَ دَمَّرْنٰا مٰا کٰانَ یَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ من خزف،و صور،و أسلحه،و أدوات،و أمتعه..و..و..

وَ مٰا کٰانُوا یَعْرِشُونَ من بنایات فخمه،و حدائق،و حقول،و تماثیل،و بالتالی دمّر اللّه أموالهم المنقوله و غیر المنقوله بسبب کفرهم،و هکذا ینتقم اللّه للحقیقه.

ص:۴۲۷

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۳۸ الی ۱۴۱]

اشاره

وَ جاوَزْنا بِبَنِی إِسْرائِیلَ اَلْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلی قَوْمٍ یَعْکُفُونَ عَلی أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا یا مُوسَی اجْعَلْ لَنا إِلهاً کَما لَهُمْ آلِهَهٌ قالَ إِنَّکُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۱۳۸) إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِیهِ وَ باطِلٌ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (۱۳۹) قالَ أَ غَیْرَ اَللّهِ أَبْغِیکُمْ إِلهاً وَ هُوَ فَضَّلَکُمْ عَلَی اَلْعالَمِینَ (۱۴۰) وَ إِذْ أَنْجَیْناکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَسُومُونَکُمْ سُوءَ اَلْعَذابِ یُقَتِّلُونَ أَبْناءَکُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ نِساءَکُمْ وَ فِی ذلِکُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَظِیمٌ (۱۴۱)

ص:۴۲۸

هدی من الآيات:

أفضـل ساعات البشـر و خير أيامه إيمانا و هـدی هی ساعه عسـرته،و يوم بؤسه،لأنه لا يسـتكبر هنالك علی الحقيقه،و لا يغتر بما لديه من قوه و منعه،و كذلك أفضل مراحل الأمه هی مراحل الثوره حيث تتعرض للضغوط و تتحدی الصعاب.

و بنو إسـرائيل حين تعرضهم للاستضعاف من قبل آل فرعون و قومه استقاموا علی الطريقه و صبروا،و لكن بعد أن أنجاهم اللّه،و أورثهم الأـرض دفعهم ضـعفهم السابق و ذلتهم الی محاوله تقليـد الآخرين فی عباده الأصـنام و فی مظاهر الـدنيا،فحين أتوا علی قوم يعكفون علی أصنام لهم،طلبوا من موسی(عليه السلام)أن يجعل لهم صنما كما لأولئك القوم،فذكرهم موسی بأنه لا مستقبل لعبده الأصـنام،و أن عملهم باطل،و انه كيف يبحث لهم عن إله غير اللّه و هو فضـلهم علی العالمين،بما أنعم عليهم من التوحيد و النصر،ثم ذكرهم أيامهم السابقه،حيث كانوا يتعرضون لأنواع العذاب علی يد فرعون،و منها تقتيل أبنائهم،و استحياء نسائهم،و أن ذلك

كان بلاء عظيما،و تزكيه لنفوسهم،و حين أنجاهم اللّه يعودون للكفر.

و يمكننا أن نستلهم من هذه القصه كيف أن الأمم تفسد بعد الإصلاح،و كيف أن التوجيه ينفعها،و أنّ السقوط ليس سنه حتميه.

بينات من الآيات:

الكفر بعد الايمان:

[۱۳۸]هيّأ اللّه أسباب النجاه لبنى إسرائيل،تلك الأمه الفتيه التى تستعد الآن لبناء حضارتها بعد تخلصها من سلطه الطاغوت،فتركوا أرض مصر باتجاه فلسطين بعد أن هيأ اللّه لهم أسباب العبور على البحر،و قبل أن تجف أقدامهم من آثار العبور أصيبوا بنكسه إيمانيه،حيث مرّوا على قوم يعبدون أصناما لهم فطالبوا موسى(عليه السلام)و هو رسولهم و قائد مسيرتهم باتخاذ إله لهم كما لأولئك القوم.

وَ جٰاوَزْنٰا بِبَنِي إِسْرٰائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلىٰ أَصْنٰامٍ لَهُمْ قٰالُوا يٰا مُوسَى اجْعَلْ لَنٰا إِلٰهاً كَمٰا لَهُمْ آلِهَةٌ إن بنى إسرائيل كانوا يعيشون تحت سيطره الطاغوت سياسيا و ثقافيا،و كانت علاقاتهم الاقتصاديه ببعضهم منسوجه حسب تلك السيطره،و قام موسى(عليه السلام)و المؤمنون من أصحابه بتفجير ثلاث ثورات متتاليه لانقاذ قومه من السيطره -السياسيه،فالثقافيه،فالاقتصاديه- (و قد سبق الحديث عن ذلك فى تفسير سوره البقره)و يبدو أن هذه المرحله هى مرحله الثقافه التى تحمل أيضا فى طياتها تصفيه آثار السيطره السياسيه أيضا.

إن قوم موسى عاشوا ردحا طويلا من الزمن و هم يعانون الذل و الخضوع و الاستسلام للآخرين،و كانت السياسه الطاغوتيه لفرعون هى التى فرضت عليهم

هذه الحاله،و لكنهم على أىّ حال تأثروا بها نفسيا،فحين أنقذهم اللّه غيبيا بقيت آثار تلك السيطره عالقه بنفوسهم،و لم يقدروا على ممارسه حريتهم و الحضور فى ساحات الحياه،و اتخاذ القرارات المناسبه فيها اعتمادا على أنفسهم،لذلك حنّوا الى حالتهم السابقه فطالبوا موسى باله-كما لهم آلهه- و الإله هو السلطان الاجتماعى و السياسى و الثقافى،و رمز هذا الإله هو الصنم،و بنو إسرائيل فى هذه الصفه كانوا تماما مثل الشعوب التى تتحرر من الاستعمار السياسى،و لكنها تقلد الغرب و الشرق فى أنظمتها و ثقافتها،و كأنها تخرج من الاستعمار القسرى و تعود الى الاستعمار اختياريا،و ذلك لاستمرار قابليه الاستعمار فى أنفسهم.

أما موسى(عليه السلام)فقد شرح لقومه أولا العامل الداخلى لهذا الطلب و هو الجهل و قله الوعى.

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [۱۳۹]و بين لهم ثانيا:ان وضع هؤلاء هالك و لا دوام له و لا استمرار،إذ أن الوضع الفاسد لا يملك رصيدا واقعيا،كشجره مجتثه من فوق الأرض،ظاهرها شجره،و واقعها حطبه.

و بين ثالثا:أن العمل الذى يقوم به الإنسان فى اطار النظام الفاسد هو عمل باطل،و ينتهى الى الدمار حتى و لو كان ظاهر العمل حسنا،مثلا:ظاهر البناء أنه عمل جيد،و لكن إذا كان المهندسون و البناؤون و مصانع الحديد و معامل الاسمنت كلها تعمل من أجل بناء معتقل أو قاعده صاروخيه تقذف المستضعفين فان هذا العمل تخريب و ليس بناء،كذلك كل عمل لا يكون ضمن اطار صالح أو هدف مقدس فانه باطل و ينتهى،لذلك قال موسى(عليه السلام)لقومه:

إِنَّ هٰؤُلاٰءِ مُتَبَّرٌ مٰا هُمْ فِيهِ وَ بٰاطِلٌ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ

العبوديه للّه تحرر الإنسان:

[۱۴۰]ثم بعد أن وضح فساد الوضع الذى يدعون اليه،شرح لهم موسى بأن الرب الذى أنقذهم من سلطان فرعون،و حررهم من الطاغوت خير لهم مما يدعون اليه.

قٰالَ أَ غَيْرَ اللّٰهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعٰالَمِينَ إن اللّه فضلهم بالحريه و العلم،و أن يقودوا أنفسهم بعيد عن ضغوط الطاغوت، و هم يريدون العوده الى العبوديه.

إن البشر حين ينفى الوهيه أىّ شىء أو أىّ شخص من دون اللّه سبحانه فسوف يكون محررا،مسلطا على نفسه بقدر ما يأذن اللّه له.

[۱۴۱]و اللّه سبحانه هو الذى أنجاهم من آل فرعون و بطشهم و قهرهم بالتوحيد،و إن فكره التوحيد التى أنقذتهم من تلك الورطه،أولى بالاتباع من تلك الثقافات الجاهليه التى سهلت استعبادهم و استغلالهم.

وَ إِذْ أَنْجَيْنٰاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذٰابِ أى يحمّلونكم الإرهاب و العذاب.

يُقَتِّلُونَ أَبْنٰاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسٰاءَكُمْ وَ فِي ذٰلِكُمْ بَلاٰءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ و هل هناك نعمه أفضل من التحرر من إرهاب الطاغوت و سيطرته،و كم يكون البشر غبيا لو أراد العوده الى العبوديه بعد الحريه،و التعاسه و البؤس بعد الرفاه و الراحه.

ص:۴۳۲

إن استمرار حـاله الثوره التی رافقت نجـاه الأـمه من الطـاغوت هو أفضل وسـیله للخلاص من عوامل الانتکاس فی الثوره،و هـذا ممکن مع تذکر أیام الطاغوت و کیف تغیرت.

ص:۴۳۳

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٤٢ الى ١٤٥]

اشاره

وَ وٰاعَدْنٰا مُوسىٰ ثَلاٰثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْنٰاهٰا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقٰاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قٰالَ مُوسىٰ لِأَخِيهِ هٰارُونَ اُخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لاٰ تَتَّبِعْ سَبِيلَ اَلْمُفْسِدِينَ (١٤٢) وَ لَمّٰا جٰاءَ مُوسىٰ لِمِيقٰاتِنٰا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قٰالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قٰالَ لَنْ تَرٰانِي وَ لٰكِنِ اُنْظُرْ إِلَى اَلْجَبَلِ فَإِنِ اِسْتَقَرَّ مَكٰانَهُ فَسَوْفَ تَرٰانِي فَلَمّٰا تَجَلّٰى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسىٰ صَعِقاً فَلَمّٰا أَفٰاقَ قٰالَ سُبْحٰانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ اَلْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قٰالَ يٰا مُوسىٰ إِنِّي اِصْطَفَيْتُكَ عَلَى اَلنّٰاسِ بِرِسٰالاٰتِي وَ بِكَلاٰمِي فَخُذْ مٰا آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ اَلشّٰاكِرِينَ (١٤٤) وَ كَتَبْنٰا لَهُ فِي اَلْأَلْوٰاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهٰا بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهٰا سَأُرِيكُمْ دٰارَ اَلْفٰاسِقِينَ (١٤٥)

اللغه

١۴٢[ميقات]:الفرق بين الميقات و الوقت أن الميقات ما قدّر ليعمل فيه عمل من الأعمال،و الوقت الشيء قدره و لذلك قيل مواقيت الحج و هى المواضع التى قدرت للإحرام فيها.

١۴٣[تجلى]:التجلى الظهور،و يكون تاره بالظهور و تاره بالدلاله.

[صعيقا]:مغشيا عليه.

ص:۴٣۴

۱۴۵[الألواح]:اللوح صحیفه مهیأه للکتابه فیها.

ص:۴۳۵

تنمیه روح الایمان باللّه

هدی من الآیات:

و واعد اللّه موسی ثلاثین لیله لمیقاته،و ذهب موسی الی المیقات بعد أن وصّی أخاه هارون تلک الوصایا المؤکده،التی کان الرسل(علیهم السلام)یوصون بها قومهم باتباع سبیل الإصلاح،و ترک سبل المفسدین،و جاء موسی لمیقات ربه و هو یحمل رجاء قومه بالنظر الی اللّه،فلما کشف لربه عن هذا الطلب الغریب النابع عن جهل الناس باللّه و بصفاته الحسنی،أمره ربه بالنظر الی الجبل فان استقر مکانه فقد یکون لکلامه وجه،و لکن الجبل تدکدک و خرّ موسی صعقا،و أغمی علیه من هول المنظر،و لما أفاق قال سبحانک أنت منزه عن هذا الطلب و أنا أول المؤمنین بک، و ربما کانت تلک هی البدایه الظاهره للثوره الثقافیه التی یقوم به الرسل بعد و قبل السیطره علی السلطه،حیث إن اللّه سبحانه أوحی الی موسی(علیه السلام) برسالاته،و أنه کلّمه من دون الناس تکلیما،و أن علیه أن یأخذها بقوه،و ان یمتلأ قلبه رضا بها و شکرا،حتی یدافع عنها بکل قوه.

و كتب اللّه لموسى فى تلك الألواح التى أنزلها ما ينفع الناس من كل شيء،و فى كل حقل،و ذلك بهدف تزكيه الناس،و بيان تشريع مفصل لهم،و أمره بالدفاع عن هذه الرساله،و أن يبلغها قومه حسب الظروف المختلفه،ففى كل ظرف يعملون بأحسن ما فى الرساله،و أكثرها تطبيقا على ذلك الظرف،و حذّره من الفسق و عدم تطبيق بنود الرساله،و قال له سأريكم دار الفاسقين.

بينات من الآيات:

حكمه الغيبه:

[۱۴۲]مع انتصار بنى إسرائيل تلك الفئه المستضعفه التى آمنت بموسى و برسالته الاجتماعيه،ازداد تعلق الجماهير بقائدهم موسى(عليه السلام)تعلقا شخصيا،و كان من الضرورى تحول هذه العلاقه من شخص موسى(عليه السلام) الى رسالته و قيمه ليستمر خطه من بعده و ربما لذلك غاب موسى(عليه السلام)بأمر من ربه عن قومه أربعين ليله،و كانت غنيه-كما سيأتى فى الدرس القادم- بامتحان عسير لقومه،كشف ما بهم من نقاط ضعف ثقافيه و اجتماعيه،و أعطى لموسى(عليه السلام)فرصه كافيه لتربيتهم و هدايتهم.

وَ وٰاعَدْنٰا مُوسىٰ ثَلاٰثِينَ لَيْلَهً وَ أَتْمَمْنٰاهٰا بِعَشْرٍ و سيأتى فى الدروس القادمه حكمه إتمام الثلاثين بعشر.

فَتَمَّ مِيقٰاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَهً أما وصيه موسى(عليه السلام)لخليفته و أخيه هارون فكانت هى ضروره المحافظه على الإصلاح.

وَ قٰالَ مُوسىٰ لِأَخِيهِ هٰارُونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَ أَصْلِحْ وَ لاٰ تَتَّبِعْ سَبِيلَ

ص:۴۳۷

الْمُفْسِدِينَ لقد سبق الحديث عن أن الأمم فى بدايه انطلاقها تهتم بالبناء و الانتاج و الإصلاح،أما بعدئذ فانها تقوم بالاستهلاك و الهدم و الفساد،و عندها كان الرسل (عليهم السلام)يحذرون الناس من الفساد،فأوصى موسى أخاه بهذه الوصيه عند ما تخلص بنو إسرائيل من الطاغوت،و خفّ عندهم شعورهم الثورى السابق.

و يتبين من الآيه كما من سائر الآيات:أن قوم موسى(عليه السلام)كانوا فريقين،مصلحين و مفسدين،و كانت تجربه غياب قائدهم و منقذهم كافيه لفرز هذين الفريقين،و بالتالى تزكيه المجتمع عن طريق تصفيه فريق المفسدين.

من أين تبدأ الثوره الثقافيه؟

[۱۴۳]لا يزال بنو إسرائيل تلك الطائفه التى عاشت فتره طويله فى ظل الطاغوت،و تعرضت لعمليات غسل الدماغ من قبل السلطه الظالمه،لا تزال هذه الطائفه تحمل رواسب الماضى بعد تحررها،و لا بدّ من تفجير ثوره ثقافيه فيها،و لكن من أين تبدأ هذه الثوره؟ الثوره تبدأ من إصلاح جذر مشكله الثقافه عند البشر،حيث إن الإنسان يحن نحو الماديات الظاهره،و ينسى المعنويات،و يغفل عن الغيب،يغفل عن غيب القيم،و عن قدره اللّه و حكمته و رحمته،يغفل عن المستقبل و ما فيه من امكانيات، و يلتجئ الى الظواهر فى الحاضر،الى ما يشاهده من قوه السلطه الجباره،و ما يراه من امكاناته الحاليه،فيخضع لها،و يستسلم لاتجاهها.

و رسالات السماء توجه الناس الى اللّه،الى غيب الغيوب،الى ملهم القيم و مالك المستقبل،الى مبعث الأمل المشرق،و إذا تعلق الإنسان باللّه(الغيب)فانه

يتخلص من كل رواسب الثقافه الماديه،لذلك بدأ اللّه فى إصلاح قوم موسى(عليه السلام)انطلاقا من هذه النقطه،حيث كان قوم موسى يلحون عليه بأن يريهم ربهم و مره قالوا له: اِجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ ،و مره صنعوا لأنفسهم عجلا و زعموا انه هو إله موسى و هكذا،لذلك راح موسى يدعو اللّه أن يريه نفسه و هو يعلم ان اللّه لا يرى.

وَ لَمّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قالَ لَنْ تَرانِی وَ لکِنِ انْظُرْ إِلَی الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکانَهُ فَسَوْفَ تَرانِی فَلَمّا تَجَلّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا وَ خَرَّ مُوسی صَعِقاً

هدف المعجزه:

هناك فكره تقول:بأن كثيرا من طلبات الرسل،بل و كثيرا من أوامر اللّه لهم، تهدف تبليغ الرساله بطريقه صارخه،حين أمر اللّه نبيه إبراهيم(عليه السلام)بذبح ابنه كانت الحكمه من وراء ذلك نسخ عاده جاهليه معروفه آنئذ و هى ذبح الأبناء للّه أو للأصنام،و لكن حين أمر إبراهيم بذبح ابنه و لم تعمل السكين،كانت تلك المعجزه أبلغ أمرا فى النفوس،و أقدر على نسخ هذه العاده من الموعظه الكلاميه، و كذلك حين طلب موسى(عليه السلام)من ربه بأن ينظر اليه،كانت دعوته هذه بهدف صنع واقعه عينيّه تذهب مثلا فى الآفاق،و تتناقلها الألسن،حتى تنتزع من النفوس جذور الماديه،و لذلك طلب موسى(عليه السلام)المستحيل و هو رؤيه ربه و تجلى اللّه للجبل و جعله دكا متهاويا على نفسه،و وقع موسى مغشيا عليه.

فَلَمّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِینَ و يبقى السؤال:ما هى مناسبه اندكاك الجبل مع استحاله النظر الى اللّه؟ و الجواب:أن قدره الإنسان محدوده بشكل انه لا يتحمل رؤيه جبل يندك،و هو

أهون شيء فى ميزان قدرات اللّه سبحانه التى لا تحد فكيف يرى اللّه؟و ينظر اليه؟ و هو مبعث القدره و الحكمه و الرحمه و العظمه و..و..و بالتالى الأسماء التى لا تعد و لا تحصى،فكيف يراه البشر المحدود.الذى يتناهى فى ضعفه و محدوديته؟(سبحان اللّه)؟! [۱۴۴]و حين ترسو قاعده التوحيد الراسخه على أساس الايمان بالغيب،فان بناء الثقافه الأصيله و التشريع السليم سيكون قويا و رفيعا،لذلك فان ربنا أوحى الى موسى(عليه السلام)برسالاته التى تمثل الثقافه و التشريع.

قٰالَ يٰا مُوسىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النّٰاسِ بِرِسٰالاٰتِي وَ بِكَلاٰمِي و عبر الرساله اصطفى اللّه القياده السليمه المبدئيه التى تجسد الولايه الالهيه فى الأرض،و ميّز هذه القياده بكلامه سبحانه المباشر لها،و لكنه أمر موسى(عليه السلام)فى المقابل بحراسه رسالاته،و العمل بها،و الشهاده لها،و أيضا الاطمئنان إليها و الرضا بها،و الاحساس بأنها نعمه كبيره يجب ألاّ يفرط بها أبدا.

فَخُذْ مٰا آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشّٰاكِرِينَ

محتوى رسالات اللّه:

[۱۴۵]ما ذا كان فى رسالات اللّه و كتبه؟ كان فيها أولا:رساله متكامله بالنسبه الى كافه شؤون الحياه فى الثقافه و السياسه و الاقتصاد و..و..

وَ كَتَبْنٰا لَهُ فِي الْأَلْوٰاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ثانيا:كان فى الكتب موعظه لتزكيه نفوس البشر،و اثاره عقولهم،و استجلاء

فطرتهم.

ثالثا:کان فیها تشریع مفصل للحیاه،و لتلک السبل التی یهتدی إلیها العقل و الفطره.

فَخُذْها بِقُوَّهٍ أیّ اتبعها و أنت قوی الاراده،لتتحدی الضغوط التی تتری علیک من اتباع هذه الرساله من لدن ذاتک و شهواتک،أو من جانب المجتمع المحیط بک.

إن أهم میزه فی القیاده هی:الثقه بالرساله التی تحملها،و الاعتماد علیها،مما یستقطب ثقه الجماهیر بها و بالرساله.

أما الجماهیر فان اتباعها لتلک المناهج لا یکون اتباعا أعمی،بل سوف یکون اتباعا واعیا بعد دراسه الظروف المحیطه بها،لیعرفوا أیّ منهج هو الأقوم فی هذا الظرف أو ذاک،و کذلک بعد دراسه الحکم ذاته و هل جاء دائما أو خاصا بظرف معین؟ وَ أْمُرْ قَوْمَکَ یَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها ان تقییم الأحسن من الحسن إنما هو وظیفه الأمه،و من هنا یدخل الوعی و العقل فی الساحه.

سَأُرِیکُمْ دارَ الْفاسِقِینَ الذین لا یتبعون الأحکام الشرعیه کلها،فان دارهم ستکون مهدمه علی رؤوسهم،و تلک عبره کافیه لکم بألا تعصوا ربکم فی مناهجه.

ص:۴۴۱

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۴۶ الی ۱۴۷]

اشاره

سَأَصْرِفُ عَنْ آیاتِیَ اَلَّذِینَ یَتَکَبَّرُونَ فِی اَلْأَرْضِ بِغَیْرِ اَلْحَقِّ وَ إِنْ یَرَوْا کُلَّ آیَهٍ لاٰ یُؤْمِنُوا بِهٰا وَ إِنْ یَرَوْا سَبِیلَ اَلرُّشْدِ لاٰ یَتَّخِذُوهُ سَبِیلاً وَ إِنْ یَرَوْا سَبِیلَ اَلغَیِّ یَتَّخِذُوهُ سَبِیلاً ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا وَ کٰانُوا عَنْهٰا غٰافِلِینَ (۱۴۶) وَ اَلَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا وَ لِقٰاءِ اَلْآخِرَهِ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ هَلْ یُجْزَوْنَ إِلاّٰ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۱۴۷)

ص:۴۴۲

كيف يضل المتكبّر؟

هدى من الآيات:

انهـا آيات اللّه الكريمه التى أوحى بها الى موسـى(عليه السـلام)،إنها كانت وسـيله لاختيار اللّه موسـى(عليه السـلام)قائـدا و إماما لقومه،بيـد أن اللّه حـذّر قوم موسـى من التهاون فى الأخذ بدساتير اللّه،و حذرهم بأن ذلك سـيهدم دار الفاسـقين الذين يعصون أوامر اللّه،و بيّن فى هـاتين الآـيتين ان الفسق قـد يكون شخصـيا فيهـدم دار الفـاسق،و قـد يكون اجتماعيـا فـانه سوف يسـبب فى الهلاـك و حبـط الأعمـال، و الفسق الاجتمـاعى يتمثـل فى هـدف المجتمع ككل،إذا كان هـدفا باطلا نابعا من التكبر بغير حق،و محـاوله السـيطره على الآـخرين،إذ ان ذلـك سوف يسـبب فى الكفر بالآيـات،و قلب المقـاييس الفطريه،حـتى يصـبح الرشـد غيا عندهم،و الغى رشدا،كل ذلك بسبب التكذيب بآيات اللّه و الغفله عنها.

هذا من الناحيه الفطريه،أما من الناحيه العمليه فان أعمال هؤلاء تحبط و لا تنفع شـيئا،لأنها تسير فى الاتجاه الباطل،حتى و لو كان العمل صحيحا من الناحيه

الجزئیه،إلاّ أنه بسبب وقوعه فی سلسله الأعمال الخاطئه و الفاسده،فان تلک الأعمال سوف تغطی علی حسنات هذا العمل الجزئی،کما أنه لو کانت مجمل أعمال الفرد أو المجتمع صحیحه فان هفواته الجزئیه تغفر له،لأن الحسنات یذهبن السیئات.

بینات من الآیات:

طریق الانحدار:

[۱۴۶]کما السیاره إذا وضعت فی طریق منحرف تعمل کل أجزائها فی ذلک المسیر و بصوره منحرفه،حتی إذا کانت سلیمه بحد ذاتها و غیر معطبه،کذلک المجتمع إذا توجه نحو تطلعات خاطئه،فان کل أعضائه تعمل فی ذلک الطریق و بصوره خاطئه.

التطلع السلیم للمجتمع هو بناء ذاته،و التعاون علی الخیر مع سائر المجتمعات، أما إذا تکبر فی الأرض،و تطلع نحو استعباد الآخرین و استثمار طاقاتهم،فانه لیس فقط ینحرف فی هذه الجهه،و فیما یخص علاقاته بالآخرین فحسب،بل سوف ینحرف بکل أبعاده حتی فیما یتصل بعلاقاته الداخلیه،ذلک لأن اللّه لم یجعل فی جوف الناس قلبین،إنما هو قلب واحد فاذا کان متکبرا باحثا عن المجد الذاتی، متخذا نفسه و لیس الحق محورا و معیارا،فان کل تصرفاته ستکون مصبوغه بصبغه التکبر.

لذلک لا یکون الفرد مؤمنا و عاملا بآیات اللّه و رسالاته إذا تطلع نحو استعباد الآخرین،و تکبر فی الأرض بغیر الحق،و أراد أن یتعالی بما لا یحق له.

سَأَصْرِفُ عَنْ آیاتِیَ الَّذِینَ یَتَکَبَّرُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ

يبـدو لى:أن كلمه الآيـات هنـا تعنى الآيـات التشـريعيه حسب السـياق،حيث كـان الحـديث فى الآيه السابقه حول رسالات اللّه و كلامه.

وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَهٍ لاٰ يُؤْمِنُوا بِهٰا و الآيه هنا-حسبما يبدو لى-تعنى الآيه التكوينيه مثل المعاجز،و عبر التاريخ،و التطورات التى تبيّن الحقائق و هكذا لان القلب المتكبر لا يبحث عن الحقيقه،بل عما يخدم ذاته،و يشبع غروره،و لذلك فهو لا يلتفت الى الحقائق و لا يهتم أو يؤمن بها حتى إذا رآها رأى العين،و هو كذلك لا يبحث عن الطريق السديد لأنه قد انحرف بوعى و إصرار.

وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاٰ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً إنهم منحرفون و لذلك فهم يبحثون عما هو منحرف.

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا وَ كٰانُوا عَنْهٰا غٰافِلِينَ إن تكـذيبهم الأول بآيات اللّه جعلهم ينصـرفون عن الحقائق،و يغفلون عن أهميه الآيات التشـريعيه،إن البشـر ينحرف أول ما ينحرف بسبب اختياره السيء،و لكنه ينحدر بعدئذ نحو الكفر و الجحود بصوره أقرب الى اللااختيار..

العاقبه فى الحقل العملى:

[۱۴۷]تلـك كـانت عـاقبه المتكبرين الفكريه:أنهم لاـ يهتـدون الى الحقيقه لا عن طريق رسالات اللّه التى يصـرفون عنها،و لا عن طريق الحقـائق و العبر الواقعيه، أما عاقبه المتكبرين العمليه فهى:أن أعمالهم الصالحه تحبط بسبب أعمالهم السيّئه، و التى تكوّن استراتيجيتهم الأصليه دون تلك.

ص:۴۴۵

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَهِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ لان الخط العام لحياتهم خط منحرف،لـذلك فان العمل الجزئى لم ينفعهم شيئا،بل سوف يحبط و لا يؤدى مفعوله،و الواقع أن سبب حبط العمل ليس عدم إيمانهم فقط،بل لأن عدم الايمان يؤدى بهم الى سلسله من الانحرافات العمليه التى تكون هى السبب لحبط العمل،لذلك قال ربنا سبحانه:

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

ص:۴۴۶

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١۴٨ الی ١۵٣]

اشاره

وَ اِتَّخَذَ قَوْمُ مُوسیٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِیِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوٰارٌ أَ لَمْ یَرَوْا أَنَّهُ لاٰ یُکَلِّمُهُمْ وَ لاٰ یَهْدِیهِمْ سَبِیلاً اِتَّخَذُوهُ وَ کٰانُوا ظٰالِمِینَ (١۴٨) وَ لَمّٰا سُقِطَ فِی أَیْدِیهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قٰالُوا لَئِنْ لَمْ یَرْحَمْنٰا رَبُّنٰا وَ یَغْفِرْ لَنٰا لَنَکُونَنَّ مِنَ اَلْخٰاسِرِینَ (١۴٩) وَ لَمّٰا رَجَعَ مُوسیٰ إِلیٰ قَوْمِهِ غَضْبٰانَ أَسِفاً قٰالَ بِئْسَمٰا خَلَفْتُمُونِی مِنْ بَعْدِی أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّکُمْ وَ أَلْقَی اَلْأَلْوٰاحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِیهِ یَجُرُّهُ إِلَیْهِ قٰالَ اِبْنَ أُمَّ إِنَّ اَلْقَوْمَ اِسْتَضْعَفُونِی وَ کٰادُوا یَقْتُلُونَنِی فَلاٰ تُشْمِتْ بِیَ اَلْأَعْدٰاءَ وَ لاٰ تَجْعَلْنِی مَعَ اَلْقَوْمِ اَلظّٰالِمِینَ (١۵٠) قٰالَ رَبِّ اِغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی وَ أَدْخِلْنٰا فِی رَحْمَتِکَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ اَلرّٰاحِمِینَ (١۵١) إِنَّ اَلَّذِینَ اِتَّخَذُوا اَلْعِجْلَ سَیَنٰالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّهٌ فِی اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی اَلْمُفْتَرِینَ (١۵٢) وَ اَلَّذِینَ عَمِلُوا اَلسَّیِّئٰاتِ ثُمَّ تٰابُوا مِنْ بَعْدِهٰا وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِهٰا لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (١۵٣)

اللغه

١۴٨[حلیّهم]:الحلی ما اتخذ للزینه من الذهب و الفضه.

١۴٩[سقط فی أیدیهم]:وقع البلاء فی أیدیهم أی وجدوه وجدان من یده فیه.

ص:۴۴٧

عجل السامری

اشاره

و رواسب الجاهلیه الفرعونیه

هدی من الآیات:

و ابتلی قوم موسی فی غیابه لمناجاه ربه بالعجل،حیث اتخذوا عجلا مصنوعا من حلیهم و ذهبهم إلها،لقد کان جسدا له خوار و زعم السامری انه إلههم،و لم یعرفوا أن الرب هو الذی یهدی الناس الی سبل السعاده،و هذا العجل لا یفعل ذلک، و هکذا ظلموا أنفسهم و حین انکشفت لهم الحقیقه ندموا و عرفوا مدی الضلاله التی وقعوا فیها قالوا: لَئِنْ لَمْ یَرْحَمْنٰا رَبُّنٰا وَ یَغْفِرْ لَنٰا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخٰاسِرِینَ ،و هذا الدعاء یکشف ان قوم موسی تجاوزوا مرحله الصنمیه بعد التوبه.

و عند ما عاد موسی(علیه السلام)من مناجاه ربه غضب،و کان آسفا کیف عبد قومه العجل و نادی فیهم،بئسما خلفتمونی من بعدی،أ هکذا ینقلب الناس بعد غیاب قادتهم،و ألقی موسی الألواح التی کانت برفقته و فیها رسالات اللّه،ألقاها جانبا لأنها لا تنفع قوما ترکوا الایمان الی الشرک،و أخذ برأس أخیه هارون و هو یستفسر منه الوضع،و یسحبه من ذلک القوم الضال،و لکن هارون(علیه السلام)

وضح له الحقيقه و هی:أن قومه استضعفوه،و أنهم همّوا بقتله،و لذلک فهو أنقاهم حتی یعود موسی(علیه السلام)و طلب هارون من أخیه بألا یشمت به الأعداء،و لا یجعلهم یفرحون بمعامله موسی لأخیه المعارض لهم،کما طالبه بألا یفسر سکوته الظاهر بأنه نابع من رضاه بالوضع،کلا..بل إنه کان سکوتا غاضبا بانتظار الفرج القریب.

بینات من الآیات:

لماذا العجل؟

[۱۴۸]لماذا عبد بنو إسرائیل فی غیاب موسی الی الطور العجل،و اتخذوه إلههم؟ یبدو أن رواسب الجاهلیه الفرعونیه التی عاش بنو إسرائیل فی ظلها قرونا، و التی کانت تعبد العجل و تتخذ منه رمزا للرخاء الزراعی،إنها کانت السبب فی صناعه العجل،إلاّ أن الحلی من الذهب و الفضه کانت ماده لهذه الصناعه،لأن بنی إسرائیل حین رحلوا عن أرض مصر حملوا معهم حلیهم،و کانوا یعتزون بها باعتبارها الرصید الاقتصادی الوحید الذی کانوا یملکونه،فحین ظهرت رواسب الجاهلیه الکامنه علی السطح،صنعوا من الحلی عجلا،فهم فی الواقع کانوا یعبدون الذهب و الفضه و الرخاء باعتبار ان شکل العجل یدل علی ذلک الرخاء،و باعتبار أن العجل صنع من الحلی.

و هکذا دلّت الحادثه علی ان التحول السیاسی الذی حدث فی بنی إسرائیل لم ینعکس علی ثقافتهم،و کانوا یحتاجون الی ابتلاء لیظهر واقعهم فیعالجه المصلحون، و ربما لذلک واعد ربنا موسی ثلاثین یوما ثم أضاف إلیها عشرا حتی یکون الجو مهیئا للسامری بأن یشیع نبأ کاذبا هو:أن موسی قد مات،و یظهر واقع السامری و ما کان ینتظره من موت موسی لیخرج بدعته،و هکذا وقع السامری فی المصیده المنصوبه.

وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ الخوار:صوت الثور،و ربما كان السامرى قد صنع جسد العجل و هيكله بطريقه معينه بحيث كان يخور إذا دخل فيه الريح،أو كانت القبضه التى أخذها السامرى من أثر الرسول هى التى جعلت العجل يخور.

أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً بينما اللّه كان يكلم موسى تكليما،و قد فصّل له و لقومه رسالاته التى تهديهم سبل السلام.

اِتَّخَذُوهُ وَ كانُوا ظالِمِينَ و أىّ ظلم أكبر من الشرك باللّه و الردّه بعد الايمان،إن عجل بنى إسرائيل كان مثلا للقياده الباطله التى كان السامرى يسعى من أجلها،لقد كان العجل يخور -كما القيادات الباطله تنطق بما لا يهدى سبيلا،و بما لا يوضح علما حقيقيا- و كان جسدا هيكلا و لكن بلا روح،كذلك القيادات الباطله لا تعطى الأمه روحا معنويه.

[۱۴۹]و جاء موسى(عليه السلام)،و انفضحت الكذبه الكبرى التى اعتمدتها الردّه الجاهليه و هى موت موسى(عليه السلام)،و ندم الجميع و سقط فى أيديهم، و ظهرت الحقيقه المخفيّه و هى:أنهم قد ضلوا،و آنئذ تابوا الى ربهم.

وَ لَمّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَ يَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ يبدو لى أن رحمه اللّه هنا متمثله فى هدايه اللّه التى من دونها يبقى البشر فى

الضلاله.

امتحان و فرز:

[۱۵۰]کانت عباده العجل امتحانا عسیرا لقوم موسی(علیه السلام)و تصفیه للعناصر الضعیفه و الخائنه فی المجتمع الرسالی الذی ینبغی أن یقود المجتمعات الأخری،و یشهد علیها،لذلک حین عاد موسی الی قومه کان غضبان أسفا.

وَ لَمّٰا رَجَعَ مُوسیٰ إِلیٰ قَوْمِهِ غَضْبٰانَ أَسِفاً یبدو لی ان الغضب هو الرفض الشدید لشیء ما مع القیام بعمل ما من أجل تغییره و إصلاحه و تعویضه،بینما الأسف هو:ردّ الفعل النفسی تجاه حادثه سابقه قد وقعت خطأ،و موسی(علیه السلام)کان متأسفا لما وقع علیه قومه سابقا من انحراف و ضلاله،و غاضبا علیهم الآن لما هم فیه من نقص و قلّه فهم و وعی..

قٰالَ بِئْسَمٰا خَلَفْتُمُونِی مِنْ بَعْدِی لقد ترکت وصیی کقائد لکم و کشاهد علیکم.

أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّکُمْ و أردتم الوصول الیه قبل میعاده.

إن قوم موسی کانوا لا یزالون فی مرحله الایمان بالحضور و الشهود لا بالمستقبل و الغیب،و هذا کان أحد العوامل لتسارعهم الی عباده العجل باعتباره إله موسی، کما کان السبب فی طلب فریق منهم رؤیه اللّه بأعینهم.

وَ أَلْقَی الْأَلْوٰاحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِیهِ یَجُرُّهُ إِلَیْهِ

كان موسى يحمل معه الألواح التى فيها موعظه و هدى،فاذا به يرى قومه قد شكّوا فى أصل الربوبيه فلذلك ألقاها جانبا،و أخذ يعالج هذه المشكله،و بدأ بسؤال أخيه و خليفته باعتباره القائد عليهم من بعده،و لكن هارون(عليه السلام)أوضح له الحقيقه..

قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَاءَ وَ لاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أى لم أكن أنا بنفسى قادرا على مقاومه الرده،لأنهم أفقدونى قومى و جعلونى ضعيفا،و جردونى من أسلحتى،و لذلك فقد كادوا يقتلوننى لو لا إننى أمسكت عنهم بانتظار عودتك،و افتضاح كذبهم،لذلك فمن الخطأ أن تحملنى مسئوليه عملهم أو تجعلنى معهم.

[۱۵۱]و هنا أدرك موسى حقيقه الأمر و..

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَ لِأَخِى وَ أَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ و مره اخرى أعتقد أن أبرز مظاهر رحمه اللّه هى هدايته للإنسان،و ان يعصمه من أن يزلّ فى الظروف الصعبه.

عاقبه عبّاد العجل:

[۱۵۲]و تلك عاقبه الرافضين لعباده العجل،أما عاقبه المستسلمين للعجل و الراضين بعبادته فإنّه سيلحقهم غضب من اللّه،يتمثل فى ألوان العذاب الآتيه من حكم الطاغوت،و انحراف المجتمع،و من نقص فى بركات اللّه تلك التى تأتى من القياده السليمه فى المجتمع.

كما يصاب هؤلاء بذله حيث إن انحراف القياده من قياده رساليه الى قياده

صنميه تسلب كرامه الإنسان،و تحوله الى أداه ذليله بيد الأصنام البشريه الحاكمه.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ أيّ الذين يكذبون على اللّه افتراء عليه،و الذين يتخذون طريقا خاطئا و يصوّرونه لأنفسهم طريقا سليما سينالهم غضب من ربهم.

[۱۵۳]أما إذا تاب هؤلاء الى ربهم،و آمنوا باللّه إيمانا صادقا،و لم يتركوا سيئه الى سيئه أخرى،مثل أن يتركوا الرأسماليه بعد معرفه تناقضها و انحرافها الى الشيوعيه كلا..إنما تركوا السيئه الى الصراط المستقيم،أولئك يرحمهم اللّه.

وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ربما يكون معنى كلمه(بعدها)أى إنه بعد انتهاء آثار السيئه الأولى سوف تأتى رحمه اللّه.

ص:۴۵۴

[سوره الأعراف (۷): الآيات ۱۵۴ الی ۱۵۶]

اشاره

وَ لَمّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى اَلْغَضَبُ أَخَذَ اَلْأَلْواحَ وَ فِي نُسْخَتِها هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (۱۵۴) وَ اِخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا فَلَمّا أَخَذَتْهُمُ اَلرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيّايَ أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ اَلسُّفَهاءُ مِنّا إِنْ هِيَ إِلاّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَ اِرْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ اَلْغافِرِينَ (۱۵۵) وَ اُكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ اَلدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي اَلْآخِرَةِ إِنّا هُدْنا إِلَيْكَ قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكاةَ وَ اَلَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ (۱۵۶)

ص:۴۵۵

عاقبه التقوى

اشاره

فی الدنیا و فی الآخره

هدی من الآیات:

و عادت الظروف الطبیعیه للأمه بعد ذلک الامتحان العسیر،و عاد الی موسی هدوؤه بعد الغضب،فاذا به یأخذ الألواح لیقرأ فیها الهدی و الرحمه.

حیث کانت تهدی الناس الی السبل السلیمه المؤدیه الی رحمه اللّه،و الرحمه و الهدی یشترط فیهما الرهبه و التقوی له سبحانه.

و هذه الرهبه لا تدخل قلب البشر لو لم یؤمن ایمانا صادقا بالله،و الایمان الصادق لا یکون الا بعد معرفه الله-فی الغیب الذی لا تراه الأبصار-و کان فی قوم موسی نزعه مادیه،لذلک طالب ممثلوهم و هم سبعون رجلا مختارا،طالبوا موسی برؤیه الله جهره،فأخذتهم الرجفه الشدیده فصرعتهم،و توسل موسی الی ربه أن یعیدهم و قال:ان هذا الطلب انما هو من السفهاء،و ان هذا امتحان منک،و انک رب الهدایه،و انک تضل من تشاء حین لا ترید هدایته،و انک ولینا جمیعا فاغفر لنا ما سلف من ذنوبنا،و أنت ارحم الراحمین فانزل علینا رحمتک و نعمک.

ص:۴۵۶

ان الهدى الذى كان فى كتاب الله لموسى كان يدعو البشر الى الالتزام بالخط المستقيم بين حاجات الدنيا و تطلعات الآخره،لذلك دعا موسى(عليه السلام)بأن يكتب الله لهم الحياه الحسنه فى الدنيا و الآخره.و هذا لا يكون الا بالتوجه الى الله، و ربنا الكريم بيّن له أن عذابه انما هو من نصيب من يشاء،و اما رحمته فهى واسعه، و هى للذين يتقون و يزكون أنفسهم و يؤمنون بآيات الله.

بينات من الآيات:

حكمه الغضب:

[۱۵۴]يصور القرآن الحكيم النبى موسى(عليه السلام)عبر آياته العديده شخصيه سريعه الغضب،مما يطرح هذا السؤال:هل كان موسى فعلا كذلك أم ان ظروفه كانت تستدعى ذلك؟بحيث لو وضعنا أيوب مثل الصبر و الهدوء فى مكانه لكان يفعل ذلك أيضا؟ الواقع:ان بنى إسرائيل كانت امه مستضعفه اعتادت الذل و الهوان،و كانت بالرغم من ذلك شديده العلاقه بموسى باعتباره منقذا لها،لذلك كانت هذه الامه بحاجه ماسه الى التدخل المباشر من قبل موسى فى شؤونها اليوميه،و التدخل المباشر لم يكن ممكنا بصوره هادئه،انما بطريقه تثير دخائل و أعماق هذه الامه التى اعتادت الصياح و الزجر.

من هنا نعرف أن غضب موسى عليه السلام كان يسكت كلّما كانت الظروف العاديه ترجع الى الامه،باعتبار ان غضبه ليس لنفسه و انما لرسالته و لله.

وَ لَمّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ و يبدو لى أن غضب موسى لم يسكت عنه الا بعد تصفيه العناصر الخائنه،و قتل

أعداد كبيره منهم،و قبول توبه البقيه،بعدئذ أخذ موسى عليه السلام يخطط لبناء مجتمع سليم.

أَخَذَ الْأَلْوٰاحَ وَ فِي نُسْخَتِهٰا هُدىً وَ رَحْمَةٌ ان التخطيط للحياه الاسلاميه فى المجتمع انما يكون بعد إرساء قاعده التوحيد فى النفوس،لذلك أخذ موسى(عليه السلام)يشرح ما فى الألواح للجماهير بعد انتهائه من تصفيه العناصر الخائنه،و كانت الألواح تهدى الناس الى طريق رحمه الله و نعمته،و لكن هذه النعمه ليست الاّ للمتقين.

لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ

كيف نصفيّ الشوائب:

[۱۵۵]و لا تزال فى نفوس بنى إسرائيل بعض الرواسب الجاهليه،لذلك قام موسى(عليه السلام)بعمليه جديده من أجل ترسيخ دعائم التوحيد فى النفوس، و ذلك حين اختار سبعين شخصا من قومه ليرافقوه فى مناجاته بطور سيناء،و كان هؤلاء يمثلون الشعب،و ينقلون طلباته لله سبحانه،فجاء هؤلاء و طلبوا رؤيه الله جهره،فاخذتهم الصاعقه فقضت عليهم،الا أن موسى(عليه السلام)دعا ربه بإعادتهم الى الحياه.

وَ اخْتٰارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقٰاتِنٰا فَلَمّٰا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قٰالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيّٰايَ أَ تُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ السُّفَهٰاءُ مِنّٰا حيث طلبوا من هؤلاء السبعين رؤيه الله فنقل هؤلاء طلب السفهاء الى الله، أجل..كانت تلك فتنه امتحن الله بها عباده،فمن اهتدى فانما بفضل الله سبحانه، و من ضل فانما بإذن الله.

ص:۴۵۸

إِنْ هِیَ إِلاّ فِتْنَتُکَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَ تَهْدِی مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِیُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَیْرُ الْغَافِرِینَ ان ربنا سبحانه یجری تحولات اجتماعیه،و تغییرات طبیعیه من فقر و غنی، و صحه و مرض،و عزه و ذله،و حر و برد،و رخاء و قحط،کل ذلک بهدف امتحان البشر لیستخرج کلما فی ذاته من قوه أو ضعف،و قدره أو عجز،و لکی یصلح نفسه و یکمل نواقصه،فمن اهتدی الی هذه الحقیقه،و توکل علی الله،و استغفر من ذنوبه،و سعی من أجل إصلاح ذاته،فان الله سیرحمه و یغفر له،انه یرحمه بتکمیل نواقصه،و یغفر له بإصلاحه لها.

واجب الإنسان:

[۱۵۶]و الله سبحانه یکتب للناس و یقدر لهم الحسنات و السیئات حسب أعمالهم،و مدی ایمانهم أو کفرهم،و یبقی علی الإنسان أن یتطلع الی اکتساب الحیاه السعیده فی الدنیا و الآخره،و یعمل من أجلها حتی یبلغ مناه،ان التطلع الی الأفضل یخلق فی القلب دافعا الی العمل،و آنئذ یحتاج البشر الی الخطه المتکامله لیتحرک عبرها نحو الهدف،و تلک الخطه هی مناهج الله سبحانه،لذلک قال أصحاب موسی:

وَ اکْتُبْ لَنَا فِی هٰذِهِ الدُّنْیَا حَسَنَهً وَ فِی الْآخِرَهِ إِنّا هُدْنَا إِلَیْکَ ان هذا التطلع السامی الذی یمکن ضمانه تنفیذه عن طریق التوکل علی الله، و الثقه بأنه سوف یکتب ذلک،انه من أبرز سمات المؤمنین الصادقین،الا أنه بحاجه الی عمل جاد،لذلک بین الله سبحانه ذلک و قَالَ عَذٰابِی أُصِیبُ بِهِ مَنْ أَشٰاءُ وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ فَسَأَکْتُبُهٰا لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکٰاهَ وَ الَّذِینَ هُمْ بِآیٰاتِنٰا یُؤْمِنُونَ

ان عـذاب الله مهيأ للمـذنبين،بيـد أن الأصل هو رحمه الله التى وسـعت كل شـىء،فتلك الرحمه هى مهوى تطلع البشـر،و معتمد ايمانه و توكله،و منطلق تحركه.

بيد أن رحمه الله مشروطه بما يلى:

أولا:التقوى و التعهد بالقيام بالواجبات.

ثانيا:الزكاه و هى العطاء من كلما يملكه الإنسان من مال و علم و جاه،

و قد جاء فى الحديث:

«زكـاه الجـاه بـذله،و زكـاه العلم نشـره » ثالثـا:الايمـان بكل الآيات سواء كانت فى مصـلحه الشـخص العاجله أو لم تكن،و عـدم تبعيض الإسـلام بقبول الجانب السـهل منه،و ترك الجوانب الصعبه، كأن يصلّى الشخص و لا يزكى،أو يحج و لا يجاهد كلا..ان رحمه الله لا تسع قوما يجزءون الدين و يأخذون ببعضه فقط.

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۵۷ الی ۱۵۹]

اشاره

اَلَّذِینَ یَتَّبِعُونَ اَلرَّسُولَ اَلنَّبِیَّ اَلْأُمِّیَّ اَلَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی اَلتَّوْراٰهِ وَ اَلْإِنْجِیلِ یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهٰاهُمْ عَنِ اَلْمُنْکَرِ وَ یُحِلُّ لَهُمُ اَلطَّیِّبٰاتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ اَلْخَبٰائِثَ وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ اَلْأَغْلاٰلَ اَلَّتِی کٰانَتْ عَلَیْهِمْ فَالَّذِینَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اِتَّبَعُوا اَلنُّورَ اَلَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۱۵۷) قُلْ یٰا أَیُّهَا اَلنّٰاسُ إِنِّی رَسُولُ اَللّٰهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً اَلَّذِی لَهُ مُلْکُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ یُحیِی وَ یُمِیتُ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ اَلنَّبِیِّ اَلْأُمِّیِّ اَلَّذِی یُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ کَلِمٰاتِهِ وَ اِتَّبِعُوهُ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ (۱۵۸) وَ مِنْ قَوْمِ مُوسیٰ أُمَّهٌ یَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ یَعْدِلُونَ (۱۵۹)

اللغه

۱۵۷[غرروه]:وقروه و عظموه.

ص:۴۶۱

وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

اشاره

وَ الْأَغْلاٰلَ الَّتِی کٰانَتْ عَلَیْهِمْ

هدی من الآیات:

فی سیاق قصه موسی(علیه السلام)یذکر القرآن الحکیم برساله محمد(صلی اللّه علیه و آله)لیربط الحاضر بالماضی،و لیعطی درسا حکیما منتزعا من حقائق تاریخیه،و لیشجع الیهود علی اتباع الرساله الجدیده،و منهج القرآن فی الاستدلال منهج فطری یستفید من أقرب جهه الی القلب و الوجدان،و هنا یبیّن أن الرساله الجدیده تدعو الی ذات القیم التی کانت فی رساله موسی(علیه السلام)بالاضافه الی انها مکتوبه عندهم فی التوراه و الإنجیل،فلما ذا الکفر بها؟! ان هذه الرساله-کما تلک الرسالات-تأمر بالمعروف الذی یتوافق مع فطره البشر،و تنهی عن المنکر،و تحل لهم الطیبات و تحرم علیهم الخبائث،و الهدف منها دفع ثقل الشرک و الاستبعاد،و فکّ أغلال المجتمع الفاسد،و السلطه الفاسده، و الفلاح إنما هو من نصیب أولئک الذین آمنوا بهذا الرسول و قوّوا جبهته،و نصروه و اتبعوا رسالته،و جعلوها نورا یهتدون بها فی الحیاه.

و الرساله هـذه إنما هی من اللّه سـبحانه الـذی له ملک السـماوات و الأرض الـذی لا إله إلّا هو.و هو یحی و یمیت،و علی الناس اتباع هذه الرساله التی هی ملک لهم جمیعا،و بذلک یضمنون لأنفسهم الهدایه بإذن اللّه،و لیس قوم موسی کلّهم علی ضلاله،بل إن فریقا منهم یأمرون بالحق و یهدون الیه،و یجعلونه مقیاسا لتقییمهم.

بینات من الآیات:

من خصائص الرسول صلی الله علیه و آله

[۱۵۷]رسالات اللّه تتمیز بأنها للناس جمیعا بعیـدا عن أی تمییز قومی أو اقلیمی أو عنصـری أو ما أشـبه،و هی تـدعو الی بناء أمه واحـده ذات رساله سـماویه،و رسول واحد،و الرسول فی هذه الرساله ینتمی إلی تلک الأمه التی تتمحور حول الرساله، و لذلک یکون من أبرز صفاته أنه أمّی،و أنه نبی یوحی إلیه،و أنه رسول یحمل لهم رساله فیها مناهج لحیاتهم.

اَلَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ و کلمه-الأـمی-کمـا یبـدو لی منـتزعه من الأـمه،التی یقول عنهـا ربنـا فی آیه أخری (إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُکُمْ أُمَّهً وٰاحِـدَهً وَ أَنَا رَبُّکُمْ فَاعْبُـدُونِ) و هناک من قال بأن الکلمه منتزعه من الأمّ باعتبار أن الرسول لم یکن قارئا أو کاتبا،أو الی أم القری.

اَلَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْرٰاهِ وَ الْإِنْجِیلِ مکتوب بصفاته و أسمائه،کما هو مکتوب بالقیم التی یدعو إلیها.

یَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهٰاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ و کلّ رساله سماویه تثیر دفائن العقول،و تنطلق بصمیم الفطره،و تنسجم مع

حقائق الکون التی یشهدها أکثر الناس،و یبدو لی أن المعروف هنا هو ما یعرفه قلب البشر السلیم،و المنکر ما ینکره.

وَ یُحِلُّ لَهُمُ الطَّیِّباتِ وَ یُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبائِثَ و الطیبات و الخبائث هما أیضا مما یبینه الوحی،و یصدقه العقل.

وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِی کانَتْ عَلَیْهِمْ الإصر هو:الثقل،و البشر یعیش فی ذاته ثقل الماده،حیث یحن الی ما فی الحیاه من زینه،و ینهار أمام شهوات النساء و الثروات و المناصب و یضغط علیه واقع الیوم دون حقیقه المستقبل،و هکذا یصبح البشر ان لم یقصمه اللّه جزءا من الطبیعه، یتحرک حسب عواملها و تغیراتها.

و رسالات اللّه تنقذ الإنسان من أصله،و ترفع عنه هذا الثقل المادی بتوجیهه الی العالم الأعلی،عالم الروحیات،و عالم المستقبل القریب فی الدنیا،و المستقبل البعید فی الآخره.

و کما ترفع الرساله إصر البشر ترفع الأغلال الآتیه من الإصر،مثل الأغلال الاجتماعیه التی یفرضها النظام السیاسی،أو الاقتصادی الحاکم علی المجتمع، و القوانین المعیقه للتقدم،و الکبت و الدیکتاتوریه و الإرهاب الفکری الذی یمنع تفجیر النشاط،و تفتق المواهب.

شروط الفلاح

و عاقبه هذه الرساله الفلاح و السعاده،و لکن بشرط أن یؤمن البشر بها،و أن یعظّمها و یوقرها،و أن ینصرها عملیا باتباع کل مناهجها،و أن یتخذ قیمها

و معاييرها ميزانا لتقييم أحداث الحياه،و تفسير متغيراتها،و معرفه الناس.

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ إيمانا واقعيا بأن سلموا له أنفسهم،و لم يتكبروا أو يتعالوا عليه.

وَ عَزَّرُوهُ أى جعلوه كبيرا فى أنفسهم،أكبر من شهواتهم و من ضغوط الجياه.

وَ نَصَرُوهُ أىّ قدموا له امكاناتهم،و جعلوها فى خدمه رسالته.

وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ و هو القرآن،و كما يستضىء البشر بنور المصباح فى الليل،كذلك استضاؤوا بنور القرآن فى ليل الحياه،فرأوا به و من خلاله ما فى الحياه من خير و شر،و حق و باطل، و هدى و ضلاله.

أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أىّ السعداء فى الدنيا و الآخره.

كيف نعرف اللّه؟

[۱۵۸]معرفه اللّه سبحانه تسبق سائر المعارف الدينيه،و هى تتم بطريقه فطريه،و بالتذكره بما فى الكون من آيات،و بما فى النفس من بحث و وله، و حين يتذكر البشر و يعرف ربه يسهل عليه أن يعرف رساله ربه لما فيها من تناسب

و تناغم،فرساله اللّه شامله واسعه الرحمه،لطيفه المناهج،متينه الأركان كأىّ اسم آخر من أسمائه الحسنى،فهى كما الشمس و القمر،و مثل السماوات فى سعتها و قدرتها،و مثل الأرض فى متانتها و استقرارها،و مثل ظاهره الحياه فيما تعطيها للنفوس من حراره الحياه،لذلك كان من أقرب الطرق الى معرفه الرساله و الرسول هو معرفه اللّه،و التذكر بعظمته و قدرته و لطفه و رحمته،و لذلك أيضا كان يستشهد الرسل باللّه على صدق رسالاتهم.

قُلْ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً و كما أن رحمه اللّه وسعت كلّ شىء،كذلك رسالته فهو.

اَلَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ يُحيِى وَ يُمِيتُ و مثلما يحيى الخلق ماديا فهو يهديهم بالرساله التى هى حياه معنويه،و مثلما يميتهم ماديا فهو يضلهم حين يكفرون بالرساله فيموتون و هم أحياء.

فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ كَلِمٰاتِهِ و إنما يدعوكم الى اللّه لا الى نفسه،و هو أسبق الناس الى الايمان باللّه و برسالاته التى أوحيت اليه.

وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ إنّ إتباع الرسول سوف ينتهى بالبشر الى الارتفاع الى مستوى معرفه الحقائق بأنفسهم.

[۱۵۹]ليست رسالات الأنبياء مبعث خلاف و نزاع،و لا هى أنزلت لتكون أداه للعنصريه و الطائفيه،لذلك فهى تؤكد أبدا على وحده الرسالات،و أهميه القيم،

ص:۴۶۶

و أن من يتبع القيم الرساليه فهو على صراط مستقيم حتى و لو لم يلتزم بخط معين فى هذا الاتباع،لذلك أكّد القرآن الحكيم هنا أيضا على أن الحكم الكاسح بكفر بنى إسرائيل جميعا خطأ،بل أن بعضهم على صواب ما دام يلتف حول رساله السماء، و يشكل أمه واحـده،و ما داموا يرشـدون الى الحياه الفاضـله عن طريق الحق، و يحكّمون الحق فى علاقاتهم الاجتماعيه،و فى مواقفهم من الناس أو من الظواهر الحياتيه.

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ

ص:۴۶۷

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٦٠ الى ١٦٦]

اشاره

وَ قَطَّعْنٰاهُمُ اِثْنَتَیْ عَشْرَهَ أَسْبٰاطاً أُمَماً وَ أَوْحَیْنٰا إِلیٰ مُوسیٰ إِذِ اِسْتَسْقٰاهُ قَوْمُهُ أَنِ اِضْرِبْ بِعَصٰاکَ اَلْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتٰا عَشْرَهَ عَیْناً قَدْ عَلِمَ کُلُّ أُنٰاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنٰا عَلَیْهِمُ اَلْغَمٰامَ وَ أَنْزَلْنٰا عَلَیْهِمُ اَلْمَنَّ وَ اَلسَّلْویٰ کُلُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاکُمْ وَ مٰا ظَلَمُونٰا وَ لٰکِنْ کٰانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ (١٦٠) وَ إِذْ قِیلَ لَهُمُ اُسْکُنُوا هٰذِهِ اَلْقَرْیَهَ وَ کُلُوا مِنْهٰا حَیْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّهٌ وَ اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَکُمْ خَطِیئٰاتِکُمْ سَنَزِیدُ اَلْمُحْسِنِینَ (١٦١) فَبَدَّلَ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَیْرَ اَلَّذِی قِیلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنٰا عَلَیْهِمْ رِجْزاً مِنَ اَلسَّمٰاءِ بِمٰا کٰانُوا یَظْلِمُونَ (١٦٢) وَ سْئَلْهُمْ عَنِ اَلْقَرْیَهِ اَلَّتِی کٰانَتْ حٰاضِرَهَ اَلْبَحْرِ إِذْ یَعْدُونَ فِی اَلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِیهِمْ حِیتٰانُهُمْ یَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ یَوْمَ لاٰ یَسْبِتُونَ لاٰ تَأْتِیهِمْ کَذٰلِکَ نَبْلُوهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَفْسُقُونَ (١٦٣) وَ إِذْ قٰالَتْ أُمَّهٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اَللّٰهُ مُهْلِکُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذٰاباً شَدِیداً قٰالُوا مَعْذِرَهً إِلیٰ رَبِّکُمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ (١٦۴) فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُکِّرُوا بِهِ أَنْجَیْنَا اَلَّذِینَ یَنْهَوْنَ عَنِ اَلسُّوءِ وَ أَخَذْنَا اَلَّذِینَ ظَلَمُوا بِعَذٰابٍ بَئِیسٍ بِمٰا کٰانُوا یَفْسُقُونَ (١٦۵) فَلَمّٰا عَتَوْا عَنْ مٰا نُهُوا عَنْهُ قُلْنٰا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَهً خٰاسِئِینَ (١٦۶)

اللغه

١۶٠[فانبجست]:الانبجاس خروج الماء الجاری بقله،و الانفجار خروجه بکثره و کان یبتدئ الماء من الحجر بقله ثم یتسع حتی یصیر الی الکثره.

[الغمام]:السحاب الأبیض الرقیق.

ص:۴۶٨

۱۶۳[یعدون]:یعتدون بالصید المحرّم.

۱۶۶[عتوّا]:العتو الخروج إلی أفحش الذنوب،و العاتی المبالغ فی المعاصی،و اللیل العاتی الشدید الظلمه.

[خاسئین]:المطرود المبعد عن الخیر،من خسأت الکلب إذا أقصیته فخسأ أی بعد.

ص:۴۶۹

الرجز عقبى الظلم بعد الايمان

هدى من الآيات:

بنو إسرائيل فريقان:فريق مؤمن و هي الأمه الحقه،و الفريق الثاني:ظالم و أول سماتهم اختلافهم،و استمرار التقسيمات الطبيعيه القبليه بينهم،و عدم شكرهم لربهم على ما رزقهم من المنّ و السلوى،و ظلّل عليهم السحاب،و أن ذلك ظلم لأنفسهم.

و حين أمرهم اللّه أن يسكنوا القريه ليأكلوا منها حيث شاؤوا،و يستغفروا اللّه عن ذنوبهم حتى يغفر لهم خطيئاتهم،و أن يزيد المحسنين الذين يتجاوزون العمل بالواجبات الى الإحسان.

بيد ان هذا الفريق الظالم بدلوا قولا غير ما قيل لهم،فأرسل اللّه عليهم رجزا من السماء بسبب ظلمهم.

و هناك تجربه لا تزال ماثله في ضمير التاريخ من ظلم هؤلاء لأنفسهم،انهم

كانوا فى قريه حاضره البحر و قريبه منه،و كانوا يتجاوزون حدود اللّه سبحانه فى حرمه الصيد فى يوم السبت،و لكى يمتحن اللّه هؤلاء كانت الحيتان تأتيهم فى يوم السبت ظاهره على البحر،بينما لا تأتيهم فى غير السبت،و اختلف الناس ثلاثا فى هذه القريه،ففريق عملوا الجريمه،و فريق سكتوا عنها،و فريق نهوا عنها،و حينما سألهم البعض:لما ذا تعظون قوما أهلكهم اللّه بالمعصيه؟أجابوا: لاننا نأمل فى هدايتهم و لنتمّ الحجه عليهم،و كانت العاقبه أن اللّه عذّب الفريقين الأولين و أنجى الفريق الثالث،و عذبهم بأن مسخهم قرده خاسئين.

بينات من الآيات:

التكامل الاجتماعى:

[۱۶۰]و كانت بنو إسرائيل أمه منقسمه فى اثنتى عشره قبيله،كلّ قبيله أو سبط أمه تتبع قياده معينه..

وَ قَطَّعْنٰاهُمُ اثْنَتَیْ عَشْرَةَ أَسْبٰاطاً أُمَماً و يبدو لى إن هذه الفرق المختلفه لم تبلغ مستوى تلك الامه التى تحدثت عنها الآيه السابقه،التى كانت تهدى بالحق و به تعدل،بل كانت لا تزال فى عهد التقسيمات الطبيعه حيث كانت القبائل تتبع رئاستها،و اللّه سبحانه الذى خلق الطبيعه قدّر لها سننها و هدى الناس إليها،بالوحى و العقل كما خلق الاسره،و جعل لها سنه التحابب و التعاون.

و هدى الناس بالوحى و العقل إلى أهميه الاسره فى بناء كيان المجتمع،كذلك خلق القبيله و شدّ بعضها الى البعض بحبال المحبه،و الوحده الثقافيه،و وحده الهدف و المصير،و هدى الناس الى أهميه إيجاد الترابط البّناء بين أعضاء القبيله فى إطار

التقوی،و التعاون علی البر و الإحسان.

و لکن هـذه السـنن الطـبیعیه لاـ تعنی ان قمه الکمـال هی فی التعرف علیهـا، و الاهتـداء الی کیفیه الاسـتفاده منهـا،بـل قـد یکون التکامـل فی تغییر الطبیعه و تکییفهـا حسب القیم العلیا للحیاه،مثل تحویل الحیاه القبلیه الی حیاه أمیّه تسـتلهم من قیمه التقوی فی بنـاء علاقاتها الاجتماعیه،کما کانت الامه الاسـلامیه الاولی،و کما تکون التجمعات الرسالیه المکتمله،حیث یرتفع الفرد فیها علی علاقاته الاسریه و القبلیه،و یبنی أساس علاقاته علی الاخوه المبدئیه،و یکون التجمع هو أبوه و أخوه و رابطته الأولی،و یری نفسه ابنا للتجمع قبل أن یکون ابنا لوالدیه،و منتمیا الی حزب اللّه قبل أن یکون منتمیا الی قبیله کذا أو عنصر کذا.

و من هنـا بـدأ اللّه حـدیثه عن الأمه الواحـده فی بنی إسـرائیل فی الـدرس السابق ثم تحـدث عن الأمم المتنافسه،و بیّن أن رساله موسـی(علیه السـلام)کانت تهتم أیضا بتلک القبائل و الأسـباط،و تستخدم تلک العلاقات الطبیعیه فی تنظیم المجتمع،لذلک فجّر اللّه لموسی اثنتی عشره عینا،لکلّ قبیله مشربا معینا.

وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسـی إِذِ اسْتَسْـقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْـرِبْ بِعَصـاکَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَهَ عَیْناً قَدْ عَلِمَ کُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ ثم بیّن اللّه النعم التی أسبغها لأولئک الناس الذین لم یذوّبوا أنفسهم بالکامل فی بوتقه الایمان،و قال تعالی:

وَ ظَلَّلْنا عَلَیْهِمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَیْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوی المنّ هو قسم من الحلوی،و السلوی هو الطیر المشوی.

کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُم وَ ما ظَلَمُونا وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ

لماذا لم يعد الغمام يظلّلهم،و المن و السلوی لا ینزلان علیهم؟ لأنهم ظلموا أنفسهم کما سبق فی آیات سوره البقره،حیث إنهم ملّوا حیاه البداوه و دعوا ربهم بالعوده الی المدن.

نقاط الضعف الحضاریه فی المدینه:

[۱۶۱]و بعد أن هبطوا القریه التی هیأها اللّه لهم فسدت أخلاقهم،فبدل أن یشکروا اللّه علی النعم التی وفرها لهم،و بدل أن یستغفروه سبحانه بخضوع و قنوت حتی یتکاملوا عن طریق التعرف علی نقاط ضعفهم و أسباب تخلفهم،و بدل أن یتخذوا الإحسان أداه لتنمیه علاقاتهم الاجتماعیه و تزکیه نفوسهم،بدل کلّ ذلک مما أمرهم به اللّه غیّروا و کفروا بأنعم اللّه،و استکثروا من اللذات و لم ینتبهوا لنواقصهم.

وَ إِذْ قِیلَ لَهُمُ اسْکُنُوا هٰذِهِ الْقَرْیَهَ وَ کُلُوا مِنْهٰا حَیْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّهٌ أیّ اللهم حطّ ذنوبنا و اغفر لنا.

وَ ادْخُلُوا الْبٰابَ سُجَّداً خاضعین للّه حتی لا یستبد بکم طغیان النعم و غرور القوه.

نَغْفِرْ لَکُمْ خَطِیئٰاتِکُمْ سَنَزِیدُ الْمُحْسِنِینَ حیث ان المدینه تصبح آنئذ سببا لتطورکم و رقیّکم،ذلک لان عوامل الضعف فی المدینه هی العوامل التالیه التی نهی ربنا عنها:

أولا:القیود الاضافیه التی لا فائده منها و التی تحدد انتفاع البشر بنعم اللّه،من العادات الجاهلیه،و الآداب الزائده،و سائر القیود و قد نهی ربنا عنها بقوله:(وَ کُلُوا

ص:۴۷۳

مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ)فأمرهم بعدم التقيد بالأغلال الجاهليه التى ما أنزل اللّه بها من سلطان،و قد أوضح القرآن ذلک فی آيات أخرى سبقت أو تأتى فى سائر السور.

ثانيا:الغرور،و الطغيان،و الشعور بالاستغناء،حيث يخشى على المتحضرين من هذه الصفه الرذيله،و قد أمر اللّه بالاستغفار تحصنا من الغرور و الاعتزاز بالإثم، و الاعتقاد ببلوغ مرحله الاكتمال التام.

ثالثا:التجبر و الطغيان على خلق اللّه بسبب الغنى و العزه،و الاتحاد الموجود فى المدينه،و أمر اللّه سبحانه بنى إسرائيل بالسجود للّه عند دخول المدينه،لكى يعرفوا أن غناهم و عزتهم و وحدتهم كل ذلك انما هى من اللّه سبحانه،لا من عند أنفسهم حتى يتجبروا على الآخرين.

رابعا:البخل و الشح عن العطاء مما يسبب التفاخر و المنافسه الحاده،فأمر اللّه فى نهايه الآيه بالإحسان،و بيّن أنه سوف يسبب زياده النعم حتى يتجاوز بنو إسرائيل فى قريتهم هذه الصفه المهلكه،و قال سبحانه:(سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ).

من هنا نعرف أن المدينه مفيده و ضاره،مفيده إذا استطاع المجتمع تجاوز سلبياتها الأربعه،و إلاّ فهى ضاره و تحرق خيرات البشر.

[۱۶۲]أما بنو إسرائيل فقد هزهم دخول القريه لان أكثرهم لم يتقيدوا بتعاليم ربهم سبحانه..

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظْلِمُونَ و انتهت حياتهم المدنيه الى العذاب بسبب ذلک الظلم الذاتى.

ص:۴۷۴

ظلم الذات:

[۱۶۳]و كمثل على ذلك الظلم الذى انتهى الى العذاب بين اللّه لنا قصه السبت،حيث أمرهم بألّا يصيدوا يوم السبت تنظيما لحياتهم الاجتماعيه،و راحه لهم و تفرغا للعباده،و لكن الطمع دفع بهم الى تجاوز حد اللّه فى السبت إذ كانت الحيتان تأتيهم ظاهره فى يوم السبت.

وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَهِ الَّتِى كٰانَتْ حٰاضِرَهَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتٰانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً و ربما المراد بكلمه حيتانهم هو ان هذه الحيتان كانت لهم بالتالى،فان لم يصيدوها فى يوم السبت وفروها ليوم الأحد،و لكنهم لم يكونوا يفقهون تشريع هذه الظاهره.

وَ يَوْمَ لاٰ يَسْبِتُونَ لاٰ تَأْتِيهِمْ يبدو أن المراد أنها فى غير السبت لم تكن ظاهره،و كان ذلك امتحانا لهم و ابتلاء من قبل اللّه حتى يعرفوا مدى ضعفهم.

كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ إذا فسق الإنسان فسقا خفيا و بطريقه منافقه فان ربنا سبحانه يمتحنه امتحانا صعبا و ظاهرا،حتى لا يقدر على مقاومه الإغراء بسبب فسقه الخفى الذى أضعف إرادته و خوّر عزيمته،فيضطر إلى إظهار واقعه،و هذا معنى الابتلاء حيث إنه يظهر الواقع الخفى.

و فى القصص التاريخيه بيان لطبيعه نفاق أصحاب هذه التوبه،حيث إنهم كما

جاء فی تلک القصص یلقون الشباک فی یوم السبت ثم یستخرجون السمک فی یوم الأحد،أو أنهم کانوا قد صنعوا أحواضا علی البحر یدخلها السمک یوم السبت ثم لا یستطیع أن یخرج منها فیصیدونها یوم الأحد.

مواقف المجتمع تجاه الجریمه:

[۱۶۴]و انقسم أهل هذه القریه الساحلیه الی ثلاث فرق،بعضهم المجرمون، و بعضهم الساکتون علی الجریمه،و بعضهم الناهون عنها،و ینقل اللّه سبحانه حوارا بین الساکتین و الناهین.

وَ إِذْ قٰالَتْ أُمَّهٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّٰهُ مُهْلِکُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذٰاباً شَدِیداً أیّ ما لکم تعظون المجرمین الذین لا فائده من وعظکم إیاهم،بل سوف یهلکهم اللّه أو یعذبهم.

قٰالُوا مَعْذِرَهً إِلیٰ رَبِّکُمْ لان النهی عن المنکر واجب شرعی حتی و لو کان بهدف تسجیل الحضور، و بیان انحراف المنحرف،و لو من أجل الأجیال القادمه،و اللّه لا یعذر البشر بمجرد الاعتقاد بأن النهی عن المنکر لا ینفع.

وَ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ و هناک أمل بان یتقی جماعه منهم ربهم فیکفی ذلک ثوابا.

[۱۶۵]و ذکّر اللّه هؤلاء المجرمین بالمناهج التی یجب إتباعها،و حذرهم من تجاوز الحدود و ذلک عن طریق الناهین عن المنکر من قومهم،و لکنهم نسوا ما ذکروا

به فأنجى اللّه الناهين،و أخذ الباقين بالعذاب.

فَلَمّٰا نَسُوا مٰا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذٰابٍ بَئِيسٍ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ و كان بين المهلكين الساكتين عن المنكر.

[۱۶۶]و كان العذاب الشديد هو أن اللّه سبحانه قال لهم كونوا قرده خاسئين.

فَلَمّٰا عَتَوْا عَنْ مٰا نُهُوا عَنْهُ و تكبروا عليه.

قُلْنٰا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خٰاسِئِينَ

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١۶٧ الی ١٧٠]

اشاره

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّکَ لَیَبْعَثَنَّ عَلَیْهِمْ إِلیٰ یَوْمِ اَلْقِیٰامَهِ مَنْ یَسُومُهُمْ سُوءَ اَلْعَذٰابِ إِنَّ رَبَّکَ لَسَرِیعُ اَلْعِقٰابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ (١۶٧) وَ قَطَّعْنٰاهُمْ فِی اَلْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ اَلصّٰالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذٰلِکَ وَ بَلَوْنٰاهُمْ بِالْحَسَنٰاتِ وَ اَلسَّیِّئٰاتِ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (١۶٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا اَلْکِتٰابَ یَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا اَلْأَدْنیٰ وَ یَقُولُونَ سَیُغْفَرُ لَنٰا وَ إِنْ یَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ یَأْخُذُوهُ أَ لَمْ یُؤْخَذْ عَلَیْهِمْ مِیثٰاقُ اَلْکِتٰابِ أَنْ لاٰ یَقُولُوا عَلَی اَللّٰهِ إِلاَّ اَلْحَقَّ وَ دَرَسُوا مٰا فِیهِ وَ اَلدّٰارُ اَلْآخِرَهُ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (١۶٩) وَ اَلَّذِینَ یُمَسِّکُونَ بِالْکِتٰابِ وَ أَقٰامُوا اَلصَّلاٰهَ إِنّٰا لاٰ نُضِیعُ أَجْرَ اَلْمُصْلِحِینَ (١٧٠)

اللغه

١۶٩[عرض]:العرض ما یعرض و یقل لبثه،و منه سمی العرض القائم بالجسم عرضا لأنه یعرض فی الوجود و لا یجب له من اللبث ما یجب للأجسام.

[و درسوا]:الدرس تکرار الشیء،و یقال درس الکتاب إذا کرر قراءته،و درس المنزل إذا تکرر علیه مرور الأمطار و الریاح حتی انمحی أثره.

ص:۴٧٨

كيف انتكس بنو إسرائيل بالتبرير

هدى من الآيات:

و أعلن ربنا سبحانه حكمه الحاسم الذى جاء نتيجه ذلك السلوك الفاسد لبنى إسرائيل حيث عصوا رسالات ربهم،و كان ذلك الحكم هو سيطره الطاغوت عليهم الى يوم يبعثون حتى يسومهم سوء العذاب،ذلك لأن اللّه سريع العقاب و هو غفور رحيم.

و كان من مآسى بنى إسرائيل تشتتهم فى البلاد،كل جماعه منهم سكنوا منطقه، و كان بينهم الصالحون و غيرهم،و قد امتحن اللّه بنى إسرائيل بالحسنات لعلهم يشكرون،و امتحنهم بالسيئات لعلهم يتوبون اليه و يعودون الى شرائعه و مناهجه.

و يبدو أن بنى إسرائيل هبطوا بعدئذ الى درك التخلف الثقافى،حيث انتشرت فيهم الثقافه التبريريه،فخلف من بعد ذلك الجيل جيل فاسد ثقافيا حيث كانوا يهتمون بمظاهر الدنيا،و يزعمون بأن اللّه سيغفر لهم و لكن كيف يغفر اللّه لهم و هم لم يتوبوا توبه نصوحا،بدليل أنهم لو وجدوا مثل تلك المظاهر لأخذوا بها أيضا؟!

إن تلك الأفكار التبريريه التى كانت تشجع على الفساد بأمل الاستغفار لم تكن أفكارا دينيه،لان ميثاق الكتاب و عهده يقضى بألّا ينسبوا الى الدين إلّا الحق، و كان الحق السليم هو الاهتمام بالآخره و أولويتها على عرض الدنيا.

و فى ظلمات تلك العصور كان يشع نور الطليعه الرساليه الذين تمسكوا بقوه بالكتاب،و أقاموا الصلاه،و كان همهم هو إصلاح الناس بعد إصلاح أنفسهم،و اللّه لا يضيع أجر هؤلاء حيث إنه بنسبه عملهم كان يرفعهم.

بينات من الآيات:

التقليد داء المجتمع:

[۱۶۷]لقد مسخ فريق من بنى إسرائيل قرده خاسئين،و بالرغم من ان ذلك الفريق السىء الحظ قد هلك بعد ثلاثه أيام أو سبعه أيام حسب ما جاء فى التاريخ، إلّا أن تلك الحاله قد استمرت بعدئذ فى أجيال بنى إسرائيل التى عصت ربها و اتبعت شهواتها،أو حتى لم تحترم قوانين الدين.

ما هى تلك الحاله؟ لا بدّ أن نعرف مسبقا أن أبرز سمات القرد هو التقليد و التشبه بالآخرين،و هذا يستدرج منتهى درجات الذله و القماءه،و لذلك فان الحاله التى استمرت مع الأجيال الصاعده من بنى إسرائيل كان الاستعباد و الذله،حيث سلط اللّه عليهم طاغوت الظلم و الإرهاب،و أنظمه القهر و الديكتاتوريه فاذاقتهم سوء العذاب،و ذلك بسبب عصيانهم لربهم أو سكوتهم عن المعاصى.

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّکَ

ص:۴۸۱

أی أعلن ذلک بوضوح کاف..

لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَهِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذٰابِ ما داموا فی معصیه اللّه أو بالسکوت عن المعاصی،و إذا غیروا ما بأنفسهم غیّر اللّه لهم حالهم..

إِنَّ رَبَّکَ لَسَرِيعُ الْعِقٰابِ بالرغم مما یتراءی للبشر ان عقابه بطیء..کلا إنه سریع یلحق بالبشر فی الدنیا،و قبل الوقت الذی یسوف العاصی فیه التوبه،و یمنی نفسه بتأخر العذاب.

ثم إن عقاب اللّه ما دام ثابتا لا محاله،فان کلّ آت قریب یحدوه إلیه اللیل و النهار بسرعه فائقه،و لا یقدر البشر علی الفرار منه إلاّ الیه سبحانه،و بالعوده الی مناهجه،و إصلاح الفاسد،ذلک لان رحمه اللّه واسعه..

وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

نتائج الظلم الاجتماعی:

[۱۶۸]الظلم الذی مارسه بنو إسرائیل من هتک حرمه السبت کان ظلما اجتماعیا عاما و سبب فی تبدل النظام السیاسی،و تسلط الطغاه علی الحکم و قیامهم باضطهاد الشعب،

(کما تکونوا یولی علیکم) و کان من نتائج هذا الظلم الاجتماعی و أشباهه الانهیار فی مجتمعهم،حیث تساقطت حدود المجتمع و تفرقت بنو إسرائیل مجموعات..مجموعات..

وَ قَطَّعْنٰاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصّٰالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذٰلِکَ و کانت تلک بدورها مرحله من مراحل سقوط هذا المجتمع المؤمن،حیث تفرقوا

و اختلفوا،و لكن بقيت فيهم أمه صالحه و أمم متدرجه فى الصلاح،و لكن اللّه أنزل عليهم الحسنات حينا و السيئات حينا لكى يختبرهم و يمتحن مدى صمودهم أمام إغراء الحسنات و عذاب السيئات..

وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ حيث إن فلسفه الاختبار هى:ظهور ما خفى على الإنسان من واقعه الضعيف حتى يصلحه و يكمل نفسه.

ثقافه التبرير:

[۱۶۹]أما المرحله الاخطر التى هبط إليها بنو إسرائيل فقد كانت انتشار الثقافه التبريريه التى تتخذ من الدين ستارا لاتباع الشهوات،كما هو الحال عند بعض المسلمين حيث انهم يعملون المعاصى بعد التحايل على الدين،بزعمهم بطريقه أو بأخرى،فيرابون باسم البيع،و يسكتون عن الظالم باسم أنه ولىّ الأمر،أو باسم أن العصر هو عصر التقيه و الانتظار،أو يشجعون الخلافات باسم أنها الاولى بالاهتمام، و هكذا..كانت بنو إسرائيل فى هذه المرحله تتوسل ببعض النصوص و تفسرها حسب آرائها،و تعمل المعاصى باسمها.

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ و لكنهم لم يعملوا به و إنما كانوا..

يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ إن تفسيرهم للاستغفار ساذج و بعيد عن الحقيقه،ذلك لأن الاستغفار هو فى واقعه الندم و العزم على ترك المعصيه،و إصلاح آثار الذنب السابق،أما هؤلاء فقد

زعموا أن مجرد التمنى بالمغفره كاف فى درء خطر العذاب،علما بان ذلك كان نتيجه اتخاذ الدين وسيله تبرير لأخطائهم،و الدليل على ذلك أنهم يعودون الى الذنب كلما وجدوا عرضا زائلا من إعراض الدنيا،و خطوره هذا النوع من التفكير أنه يكرس ضلاله البشر،إذ أن وسيله إصلاح البشر و هى الدين قد اتخذت عندهم وسيله تبرير للفساد فكيف يمكن إصلاحهم؟!الذلك فان القرآن شديد أبدا على أولئك الذين يحرّفون الدين و يفسّرون نصوصه و تعاليمه تفسيرا خاطئا و قد اتخذ مسبقا العهود و المواثيق على من أرسل عليهم الكتاب بالاّ ينسبوا الى اللّه غير الحق المتمثل فى توصيه الناس بأن الآخره أفضل من الدنيا،و ذلك هو هدى العقل إذا انتفع الإنسان بعقله.

أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ و كانت تعاليم السماء واضحه بالنسبه الى الدنيا و أنها عرض زائل..

وَ الدّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ [۱۷۰]و بالرغم من أن أكثر هؤلاء قد انحرفوا و حرّفوا الدين و نسبوا الى ربهم أفكارا باطله،إلا أن طائفه منهم تمسكت بالكتاب تمسكا شديدا،و طبقت تعاليمه و منها:إقامه الصلاه،و الاستلهام من اللّه فى تصرفاتهم و مواقفهم عن طريق إقامه الصلاه،و اللّه سبحانه لا يضيّع أجر هؤلاء لأنهم مصلحون،لا يكتفون بالصلاه بل بإقامتها و تطبيق سننها فى الحياه.

وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٧١ الی ١٧۴]

اشاره

وَ إِذْ نَتَقْنَا اَلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ وٰاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مٰا آتَيْنٰاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اُذْكُرُوا مٰا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلىٰ شَهِدْنٰا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ إِنّٰا كُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمٰا أَشْرَكَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَ كُنّٰا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ اَلْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ اَلْآيٰاتِ وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧۴)

اللغه

١٧١[نتقنا]:النّتق قلع الشیء من الأصل،و کل شیء قلعته ثم رمیت به فقد نتقته.

ص:۴٨۵

الميثاق الإلهیّ

اشاره

لمواجهه اتباع المبطلين

هدی من الآيات:

متی أخـذ الله من بنی إسـرائيل ذلک الميثاق الـذی کان من أبرز بنوده ألا يقولوا علی الله الا الحق؟ الجواب:مرتين،مره حيث قلع قسـما من الجبل و جعله فوقهم کأنه ظلّه أو سـقف،تصوروا أنه سـيقع و يقضـی عليهم،و هنالک أخذ ميثاقهم و قال لهم: خُذُوا مٰا آتَيْنٰاکُمْ بِقُوَّهٍ وَ اذْکُرُوا مٰا فِيهِ ،و ليکن هدف ذکر ما فيه التقوی و الالتزام بواجبات الله سبحانه.

هذه مره،و مره اخری حين أخرج الله ذريه آدم فی صوره ذر و نشـرهم فی الفضاء،و أشـهدهم علی أنفسـهم و قال لهم:« أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ شَهِدْنٰا »و آنئذ حذرهم الله من التبريرات التی قد يتخذونها وسيله لعدم الالتزام بالحدود،و منها:

أن يقولوا يوم القيـامه: إِنّٰا کُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِينَ ،أو يقولوا:« إِنَّمٰا أَشْـرَکَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَ کُنّٰا ذُرِّيَّهً مِنْ بَعْدِهِمْ »کلا..ان کل جيل مکلف و مسئول عند ربه بما أتاه اللّه من

ص:۴۸۶

فطره و عقل،و بما اتخذ عليه من شهاده فى عالم الذر و لذلك لا يصح أن يقول أحدهم « أَ فَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ».

ان هذه الآيات التى يفصلها ربنا سبحانه تهدف اعاده الإنسان الى فطرته النقيه،الى حيث تعاليم الله.

بينات من الآيات:

خذوا ما أتيناكم بقوّه:

[۱۷۱]فى قصه سبق الحديث عنها فى سوره البقره،اقتطع ربنا جانبا من الجبل و جعله فوق رأس بنى إسرائيل،و أمرهم بأن يتعهدوا بأخذ ما آتاهم أخذا قويا دون ان يتكاسلوا أو يتوانوا فيه..

وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ اى رفعنا جزء من الجبل فوقهم.

كَأَنَّهُ ظُلَّهٌ اى كأنه شيء يظلهم كالسقف و السحاب.

وَ ظَنُّوا أَنَّهُ وٰاقِعٌ بِهِمْ أى واقع عليهم،وفاتك بهم.

خُذُوا مٰا آتَيْنٰاكُمْ بِقُوَّهٍ اى اجمعوا عزمتكم،و سخروا همتكم،و اثبتوا تصميمكم على اتباع الدين، فالدين ليس متكأ لكل خاوى العزيمه،ضعيف الهمه،فاقد التصميم،أو لكل

كسول جبان متعاجز،انما هو رساله الله الى الإنسان،و رساله المؤمن الى نظرائه من البشر، انه يصقل شخصيه البشر و يفجر طاقاته،و يظهر مدى تحمله للصعوبات و تعهده بالمسؤوليه،انک لا تستطيع أن تطلب من الدين شيئا قبل أن تعطيه من نفسک و من قدراتک التضحيه و الإيثار،و أن تكون لديک العزيمه الكافيه لاتباع مناهجه مهما كلف الأمر.

و حين تخونک عزيمتک،و تخشى أن يداخلک الشيطان و يفسد عليک تصميمک، عليک أن تعود الى الكتاب و تتدبر فی آياته،و تذكر تعاليمه حتى تخشى الله،و تتعهد بالمسؤوليه،و تتسلح بالتالی بالتقوى.

وَ اذْكُرُوا مٰا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ و بقيت لنا كلمه فی هذه الآيه و هی:أن كل الناس و بالذات الرساليين منهم يمتحنهم الله كما امتحن بنی إسرائيل،فيأخذهم بالبأساء و الضراء حتى يتعهدوا بالمسؤوليه و يأخذوا الدين بقوه،و لا يجب دائما ان تكون الظلّه قطعه جبل،فقد تكون الظلّه كابوس نظام ظالم،أو فقرا مدقعا أو مرضا مزمنا،و قد يكون الرسول الذی يبلغه ضروره الالتزام بالدين و التعهد باتباعه بقوه،قد يكون أحد المبلغين القادمين،أو حتى آيات فی الكتاب يتذكرها المؤمن فی تلک اللحظات،و منها هذه الآيه التی تصدق فی كل مكان و مع كل إنسان و لكن بطرق شتى.

كيف نبلور جوهر الذات؟

[۱۷۲]كما حبه حيه يدفنها التراب و الوحل و السماد و لكنها تنشط و تتحدى و تخرج الى النور و تبرز حيويتها،و قدراتها،و امكاناتها و تعطی ثمراتها،كذلک كل واحد من أبناء البشر يدفنه ركام الخرافات،و وحل الضغوط و الشهوات،عليه أن ينشط و ان يتحدى و أن يبلور جوهرته الانسانيه،و أن ينبعث خلقا جديدا،و هذه

مسئولیه الإنسان،و ذلک میثاق الله الذی تعهد به کل فرد من أبناء آدم و حواء.

و لکن کیف یبلور الواحد منا جوهر الانسانیه فی ذاته،و یصبح ذلک الإنسان الذی فضّله الخالق و أکرمه و خلقه فی أحسن تقویم؟ انما عن طریق الاتصال المباشر بالله،و الانطلاق من الایمان به نحو بناء حیاه جدیده لنفسه،مستقله عن تقلید الآباء،و حرّه بعیده عن الغفله و النسیان.

لقد کنا فی صوره ذر کما جاء فی أحادیث صحیحه،و کنا فی صلب آدم،أو کان بعضنا فی صلب البعض،و أخرجنا الله سبحانه و اشهدنا علی أنفسنا.

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ قد یکون معنی هذه العباره أن ربنا اخرج کل ولد من ظهر والده.

وَ أَشْهَدَهُمْ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ شَهِدْنٰا أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیٰامَهِ إِنّٰا کُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِینَ الغفله لا تکون تبریرا مقبولا للبشر عند الله،بل یجب أن یتحدی البشر حجاب الغفله بنور التذکر،و بوهج العقل الذی یشع فی ضمیر البشر فی بعض الأحیان ان لم یکن دائما.

[۱۷۳] أَوْ تَقُولُوا إِنَّمٰا أَشْرَکَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَ کُنّٰا ذُرِّیَّهً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِکُنٰا بِمٰا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ان هذا التبریر لیس سلیما و لا مقبولا عند الله،إذ أن الله قد أخذ المیثاق من کل واحد منا و حمله مباشره مسئولیه الایمان،و إذا قصّر جیل فی إیمانه فأن الأجیال القادمه غیر معذوره باتباع ذلک الجیل الأول،و هذه الآیه تحذّر من التقلید ببلاغه

ص:۴۸۹

كافيه.

[۱۷۴]و ربنا الحكيم يذكرنا بهذه الحقائق لكى نعود الى فطرتنا،و نبلور جوهر الإنسان فى ذواتنا،و نرفع عن أنفسنا غشاوه الغفله،و أغلال التقاليد.

وَ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

ص:۴۹۰

[سوره الأعراف (۷): الآيات ۱۷۵ الی ۱۷۸]

اشاره

وَ اُتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اَلَّذِی آتَيْنٰاهُ آيٰاتِنٰا فَانْسَلَخَ مِنْهٰا فَأَتْبَعَهُ اَلشَّيْطٰانُ فَکٰانَ مِنَ اَلْغٰاوِينَ (۱۷۵) وَ لَوْ شِئْنٰا لَرَفَعْنٰاهُ بِهٰا وَ لٰکِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى اَلْأَرْضِ وَ اِتَّبَعَ هَوٰاهُ فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ اَلْکَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُکْهُ يَلْهَثْ ذٰلِکَ مَثَلُ اَلْقَوْمِ اَلَّذِينَ کَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا فَاقْصُصِ اَلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَکَّرُونَ (۱۷۶) سٰاءَ مَثَلاً اَلْقَوْمُ اَلَّذِينَ کَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا وَ أَنْفُسَهُمْ کٰانُوا يَظْلِمُونَ (۱۷۷) مَنْ يَهْدِ اَللّٰهُ فَهُوَ اَلْمُهْتَدِی وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۱۷۸)

ص:۴۹۱

هدی من الآیات:

حین یتخذ الدین اداه لشحذ العزیمه،و وسیله لتکامل البشر،فان ذلک سیکون وفاء لمیثاق الإنسان و عهده مع ربه،و لکن حین یکذب البشر بآیات الله،و لا یتمسک بها بقوه،بل ینسلخ منها إذا تعرض لضغوط ما،فإن الشیطان سیلحق به لیملأ قلبه الذی فرغ من آیات الله فیصبح خاویا،و الله قادر علی ان یرفع البشر بآیاته، و لکن بشرط ان ینبعث البشر بذاته عن جاذبیه الأرض،و لا یتبع هواه،أما إذا أخلد الی الأرض،و رکن إلیها،و اعتمد علی العرض الزائل من الدنیا،فمثل هذا الشخص کمثل الکلب فی خسته و دناءته،و ارتباطه بالدنیا و اتباعه لأهلها بأقل شیء،و هناک صفه اخری له هی أنه یلهج بآیات الله التی لم یستفد منها إلا ألفاظا و أسماء،فهو حین تجادله فی آیات الله یلهث بها،أو تترکه یلهث بها مراء و نفاقا.

و لقد ضرب الله هذه الامثله لعل الناس یتفکرون،و لا یتخذون الدین تقلیدا أو أسماء بلا معانی.

ان الذین یکذبون بآیات الله هم المثل السیء الذی یعکس واقعا فاسدا لأنهم یظلمون أنفسهم بتکذیبهم آیات الله.

ان الهـدی من الله،لا ما یتخیله البشـر بفکره القاصـر،اما الضـلاله فهی نتیجه طبیعیه لفقدان هدایه الله،و من لـم یهده الله فإن أساطیر البشر و خیالاته هو لا تعطیه الهدایه،بل تزیده خساره و ضلالا..

بینات من الآیات:

ضروره الالتزام:

[۱۷۵]لاـ بـد للإنسـان ان یتبع منهجـا،و یلتزم بمیثـاق،فـان اتبع منهـج الله و میثـاقه فقـد فاز،و الا فسوف یملأ الشـیطان فراغه،فیتبع منهجه،و یصبح من حزبه، و حین یؤتی الله فردا نعمه الرساله،فینزل علیه آیاته،فعلیه أن یتعهد بمیثاق الله فیها، و هو الالتزام المطلق بها دون ان یترک شیئا منها،تحت ضغط الشهوات أو سبب الإهمال.

أما إذا ترک جانبا من آیات ربه بعد أن استوعبها،فإن الشیطان سوف یصبح قرینه و ساء قرینا،و یکون مثله مثل الکلب کما علماء السوء.و الأحبار و الرهبان، و کل من أوتی علما فترکه.

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِی آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ [۱۷۶] وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ان الله قادر علی ان یجعـل آیـاته سـببا فی رفعه البشـر،بشـرط أن یسـعی هو من أجل ذلک،أما إذا لازم الأرض و ما فیها من ذله و صـغار،و شـهوات عاجله زائله،فإن الله

يتركه لشأنه..

وَ لٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ و اتباع الهوى هو نتيجه مباشره للخلود الى الأرض،و الاكتفاء بها و شهواتها، و عدم التطلع الى السماء،و الى القيم الروحيه و الى المستقبل الأفضل،و الى مرضاه الله و الى الجنه.

ان العلم معراج البشر،و لكن إذا ركن الفرد الى الأرض و شهواتها و جاذبيتها، فإن العلم سوف يترك مكانه للجهل،و العقل للشهوات،و تصبح كلمات العلم عند صاحبها كلهث الكلب.

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ان كل الحيوانات تلهث حين تتطلب الحاجه الى اللهث،كما إذا حمل عليها فإنها تلهث دفاعا أو استعدادا للخطر،أما الكلب فأنه يلهث بمناسبه و بدون مناسبه لان عادته اللهث كذلك العالم الذى يتبع هواه،يلهج بالعلم لا من أجل العمل به،أو توجيه الناس الى الخير به،بل من أجل المباهاه و التعالى على الناس باسمه،فالعلم بدون هدف أو العلم الذى يستخدم لأغراض دنيئه،كما لهث الكلب لا فائده من ورائه و لا كرامه.

ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ الذين يكذبون بآيات الله لا يجدون علما يهتدون به،أو نورا يستضيئون به،و انما يتعلمون كلمات يلهجون بها،كما يلهث الكلب بلا هدف.

انما يستفيد البشر بالعلم إذا تفكر،و تحول العلم الى جزء من شخصيته،و تعلم

ص:۴۹۴

علما يفيده،و كان تعلمه لهدف مقدس،اما وسيله تعلمه فهى القصص الواقعيه التى يستلهم منها رشدا و عبرا و دروسا.

حب الشهره:

[۱۷۷]ان أكثر ما يخدع رجال العلم فيدفعهم نحو المتاجره بالعلم هو حب الشهره،بيد أنهم سوف يشتهرون بالسوء أكثر ما يشتهرون بالخير،و هم يضربون بذلك أسوء الأمثله.

سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ أَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ إنهم أسوء مثل،لأنهم وجدوا فرصه للفلاح فظلموا أنفسهم بترك الفرصه.

[۱۷۸]من أسباب هلاك البشر هو اتكاله على نفسه،و غروره الذى يستغنى به عن هدى الله،و عظمه رسل الله و العلماء بالله،و خصوصا علماء السوء فإنهم يهلكون بهذا الزعم كثيرا،و لذلك يؤكد ربنا على ان الهدى من الله،و على البشر ان يتمتع بالتسليم و القنوت له سبحانه حتى يهتدى،أما إذا لبس رداء الغرور و الكبرياء فسيضل،لأنه سوف لا يهديه،و ليس هناك مصدر آخر للهدايه.

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۷۹ الی ۱۸۳]

اشاره

وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ کَثِیراً مِنَ اَلْجِنِّ وَ اَلْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ یَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْیُنٌ لاٰ یُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لاٰ یَسْمَعُونَ بِها أُولٰئِکَ کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْغافِلُونَ (۱۷۹) وَ لِلّٰهِ اَلْأَسْماءُ اَلْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا اَلَّذِینَ یُلْحِدُونَ فِی أَسْمائِهِ سَیُجْزَوْنَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (۱۸۰) وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ یَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ یَعْدِلُونَ (۱۸۱) وَ اَلَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَیْثُ لاٰ یَعْلَمُونَ (۱۸۲) وَ أُمْلِی لَهُمْ إِنَّ کَیْدِی مَتِینٌ (۱۸۳)

اللغه

۱۷۹[ذرأنا]:الذرء بمعنی الإنشاء و الاحداث و الخلق.

۱۸۳[أملی]:الاملاء التأخیر و الامهال.

ص:۴۹۶

کیف ندعو اللّه بأسمائه الحسنی

هدی من الآیات:

لقـد خلق الله الإنسان فی أحسن تقویم،و زوده بکل وسائل الهدی،و لکن حیث ترک الانتفاع بها أصبح حقیرا الی درجه لا ینفع الا لجهنم، و کأنه قـد خلق لها و من أجلها،لقـد زود الله البشـر بالقلب و جعل التفقه به من مسئولیه البشـر،و زوده بالعین و لکن التبصر بها من واجبه،و کذلک الإذن جعلها من أجل السماع الاستماع لا یمکن الا بإراده البشر و بقراره.

ان الإنسـان الـذی لا یقرر الانتفـاع بوسائـل الفقه و المعرفه التی عنـده یشـبه الانعـام، بـل أضل منها منهجا و طریقا،لان الانعام لا تملک قدره و لبشر یملکها و لا ینتفع بها، و هؤلاء غافلون عن قدراتهم العامله،و عن المستوی الذی بامکانهم بلوغه.

و لله سبحانه الأسـماء الحسـنی،و کل اسم من أسـمائه یشیر الی قوه فاعله فی الحیاه،أو سـنه جاریه فیها،فإذا عرفنا الله بآیاته عرفنا تلک الأسماء،و من خلالها استطعنا أن نکیف أنفسنا مع الحق،و دعاء الله بأسمائه الحسنی یکرس روح

ص:۴۹۷

الحقيقه فى البشر،أما من يغير أسماء الله فعلينا ان نتركهم للجزاء العادل.

و هناك من يحكم بالحق و يجعله مقياسا لتقييم الحياه،أما الـذين يكذبون بآيات الله فإنهم سوف يتدرجون الى النار من حيث لا يعلمون،و ان الله يملى لهم و يمهلهم الى حين.

بينات من الآيات:

الحكمه الربانيه:

[۱۷۹]أن ربنا رحيم و رحمته واسعه،و لكن رحمته سبحانه قد حددها بحكمته البالغه،بأولئك الـذين ينتفعون بالنعم و يقررون الاستفاده منها،أما من لا يشتغل قلبه و سمعه و اذنه و بالتالى مداركه فان رحمه الله تتبدل بالنسبه اليه الى نقمه شديده، حيث يلقى به فى جهنم و كأنهم قد خلقوا لها.

وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها من الآيه يظهر بوضوح أن الهدى من الله،و لكن الاهتداء بالهدى من البشر و من صنعه،فهو الـذى يقرر التفقه بـالقلب،و التبصر بالعين،و السماع بالاذن،و من دون هذا القرار فان الله لا يكره أحدا على الهدى.

أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ لان الانعام تهتدى بفطرتها نحو منافعها،و هؤلاء ينحرفون حتى انهم ليضرون بأنفسهم بوعى و من دون وعى،كالـذى يشرب الخمر و يضرر بنفسه،و الذى يسلط الطاغوت ليستعبده،و الذى يعاقر المخدرات و يمارس الفاحشه ليضر بنفسه،مما لا يفعله الحيوان لأنه يهتدى بفطرته الى مصالحه..

ص:۴۹۸

أَولٰئِکَ هُمُ الْغٰافِلُونَ الغافل هو:الذی یملک ذخائر المعرفه و لکنه لا یستفید منها فیقع فی المهالک.

الکفر بالأسماء و الصفات:

[۱۸۰]بسبب الإلحاد و الانحراف فی أسماء الله،ینحرف کثیر من الناس فیزعمون مثلا أن الله واسع الرحمه و انه لذلک لا یعذب أحدا لان رحمته تأبی ذلک،أو یزعمون بأنه لو زلّ أحد فانه قد سقط نهائیا و سوف یعاقبه الله لأنه شدید العقاب، و لا یرجی له الخیر أبدا،هذا التصور الخاطئ أو اذاک یکرس انحراف البشر،بینما الاعتقاد السلیم أن اللّه واسع الرحمه و أنه شدید العقاب کل فی محله و حسب الحکمه، و ان الرحمه و النقمه تأتیان بعد اراده البشر و مشیئته،فلو أراد الرحمه لنفسه لحصل علیها،و لو شاء العذاب لابتلی به،هذا الاعتقاد السلیم یبعد البشر من انحرافاته، و هذا الاعتقاد السلیم انما یبلغه الإنسان بفطرته النقیه و عقله و بصیرته،حیث ینسب بها الی ربه أحسن الأسماء.

وَ لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا إنّ دعاء اللّه بأسمائه الحسنی یکرس الضمیر الحسن عند الإنسان،فیهتدی الی السنن الحاکمه فی الحیاه و التی یجریها ربنا بأسمائه الحسنی.

وَ ذَرُوا الَّذِینَ یُلْحِدُونَ فِی أَسْمٰائِهِ سَیُجْزَوْنَ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ و الإلحاد فی أسماء اللّه یسبب انحرافات عملیه،و علی تلک الانحرافات یعاقب اللّه عباده،لا علی مجرد التصور الخاطئ،بل نستطیع أن نؤکّد ان الانحرافات العملیه هی السبب المباشر فی الإلحاد فی أسماء ربنا،إذ من دون سبب و إذا ترک البشر فطرته النقیه عرف اللّه بأسمائه الحسنی،و لذلک لا ینفع الجدل فی أسماء اللّه

و المناقشه مع الملحدين فيها،لان سبب الانحراف و الإلحاد ليس سوءا لفهم بل سوء النيه،و ربما لذلك أمرنا اللّه بترك هؤلاء الملحدين و شأنهم،إذ المجادله مع المنحرفين بوعى مسبق و إصرار عليه تشوش رؤيه البشر الصافيه،و تشككه فى حقه.

و تبقى كلمه فى أسماء اللّه و هى:

يبدو أن الخليقه تقاد بقوى معينه مثلا ـ بالعلم،و الحكمه،و القدره،فالشمس تجرى لمستقر لها،و لكن كيف؟ الحكمه هى التى تجعل للشمس هدفا تتحرك نحوه من أجل تحقيقه،و العلم هو الذى يحدد مسيره الشمس بحيث تبلغ الهدف،و القدره هى التى تنفذ الحكمه و العلم و تقهر الشمس على اتباع تلك المسيره المحدده،هذه هى أسماء اللّه سبحانه، و تجلياته،فالعلم اسم من أسمائه الذى يتجلى فى كل صغيره و كبيره فى الكون، و الحكمه كذلك،و القدره و هكذا..

و حين ندعو اللّه بأسمائه و نقول يا عليم،يا قدير،يا حكيم،أو نقول نسألك بعلمك،و بقدرتك،و بحكمتك،فاننا فى الوقت الذى نكرس فى أنفسنا قيمه العلم، و القدره،و الحكمه و نستخدمها فى واقعنا،فان هذه القيمه لا تكون منفصله عن توحيد اللّه و عن عبادته،و عن الايمان بأنه أعلى من أسمائه،و أن علينا التوكل عليه لا الاعتماد فقط على أسمائه.

التوسّل بالذات لا بالصفات:

ان من أكبر أخطاء البشر هو التوسل بأسماء اللّه سبحانه دونه،لان ذلك يشكل جزءا من الحقيقه الكونيه،و هو يؤدى الى الايمان ببعض الحقيقه،فمثلا،الايمان بالعلم دون الحكمه يسبب جعل العلم معبودا وحيدا كما فعل الفرنسيون فى منطلق

ثورتهم.و العبودیه للعلم تجعل العلم بلا هدف،بل بهدف استغلال البشر،و سحق القیم المعنویه عنده.کذلک القدره إذا أصبحت معبوده بذاتها لا بصفتها اسما من أسماء اللّه الحسنی،فان القدره المنطلقه بلا حکمه تستهوی الناس و تجعلهم یطلبونها بشتی الوسائل،حتی بفداء القیم.

و من هنا ترکز الادعیه المأثوره علی تذکر الأسماء الحسنی بأنها منسوبه الی اللّه و جاء فی بعض الادعیه:-

۱-[اللهم انی أسألک باسمک یا اللّه یا رحمن،یا رحیم،یا کریم،یا مقیم، یا عظیم،یا قدیم،یا علیم،یا حلیم،یا حکیم،لا اله إلاّ أنت،الغوث الغوث،خلصنا من النار یا رب]. (۱)

-۲

[اللهم انی أسألک باسمک یا علی یا وفی،یا غنی،یا ملی،یا صفی یا رضی، یا زکی یا أبدّی،یا قوی یا ولیّ]. (۲)

-۳

[اللهم إنی أسألک من بهائک بأبهاه و کلّ بهائک بهیّ،اللهم إنی أسألک ببهائک کله،اللهم إنی أسألک من علمک بأنفذه و کلّ علمک نافذ،اللهم إنی أسألک بعلمک کلّه]. (۳)

-۴

[اللهم إنی أسألک برحمتک التی وسعت کلّ شیء،و بقوتک التی قهرت بها کلّ شیء،و خضع لها کلّ شیء،و ذلّ لها کلّ شیء،و بجبروتک التی غلبت بها کلّ شیء،و بوجهک الباقی بعد فناء کلّ شیء،و بأسمائک التی ملأت أرکان کلّ

۱- ۱) من دعاء الجوشن الکبیر فی مفاتیح الجنان.

۲- ۲) من دعاء البهاء فی مفاتیح الجنان.

۳- ۳) دعاء کمیل للإمام علی علیه السلام

شیء]. (۱)

إنّ أسلوب الادعیه یکرس قیمه الأسماء التی تذکر تاره بالعموم و تاره بالتحدید،و لکن تبقی قیمه التوحید فوق قیمه أسماء اللّه،لان هذه الأسماء تتصل بالتالی باللّه سبحانه.

موقف التصدیق:

[۱۸۱]و حین یدعو المؤمن ربه بأسمائه الحسنی یجعل الحق مقیاسا و قیمه،لأنه بمعرفه اللّه سبحانه و معرفه أسمائه الحسنی یستوعب البشر جوانب الحق.

وَ مِمَّنْ خَلَقْنٰا أُمَّهٌ یَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ یَعْدِلُونَ و الملاحظ فی الآیه أن اللّه سبحانه عبر عن أولئک الذین یحکمون بالحق ب(الأمه) باعتبارهم طائفه منتظمه تحت قیاده إمام،ثم إنهم یهدون الناس الی الحق،و هم بدورهم یأخذون بالحق و یجعلونه مقیاسا لتطبیق العداله فی المجتمع.

موقف التکذیب:

[۱۸۲]و فی مقابل هؤلاء جماعه یکذبون بآیات اللّه التی تهدی الی الحق،و جزاء هؤلاء استدراجهم حتی یصلوا الی الدرک الأسفل من حیث لا یعلمون] وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَیْثُ لاٰ یَعْلَمُونَ و الاستدراج هو:إعطاء الطرف الآخر فرصه التقدم حتی یقع فی الفخ مفاجئه، لذلک لا یجوز للبشر أن یستریح علی المهله التی یعطیها اللّه له،أو علی النعم التی

۱- ۱) دعاء السحر

تترى عليه،أو ما أشبه..فان المهله أو النعمه قد تكون مصيده له،و فخا سرعان ما يقع فيه.

[۱۸۳] وَ أُمْلِی لَهُمْ إِنَّ کَیْدِی مَتِینٌ أیّ أعطیهم مهله،و ذلک خطه لأخذهم أخذا لا یقدرون علی الفرار منه،لان خطه اللّه متکامله و محکمه.

ص:۵۰۳

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٨۴ الی ١٨٧]

اشاره

أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مٰا بِصٰاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّٰ نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨۴) أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا خَلَقَ اَللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ وَ أَنْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اِقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨۵) مَنْ يُضْلِلِ اَللّٰهُ فَلاٰ هٰادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨۶) يَسْئَلُونَكَ عَنِ اَلسّٰاعَةِ أَيّٰانَ مُرْسٰاهٰا قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبِّي لاٰ يُجَلِّيهٰا لِوَقْتِهٰا إِلاّٰ هُوَ ثَقُلَتْ فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ لاٰ تَأْتِيكُمْ إِلاّٰ بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهٰا قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ اَللّٰهِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ اَلنّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ (١٨٧)

اللغه

١٨۴[جنّه]:الجنه الجنون و أصله الستر.

١٨٧[الساعه]:الساعه التی یموت فیها الخلق.

[أيّان]:متی و هو سؤال عن الزمان علی وجه الظرف للفعل.

[مرساها]:الارساء الإثبات،و مرسیها مثبتها،و رسا الشیء یرسو فهو رأس إذا ثبت.

[حفی]:الحفیّ المستقصی فی السؤال،و احفی فلان بفلان فی المسأله إذا أکثر علیه و ألحّ.

ص:۵٠۴

عسی أن یکون قد اقترب الأجل

هدی من الآیات:

زود اللّه البشر بأدوات التفکر لیکتشف الحقیقه بنفسه،و إذا لم یفعل فان ضلالته مؤکده،و عن طریق التفکیر یبلغ البشر الی طبیعه الأشیاء و الظواهر،فظاهره الرساله لو تفکر المرء فیها عرف انها حق،و ان الرسول لیس به جنون،بل ان ما یری فی هذه الظاهره من مظاهر الانتفاضه و التغییر فانما هو شهاده علی واقع جدید سیأتی وراءه،و الرساله إنذار واضح بوقوع ذلک الواقع.

و کذلک لو تفکر المرء فی ملکوت السماوات و الأرض و ما فیهما من عظمه و فخامه،و لو تفکر فی خلق أی شیء مخلوق و ما فیه من متانه و لطف و دقه و إتقان، آنئذ یعرف أن هذا النظام المتکامل یعتمد علی هیمنه قوه أعلی منه،و أن هذا النظام یهدف أولا:إمتحان البشر،و ثانیا:أن المدبر له لو شاء ترک النظام یتهاوی و هذه اللحظه محتمله فی أی وقت.و إذا تفکر البشر فی الرساله،ثم تفکر فی الخلیقه لآمن بها،و إذا تولی جحودا فلا شیء آخر یمکن أن یؤمن به بعقله،کیف و الهدی من اللّه

ص:۵۰۵

و قد تولى عنه؟و من يضلله اللّه يمنع هداه عنه،فان طغيانه و استكباره سيجعله قابعا فى ضلالته الى الأبد.

و هم يسألون الرسول عن الساعه:متى ترسو عليها سفينه الكون؟ تلك الساعه الثقيل وقعها فى السماوات و الأرض،إنها لا تأتى إلاّ مفاجئه و علمها عند اللّه،و أكثر الناس لا يعلمون.

بينات من الآيات:

لا للتبرير:

[۱۸۴]سبق الحديث فى آيه(۱۷۳)على ان على البشر مسئوليه المعرفه و التصميم،و انه لا يمكنه تبرير فساده بالغفله و التقليد،و ها هو القرآن يذكرنا مره اخرى بمسؤوليه التفكير الوسيله الوحيده لمقاومه الغفله:

أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا و لأهميه التفكير و ضرورته الفطريه يتساءل اللّه:لماذا لم يتفكروا؟ مٰا بِصٰاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّهٍ إِنْ هُوَ إِلاّٰ نَذِيرٌ مُبِينٌ إن الرسول يخبرهم عن أشياء جديده غير مألوفه و لذلك فيمكن أن يكون هذا فى نظرهم جنونا عارضا أو إنذارا مبينا،و بالتفكير نعرف المتانه فى الكلام،و القوه فى الدليل،و السلامه فى النيه،و شواهد الوجدان و العقل مما يدل جميعا على ان كلام الرسول ليس جنونا بل هو إنذار حق و واضح.

[۱۸۵]ذلك الإنذار الذى يحذر من المصير الذى ينتهى اليه المجرمون،يمكن أن

نسمعه من الرسول و من لسان الكون أيضا،الذی ينطق بالنظام الدقيق و العظمه المتناهيه.

أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِی مَلَكُوتِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و ما فيهما من عظمه تدل علی قدره الخالق و هيمنته..

وَ مٰا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَیْءٍ و ما فی كلّ شیء ينظر اليه الإنسان من خلق اللّه دلاله واضحه علی دقه النظم، و إتقان الخلق،و حسن التدبير.

إن النظر فی عظمه الكون،و فی أیّ شیء مخلوق،يهدينا الی اللّه الذی يهيمن علی تدبير الكون،و اللّه فی أیّ لحظه يمكن أن يسحب تدبيره عن الكون فيتهاوی،و إنه لم يخلق الخلق عبثا و بلا هدف،بل بحكمه بالغه هی:ابتلاء الإنسان،و اختبار تحمله لمسؤوليه التفكر،و اراده التصميم..

وَ أَنْ عَسیٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَیِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ إذا تركوا هذا الحديث الذی هو إنذار مبين،و يشهد عليه النظر فی السماوات و الأرض و فی أیّ مخلوق صغيرا أو كبير من خلق اللّه سبحانه،هل هناك حديث أفضل منه يؤمنون به؟ [۱۸۶]الذی لا يهتدی بهدی اللّه فان الدليل الوحيد له هو الضلاله الدائمه.

لماذا؟ لان عدم ايمانه بهدی اللّه ناشئ من طغيانه علی اللّه و الحق،و هذا الطغيان باق معه و يسبب له العمه و الضلال.

مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلاٰ هٰادِیَ لَهُ وَ یَذَرُهُمْ فِی طُغْیٰانِهِمْ یَعْمَهُونَ

متی تقوم الساعه؟

[۱۸۷]إذا کانت شواهد الکون تدل علی أن النظام الذی یمسک السماوات و الأرض سوف ینتهی فی یوم،و ان سفینه الکون سوف ترسو فی نهایه المطاف علی شاطئ،فان هذا السؤال سوف یطرح أیّان مرسی هذه الساعه؟متی؟و کیف؟:

یَسْئَلُونَکَ عَنِ السّٰاعَهِ أَیّٰانَ مُرْسٰاهٰا و متی تقف عند الشاطئ النهائی.

قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبِّی لاٰ یُجَلِّیهٰا لِوَقْتِهٰا إِلاّٰ هُوَ ثَقُلَتْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ لاٰ تَأْتِیکُمْ إِلاّٰ بَغْتَهً یبدو لی:أن ساعه کلّ طائفه تنتهی فی حین،فما ذا ینفعها حین ینتهون؟إن الحیاه تستمر فی غیرهم،إن ساعه قوم لوط رست عند ما نزل العذاب علیهم فی صوره زلزال عظیم،و ان ساعه فرعون و قومه قد حلت حینما أغرقوا فی الیم،و هذه الساعه تأتی مفاجئه و دون إنذار.

و ربما یشیر الی ذلک ضمیر(کم)،ذلک لان نهایه الکون لا تأتی الجمیع،بل فقط أولئک الذین یتواجدون آنئذ.

و یبقی السؤال:لما ذا یطرح الناس هذا السؤال علی الرسول؟أو لیسوا هم المسؤولون أولا و أخیرا عن أنفسهم؟أو لا یهمهم أمر نهایتهم و بلوغ ساعتهم،أو ان الرسول حفی بها..مطلع عنها؟ یَسْئَلُونَکَ کَأَنَّکَ حَفِیٌّ عَنْهٰا

يستقصى السؤال عنها،و يطلع بجوانبها،بينما هم المسؤولون و عليهم التقصى كما الرسول.

قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ اللّٰهِ فهو الذى يقرر متى ينتهى وقت الامتحان،و يبلو واقع كلّ واحد منا،فيقرر بمشيئته المطلقه ميعاد الجزاء..

وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ هذه الحقيقه الواضحه و هى:أن مصير البشر بيد اللّه العزيز الحكيم،لا بيدهم أو بيد الرسول(صلّى اللّه عليه و آله).

ص:۵۰۹

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۸۸ الی ۱۹۱]

اشاره

قُلْ لاٰ أَمْلِکُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لاٰ ضَرًّا إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اَللّٰهُ وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ اَلْغَیْبَ لاَسْتَکْثَرْتُ مِنَ اَلْخَیْرِ وَ مٰا مَسَّنِیَ اَلسُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاّٰ نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۱۸۸) هُوَ اَلَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَهٍ وَ جَعَلَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا لِیَسْکُنَ إِلَیْهٰا فَلَمّٰا تَغَشّٰاهٰا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِیفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمّٰا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اَللّٰهَ رَبَّهُمٰا لَئِنْ آتَیْتَنٰا صٰالِحاً لَنَکُونَنَّ مِنَ اَلشّٰاکِرِینَ (۱۸۹) فَلَمّٰا آتٰاهُمٰا صٰالِحاً جَعَلاٰ لَهُ شُرَکٰاءَ فِیمٰا آتٰاهُمٰا فَتَعٰالَی اَللّٰهُ عَمّٰا یُشْرِکُونَ (۱۹۰) أَ یُشْرِکُونَ مٰا لاٰ یَخْلُقُ شَیْئاً وَ هُمْ یُخْلَقُونَ (۱۹۱)

ص:۵۱۰

هدی من الآیات:

لو تدبر الإنسان فی کتاب الحیاه لعرف الحقیقه،کذلک لو تدبر فی نفسه و ما فیها من علائم النقص و آیات الخلقه.

من أنا؟و کیف خلقت؟و ما أملک؟و من یملک أمری؟ إننی موجود لا- أملک لنفسی نفعا و لا ضرا إلاّ فی حدود الحریه و الامکانیات التی وفرها اللّه لی،و لا أعلم الغیب بدلیل انی أخسر کثیرا بسبب جهلی بالمستقبل و بالغائب عن نظری،و کثیرا ما تحمل الحوادث السوء لی و انا استقبلها جهلا، و الإنسان بحاجه الی الرسول الذی ینذره بالمستقبل و یجعله یتحذره،و یعرّفه کیف ینتفع بالمستقبل.

کیف خلقنی اللّه؟ لقد غرز اللّه شهوه الجنس فی والدی،حیث خلقهما من نفس واحده و جعل

أحـدهما يسـكن الى الآخر،و يتكامل وجوده النفسـى و الجسدى و المعيشـى بالثانى، و حين أتى الرجل زوجته حملت منه حملا سهلا لم تشـعر بثقله حتّى انها كانت تقوم بأعمالها العاديه،حتى أثقلت بالحمل بعـد فتره،و هناك شـعرا-هى و زوجها- بمسؤوليه الطفـل و دعوا اللّه أن يرزقهما صالحا غير فاسـد،و تعهـدا بشـكر اللّه،و لكن حين رزقهما اللّه ولـدا صالحا نسـيا اللّه و نسـبا ولاده الطفل الى بعض الشـركاء،دون أن يفكرا فى أن الشركاء لا يملكون لهما نصرا و لا يمكن الانتصار لهما،كما أنهم عباد مخلوقون و لا يقدرون على خلق شىء،كما انهما نسيا تلك الحاله السابقه حيث توسلا عندئذ فقط باللّه دون الشركاء!!لأنه فى حاله الشعور بالخطر ينسى المرء الشركاء.

بينات من الآيات:

من هو الرسول؟

[١٨٨]من الرسول؟هـل هو شخصـيه متميزه جسـديا؟ كلاـ.إنه فقـط يتميز بالرسـاله الموحى بها اليه،و بالاتصال بينه و بين ربه،فما لديه إنما هو من اللّه سبحانه و به.

قُـلْ لاـ أَمْلِـکُ لِنَفْسِـی نَفْعـاً وَ لاـ ضَـرًّا إِلاَّ ما شاءَ اللَّهُ وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لَاسْـتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ فحين أصاب بالسوء كأى بشـر آخر،و حين لا اسـتكثر الخير لعدم معرفتى بالمستقبل،فانى بشر مثلهم.نعم أعلم الغيب فى حدود تعليم اللّه لى و وحيه علىّ، كما أنى أملك النفع و ادفع الضر فى تلك الحدود أيضا.

إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ

ص:٥١٢

أما الذين لا يؤمنون فان الوحى لا ينفعهم إذ الوحى انما ينفع من يريد و يصمم على تطبيقه و تنفيذ مناهجه،و إذا كان الرسول لا يملك نفعا و لا ضرا،فكيف بسائر الناس؟و معرفه الإنسان بنقاط ضعفه تجعله يعود الى واقعه و يعرف انه مربوب مخلوق.

قصه الخلق:

[۱۸۹]الآن لا أملك شيئا إلاّ بقدر ما ملكنى اللّه،أما فى الماضى فقد كنت نتيجه غريزه جنسيه خلقها اللّه فى والدىّ،و ربما الوالدين لم يستهدفا من وراء الزواج ولادتى،بل ربما أرادا قضاء شهوه جامحه! هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ فلذلك يحن الواحد منا الى الآخر،و يعطف عليه و يأنس اليه،و لذلك أيضا لا فوارق بين البشر و نظيره البشر،و خصوصا لا فرق بين الذكر و الأنثى فرقا حقيقيا..

وَ جَعَلَ مِنْهٰا زَوْجَهٰا لِيَسْكُنَ إِلَيْهٰا فالرجل خلق متكامل مع الأنثى لذلك لا يسكن إلاّ إليها،و من مظاهر السكن، إن كلّ شخص يشعر بنقص حتى يكتمل،بالزواج،و آنئذ يكون بإمكان الطرفين تكميل حياتهما معا،فاذا وفر الذكر للحياه المتكامله:القوه،و العزيمه،و خشونه التحدى،فان الأنثى توفر لها الرحمه،و العاطفه،و نعومه الرفق،و كلما هو ضرورى للتعاون..

فَلَمّٰا تَغَشّٰاهٰا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ أىّ مارست أعمالها العاديه بسهوله و يسر،دون ثقل عليها من قبل الجنين، الذى يتكامل فى رحمها بسرعه،أو ليس ذلك يدل على إتقان الصنعه،و لطف

ص:۵۱۳

التدبير،من قبل الرب الحكيم العليم..

فَلَمّٰا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللّٰهَ رَبَّهُمٰا لَئِنْ آتَيْتَنٰا صٰالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰاكِرِينَ إن الشعور بالثقل لا يلازم أبدا الشعور بالصعوبه،إذ المرأه السليمه لا تشعر بصعوبه بالغه بسبب الحمل إلاّ قبيل الولاده،و لكن هذا الشعور إنما هو بهدف إشعارها بالمسؤوليه القادمه،و ذلك للاستعداد لها و توفير وسائل الراحه و الامان للضعيف الجديد،و هكذا نرى كيف يتغيّر الوالدان و يشعران بمسؤوليه بالغه تجاه الوليد،و أول طلبهم هو:أن يكون خلاصه حياتهما و فلذه كبديهما سالما و صالحا، جسديا و روحيا،و لفرط الاحساس بالمسؤوليه ينسيان الشركاء المزيفين و يتوجهان الى اللّه ربهما،مثلما ينسى البشر كل الشركاء فى أوقات العسر الشديد،بل و يتعهدان بالشكر للّه،و القيام بواجبات الوليد الجديد مثل:التربيه السليمه،و الارتفاع الى مستوى الأب و الأم إذا آتاهما صالحا..

الإنسان و النسيان:

[۱۹۰]و لكن سرعان ما ينسيا هذه التعهدات حيث يعودان الى الشركاء، و هى كلّ القوى الماديه التى تضغط على البشر باتجاهات منحرفه،مثل المجتمع الفاسد و رمزه السلطه،و مثل الثقافه الفاسده و رمزها الأحبار،و الرهبان،و الشعراء، و مثل الاقتصاد الفاسد و رمزه أصحاب المال،و الرأسماليه.

فَلَمّٰا آتٰاهُمٰا صٰالِحاً جَعَلاٰ لَهُ شُرَكٰاءَ فِيمٰا آتٰاهُمٰا فَتَعٰالَى اللّٰهُ عَمّٰا يُشْرِكُونَ و لذلك لم يطبق ناهج اللّه فى تربيه الأولاد،بل اتّبعا الشركاء،فافسداه اجتماعيا حينما اخضعا،للطاغوت،و أفسداه ثقافيا حيث سلماه بيد أدعياء العلم و الدين و هما يعرفان فسادهم،و أفسداه اقتصاديا حيث ربطاه بعجله الرأسماليه.

بینما کان الواجب علیهما تربیته علی أساس سلیم،و فصله عن سلبیات الشرکاء أنی کانوا،و تحریره للّه و جعله مرتبطا به و برسالاته،ذلک الرب الذی أعطاهما إیاه و جعله صالحا غیر فاسد،و لکنهما هما اللذان أفسداه،و کما

قال الرسول(صلّی اللّه علیه و آله):

کل مولود یولد علی الفطره حتی یکون أبواه یهودانه أو ینصرانه) (۱)و اللّه أعلی من الشرکاء،و الحق الموصی من عنده سوف یجرف غثاء الشرکاء و زبدهم،و یحرر الناس من ید الفاسدین.

قابلیه الانهزام و الاستعمار:

[۱۹۱]و الناس لا یفکرون ما هی قوه الطاغوت،أو قوه الرأسمالیه،أو علماء السوء؟إنهم ضعفاء لولا تسلیم الناس لهم،و خضوعهم لسیطرتهم الظالمه،إن هؤلاء الشرکاء لا یخلقون شیئا بل هم الذین یخلقون،یخلقهم اللّه،فیسرقون إمکانات الناس،و یفرزهم الوضع الفاسد.

أَ یُشْرِکُونَ مٰا لاٰ یَخْلُقُ شَیْئاً وَ هُمْ یُخْلَقُونَ إن الطاغوت مخلوق للّه،و لکنه فی الوقت ذاته یستغل جهل الناس و غفلتهم، و اطماع طائفه منهم و صغر نفوسهم،یستغلها فی خلق قوه ضاربه له یتسلط بها علی المستضعفین،فکیف یخضع البشر لبشر مثله مخلوق غیر خالق؟خلقه اللّه و صنعه الوضع الفاسد؟ [۱۹۲]أ نهدف من وراء اتباع السلطان،أو التسلیم للوضع الفاسد،الرکون الی

۱- ۱) بحار الأنوار ج /۲۸۱ح ۲۲

قوته و نصرته فی الوقت الذی لا یملک الشرکاء قوه و نصرا،بل إذا تدبرنا جیدا عرفنا:

أننا نحن الذین ننصر الطاغوت و نعطیه السیطره علینا،بسبب سکوتنا علیه و خضوعنا له..

وَ لاٰ یَسْتَطِیعُونَ لَهُمْ نَصْراً إن الطغاه و الفاسدین المفسدین من جلاوزتهم یزعمون أبدا:أن وجودهم و استمرار سیطرتهم یضمن للمجتمع الأمن و الازدهار،بینما لا یضمن الطغیان إلا الخراب و الدمار،لأنه یکبت طاقات الناس،و یضعف إرادتهم،فلا هم قادرون علی عماره بلدهم لان طاقاتهم مکبوته،و لا هم قادرون علی المحافظه علی بلدهم لأنهم ضعفاء الاراده.

لقد ثبت علیما:أن أبرز الأسباب المباشره للتخلف هو:الدیکتاتوریه کما ان جیوش البلاد التی یسودها الطاغوت لم تقدر علی الدفاع بمثل الجیوش الحره،و ربما کان من أبرز أسباب هزیمه النازیه دیکتاتوریتها،بل أن الطاغوت أضعف من الناس العادیین لأنه یعتمد علی قوه الناس فی الدفاع عن شخصه،بحیث لو ترکه الناس تهاوی و سقط،لذلک قال ربنا سبحانه:

وَ لاٰ أَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُونَ فحتی أنفسهم لا یستطیعون الدفاع عنها،فکیف نعتمد علیها؟

ص:۵۱۶

[سوره الأعراف (۷): الآیات ۱۹۲ الی ۱۹۸]

اشاره

وَ لاٰ یَسْتَطِیعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَ لاٰ أَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُونَ (۱۹۲) وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَی اَلْهُدیٰ لاٰ یَتَّبِعُوکُمْ سَوٰاءٌ عَلَیْکُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صٰامِتُونَ (۱۹۳) إِنَّ اَلَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ عِبٰادٌ أَمْثٰالُکُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْیَسْتَجِیبُوا لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۱۹۴) أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ یَمْشُونَ بِهٰا أَمْ لَهُمْ أَیْدٍ یَبْطِشُونَ بِهٰا أَمْ لَهُمْ أَعْیُنٌ یُبْصِرُونَ بِهٰا أَمْ لَهُمْ آذٰانٌ یَسْمَعُونَ بِهٰا قُلِ اُدْعُوا شُرَکٰاءَکُمْ ثُمَّ کِیدُونِ فَلاٰ تُنْظِرُونِ (۱۹۵) إِنَّ وَلِیِّیَ اَللّٰهُ اَلَّذِی نَزَّلَ اَلْکِتٰابَ وَ هُوَ یَتَوَلَّی اَلصّٰالِحِینَ (۱۹۶) وَ اَلَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاٰ یَسْتَطِیعُونَ نَصْرَکُمْ وَ لاٰ أَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُونَ (۱۹۷) وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَی اَلْهُدیٰ لاٰ یَسْمَعُوا وَ تَرٰاهُمْ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ وَ هُمْ لاٰ یُبْصِرُونَ (۱۹۸)

ص:۵۱۷

لماذا يدعون عبادا أمثالهم

هدى من الآيات:

إن الشركاء الذين يدعون من دون اللّه لا يرجى هدايتهم،لأنهم فاسدو الضمير، و لذلك يجب أن يتركوا،ثم لا بدّ أن يتحرر الناس من عقده الذل تجاه الشركاء (الطاغوت و أعوانه من علماء السوء و الأغنياء و الجنود)لا بدّ أن يعرفوا أنهم عباد كما هم،لا فرق،و أنهم لا يستجيبون للناس،و أن أعضاءهم مشلوله،و انهم ضعفاء،دعهم يجتمعون فإنهم لا يفعلون شيئا.

بينما اللّه ولي الصالحين من عباده، قد نزل الكتاب يهدى الناس،فكم هو الفرق بين من لا يهتدى و بين من يهدى الجميع؟! أما الذين يدعوهم الناس لا يقدرون على الانتصار لأنفسهم،فكيف ينصرونهم،و إن قلوبهم قد اسودت حتى انهم لا يسمعون دعوه الإصلاح و لا يبصرون،بالرغم من استخدامهم لعيونهم ظاهرا.

ص:۵۱۸

بينات من الآيات:

آخر الدواء الكى:

[۱۹۳]إن أئمه الضلال الذين ينازعون اللّه سبحانه رداء الحاكميه إنهم قد هبطوا الى الفساد الى الحضيض،و لذلك فان علينا قتلهم و هذا هو العلاج الوحيد لهم،و حين يزعم بعض من البسطاء ان الطغاه يمكن ان يهتدوا،فان هذا الزعم تبرير لتكاسلهم و تقاعسهم عن التمرد عليهم،و لذلک فان القرآن الحكيم قد قضى على هذا التبرير السخيف بقوله سبحانه:

وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدىٰ لاٰ يَتَّبِعُوكُمْ سَوٰاءٌ عَلَيْكُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صٰامِتُونَ فلا يجب أن تدعوهم الى الهدى،فاذا لم يستجيبوا تثورون ضدهم كما فعل موسى(عليه السلام)،بل يمكن ان يسبب ذلك فى فشل خطط الرساليين.

[۱۹۴]إن أئمه الضلال هم فى واقع أمرهم بشر مثل الآخرين بل هم أقل،لان الناس العاديين يتقبلون الهدى،بينما الطغاه لا يستجيبون للهدى.

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ عِبٰادٌ أَمْثٰالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ أىّ ان كنتم صادقين فى نسبه العقل و القدره الى هؤلاء الشركاء، و يحتمل أن يكون المراد من الآيه الأصنام الحجريه التى لا تعقل و كذلک الآيه التاليه.

[۱۹۵]إن هؤلاء أضعف من الناس العاديين لأنهم لا يقدرون على الاستفاده من أعضائهم بسبب تعودهم على استثمار الآخرين..

أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهٰا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهٰا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهٰا أَمْ لَهُمْ

آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ من الأصنام البشريه كالطغاه،أو الأصنام الحجريه..

ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ أى ثم اعملوا جميعا ضدى و ضد خططى و لا تمهلونى،و هذا تحد صارخ لها، ليعرف الجميع أنها أضعف من المقاومه فيتركونها،إن الناس يغترون بقوه الأصنام و بقدرتها على حمايتهم من مكاره الطبيعه،و من مشكلات الحياه،فيلتجئون الى الطغاه أو الأصنام،و لا يعرفون انهم أضعف منهم فى المقاومه لولا الاعلام المزيف و الإرهاب.

من هو ولىّ الصالحين؟

[۱۹۶]أما ولى الصالحين،و معبودهم،و ناصرهم،و من هو أولى بهم،فهو اللّه الذى ينزل الكتاب و ضمّنه رساله مفصله تبلور عقولهم،و تربى أنفسهم،و توضح مناهج الحياه،و تنذرهم و تبشرهم رهبه و رغبه..

إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّالِحِينَ و لأنه نزل الكتاب فمن عمل به و كان صالحا فقد فاز بولايه اللّه،بهدايته و قيادته و نصرته.

[۱۹۷]و أما غير اللّه من سائر الأولياء لا ينصرون أحدا و لا حتى أنفسهم ينصرونها،بل هم بدورهم يحتاجون الى النصره.

وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ و من دون اذنه..

لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَ لاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ أما من أمر اللّه باتباعه كالرسل و الأئمه(عليهم السلام)فان المناهج التى يأخذون الناس عليها تنصر التابعين لها و هم الصالحون،ذلك أن ما ينصر البشر ضد شرور نفسه و مكاره الطبيعه ليس قوه غيبيه يعيده عن إرادته،بل هو عمله الصالح الذى يباركه الرب العزيز الحكيم.

[۱۹۸]و هؤلاء ليسوا فقط لا يهدون أحدا بل لا يهتدون أيضا لان قلوبهم مغلقه و نفوسهم فاسده.

وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدىٰ لاٰ يَسْمَعُوا وَ تَرٰاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لاٰ يُبْصِرُونَ فأدوات الإدراك عندهم مشلوله،فحتى نظرتهم ليست بقصد الاهتداء و التبصر و الفهم بل بقصد النظر ذاته،ذلك لان الطغاه و المستكبرين لا يهدفون من وراء الحياه شيئا،بل اتخذوها ذاتها هدفا مقدسا،و نهايه لرغباتهم و تطلعاتهم،و لذلك فليست نظرتهم للبصيره و لا آذانهم للسماع.

و قد سبق ان الطغيان سبب مباشر للكفر،و هؤلاء قد بلغوا حضيض الطغيان فكيف يهتدون؟!!

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٩٩ الی ٢٠۶]

اشاره

خُذِ اَلْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ اَلْجٰاهِلِينَ (١٩٩) وَ إِمّٰا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ اَلشَّيْطٰانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ اَلَّذِينَ اِتَّقَوْا إِذٰا مَسَّهُمْ طٰائِفٌ مِنَ اَلشَّيْطٰانِ تَذَكَّرُوا فَإِذٰا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَ إِخْوٰانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي اَلْغَيِّ ثُمَّ لاٰ يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَ إِذٰا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قٰالُوا لَوْ لاٰ اِجْتَبَيْتَهٰا قُلْ إِنَّمٰا أَتَّبِعُ مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هٰذٰا بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَ إِذٰا قُرِئَ اَلْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠۴) وَ اُذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ اَلْجَهْرِ مِنَ اَلْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ وَ لاٰ تَكُنْ مِنَ اَلْغٰافِلِينَ (٢٠۵) إِنَّ اَلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠۶)

اللغه

١٩٩[بالعرف]:العرف ضد النكر،و مثله المعروف و العارفه و هو كل خصله حميده يعرف صوابها العقول،و تطمئن إليها النفوس.

٢٠٠[نزع]:النزع الإزعاج بالإغراء و أكثر ما يكون ذلك عند الغضب،و أصله الإزعاج بالحركه،و النزع أدنى حركه تكون،و من الشيطان أدنى وسوسه.

٢٠١[طائف]:وسوسه ما.

٢٠٢:[لا يقصرون]:لا يكفّون عن إغوائهم.

٢٠٣[اجتبيتها]:الاجتباء افتعال من الجبايه،و نظيرها الاصطفاء و هو استخلاص الشيء للنفس،و أصله الاستخراج.

ص:۵٢٢

كيف تتكامل شخصيه الإنسان

هدى من الآيات:

لكى تتكامل شخصيه الإنسان عليه أن يأخذ العفو،و يأمر بالمعروف،و ان يعرف عن الجاهلين،و لكن السؤال:كيف يمكن للإنسان أن يفعل ذلك و الشيطان يفسد قلبه؟ الجواب:عليه أن يستعيد باللّه و يتوكل عليه فى مقاومه نزعات الشيطان،ان اللّه سميع عليم.

ذلك أن المتقين الذين ترسخ الايمان فى أنفسهم،إذا مسهم من الشيطان شىء طائف،و خاطره خاطفه فإنهم يتذكرون ربهم،و بعد التذكر يبصرون و يميزون خواطر الشيطان عن حقائق الايمان.

بينما اخوان الشياطين يمدون أصحابهم ليستمروا فى الغى،و هم لا يقصرون و لا يبخلون فى دعم أصحابهم بالضلاله.

ص:۵۲۴

بينات من الآيات:

فمثلا-كل الآيات لا يقبلونها،و انما يطالبون الرساله بآيه معينه،و يتساءلون لماذا لم يصطف الرسول هذه الآيه،بينما الرسول ليس هو الذى يختار الآيات،و انما اللّه الذى أوحى بالكتاب:بصائر و رؤى و هدى،و رحمه للمؤمنين.

و لذلك على البشر أن يستمع الى القرآن،و ينصت إجلالا له إذا تليت آياته،و أن يذكر اللّه تضرعا و خيفه،حتى يتأصل الايمان فى أنفسهم،و ألّا يكون غافلا و لا مستكبرا عن عباده اللّه،بل يسبح له و يسجد له..

أبعاد الحياه الاجتماعيّه:

[۱۹۹]ما هى رساله الإسلام،التى لو اتبعها المجتمع حقق أهدافه،و أحرز المنعه التى يريد؟ تلخص الآيه الكريمه هذه الرساله:

فأولا:أخذ العفو.

ثانيا:الأمر بالمعروف،الذى تتقبله فطره الإنسان و تستسيغه،لان الإسلام دين الوجدان النقى،و العقل النير البعيد عن مؤثرات الهوى.

ثالثا:الاعراض عن الجاهلين،و عدم اتباع بعضهم الفاسد،و عدم الخوض معهم فيما يخوضون.

خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ إن الأدوار الثلاث تلخص الحياه الاجتماعيه فى ثلاث أبعاد:البعد الاقتصادى-

و البعد القانونى-و البعد الأخلاقى.

ففى البعد الاقتصادى يجب أخذ الأنفال الاضافيه التى لا يحتاج إليها الفرد، لتجعل للخدمه الاجتماعيه.

و فى البعد القانونى يجب تنظيم الحياه الاجتماعيه وفقا لأفضل ما يراه العقل السليم،فى الظرف الخاص،مما يعطى التشريع مرونه كافيه لاحتواء تطورات الحياه.

أما فى البعد الاخلاقى فيجب رفع الجهل و الجهاله،و تكتل المؤمنين الصالحين لقياده الحياه.

ماذا نحتاج للتطبيق؟

[۲۰۰]و لكن هذه التعاليم بحاجه الى قلب سليم،و عقل نير،و شخصيه متكامله،و ذلك كله لا يمكن توفيره إلّا بتخلص البشر من نزع الشيطان و فساده و بعلو البله،و علاج ذلك يكون بالتوكل على اللّه،و الاستعاذه به من الشيطان الرجيم.

وَ إِمّٰا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يسمع نجواك،و يعلم ما فى ضميرك،فاذا قلت ظاهرا و أضمرت واقعا فانه سوف ينصرك على الشيطان.

[۲۰۱]الذين تكرست فى أنفسهم ملكه الالتزام بالتعاليم الالهيه،و أصبح الدين بالنسبه إليهم عاده بسبب المزيد من العمل فإنهم إذا انزلقوا بسبب ضغط الشهوات فإنهم سرعان ما يتذكرون و يلتزمون بالواجبات مره ثانيه..

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذٰا مَسَّهُمْ طٰائِفٌ مِنَ الشَّيْطٰانِ تَذَكَّرُوا فَإِذٰا هُمْ مُبْصِرُونَ

ص:۵۲۶

حين يعودون الى اللّه ترتفع عن أنفسهم غشاوه الشهوات،فيبصرون حقيقه الذنب فيجتنبونه.

[۲۰۲]بينما الكفار و اخوان الشياطين الذين لا يملكون حصانه التقوى فإنهم، ليس فقط لا يعطيهم الشيطان حصانه،بل يمدّهم الشيطان فى غيهم،و يبرر لهم سيئاتهم غرورا..

من الفكر التبريرى:

وَ إِخْوٰانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ ثُمَّ لاٰ يُقْصِرُونَ [۲۰۳]من تلك الأفكار التبريريه التى يمد بها الشيطان إخوانه،و يكرس بها سلبياتهم هى:أن كل آيه كانت تنزل عليهم كانوا يكفرون بها،و يطالبون بآيه أخرى،و يزعمون أن الآيات تنزل عليهم بطلب الرسول.

وَ إِذٰا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قٰالُوا لَوْ لاٰ اجْتَبَيْتَهٰا قُلْ إِنَّمٰا أَتَّبِعُ مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي و القرآن بصائر يرى المرء بسببها و من خلالها الحياه فمثلا:القرآن يميز للبشر بين العقل و الجهل،الشهوات و الغضب،حتى يلامس وجدان كلّ واحد حقيقه نفسه و ما بها من عقل و شهوه،أو عقل و غضب،و القرآن يذكر البشر بربه عن طريق إثاره الوجدان،و بلوره عقه،ثم يربط بين الايمان باللّه و بين ما يرى فى الكون من آثار عظمه و جمال،و من نقاط ضعف و عجز،و يربط بعدئذ بين كلّ ذلك و بين ضروره التسليم للّه و لرسالاته،كلّ تلك بصيره يرى المرء من خلالها الحياه رؤيه واضحه.

و إذا تعذر على المرء رؤيه الحياه بسبب أو بآخر،فان اللّه هو الذى يعطيه الهدى بصوره مجمله أو مفصله،فيكشف له طبيعه الدنيا و الآخره و ما فيهما من عوامل تقدم أو تخلف،حضاره أو دمار.

ص:۵۲۷

و البصائر و الهدی تعطی البشر رفاها و سعاده هی:الرحمه التی ینزلها اللّه للمؤمنین باتباع البصائر و الهدی.

تعظیم القرآن:

هٰذٰا بَصٰائِرُ مِنْ رَبِّکُمْ وَ هُدیً وَ رَحْمَهٌ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ [۲۰۴]لان القرآن بصائر و هدی فعلی البشر ان یکبره و یعظمه،فاذا قریء القرآن فعلی الجمیع أن یترکوا کلامهم و یستمعوا الی آیات الذکر.

وَ إِذٰا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ أیّ تنالون السعاده و الرفاه بالاستماع الی آیات الذکر الحکیم.

کیف نقاوم الانسلاخ عن القرآن:

[۲۰۵]و لکی یقاوم البشر عوامل الانسلاخ من آیات اللّه،و لکی لا یصبح مثل الذین لهم قلوب لا یفقهون بها،و لهم آذان لا یسمعون بها،و لهم أعین لا یبصرون بها،و بالتالی لکی لا ینسلخ البشر من إنسانیته،فان علیه أن یداوم قراءه القرآن، و أن یتذکر آیات اللّه و أسمائه،و لکن ذکر اللّه له شروط معینه هی:

أولا:أن یکون التذکر فی نفس البشر،لکی لا یکون الذکر ریاء أو نفاقا أو قشریا لا یغور فی العمق.

ثانیا:أن یکون الذکر تضرعا و تذللا،و معرفه من الفرد بأنه عبد ذلیل للّه،لا یملک لنفسه نفعا و لا ضرا.

ثالثا:أن یخاف الفرد ربه و ما یترتب علی معصیته له من عذاب شدید.

رابعا:ألاّ یکون ذکر اللّه جهرا بما یزید احتمالات الریاء،و لا یجعل الفرد

یتعمق فیما یقول.

خامسا:أن یکون الذکر بالغدو و الآصال،صباحا و مساء،کل ذلک یرفع الغفله عن الإنسان.

وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ

قاوم التکبّر فی نفسک:

[۲۰۶]و علی الإنسان أن یقاوم روح الاستکبار فی ذاته،و یطیع اللّه إطاعه کامله،و أن یسبح اللّه و ینزهه من آثار النقص و العجز الموجود فی خلقه،و أن یسجد للّه رمزا لتلک الطاعه و العباده.

إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ من الملائکه القربین،و الأنبیاء،و الشهداء،و الصالحین الذین یتحسسون حضورهم أمام اللّه و هیمنه اللّه علیهم،و أنه سمیع بصیر،و أنه أقرب إلیهم من حبل الورید،إن هؤلاء الذین یعتبرون قدوه صالحه لکلّ واحد منا..إنهم..

لا یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ و عند ما یشعر الفرد أنه عند اللّه،و ان ربه حاضر عنده،آنئذ یشعر بجلاله اللّه و مدی عظمته،فیخضع للّه و ینزع عن نفسه الاستکبار الزائف،و عندئذ یعرف اللّه و یزداد إیمانا بعظمته،فیسبحه و ینزهه عن النقص،و عندئذ تظهر علامات الخشوع علیه فیسجد للّه،و هذه قمه الانسانیه التی کانت سوره الأعراف تهدف إیصال البشر إلیها..جعلنا اللّه سبحانه ممن یتطلع للوصول إلیها بالتوکل علیه.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.